جمهورية العراق
وزارة التّعلِيم العَالِي والبحث العلمي
جَامِعَة مَيسَان
كُلْيَة التَّربِيَة _ قسم اللُّغة العربِية

أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التّفسير الدّلاليّ للقرآن الكريم

رِسَالِةٌ تقدَّمت بِهَا الطَّالِبة

دموع محمد دراج الشّويليّ

إلى
مَجْلِسِ كُلْيَة التَّربِيَة / جَامِعَة مَيسَان وهي جزء من مُتَطَلَبَات
نَيل شَهَادَة المَاجسْتِير في اللُّغةِ العَرَبِيَة وآدابها

بإشراف

أ.م.د. عباس إسماعيل سيلان

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣ م

بِـــسْمِ اللهِ الرَّحْمـــنِ الـــرَّحِـيـمِ

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ

أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾

صَـدَقَ اللهُ العليُ العَظيـم

سورة فصلت: الآية (٥٣)

توصية المشرف

اشـهد أنَّ إعداد هذهِ الرسـالة المـوسـومة بـ **(أثـر العلـم الحـديث فـي الكشـف عن مستجدات التّفسير الـدّلاليّ للقرآن الكريم)** ، التـي تقدّمت بهـا الطّالبـة **(دمـوع محمـد دراج)**، قد جرت بإشرافي، وهـي جزء من متطلبـات نيل شـهادة الماجستير فـي اللغة العربية وآدابها/اللغة .

التوقيع :

المشرف: أ. م. د. عباس إسماعيل سيلان

التاريخ: / /٢٠٢٣

توصية رئيس القسم

بناء على التوصيات المشرف، أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

رئيس قسم اللغة العربية: أ. م. د. محمد مهدي حسين

التاريخ : / / ٢٠٢٣

الإهــداء

إلى حجة الله على خلقه وسراجه في أرضه إلى سليل الأخيار

ونور الأنوار وزين الأبرار إلى قائم آل محمد **(عجل الله فرجه)**

إلى الدعاء الذي يمدُّني بالقوة.. إلى جنتي في الدنيا والآخرة

(والدتي الحبيبة)

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء من دون انتظار ..
إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارًا قد حان قِطافها

بعد طول انتظار ... (والدي العزيز)

إلى الرمز الكبير، الذي كان مصداقًا لقوله تعالى

:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧]

إلى من كان حاضرًا في كل وقت إلى الحاضر في القلب والغائب

عن العين الذي كان له فضل وصولي إلى هذه المرحلة

إلى أخي الشهيد(باسم محمد دراج الشويلي)

إلى من وقفوا عونًا، وسندًا لي حتى رأى حلمي النور

لدعمهم المتواصل لي (عائلتي الكريمة)

واخيرًا إلى كل من ساعدني وكان له أثر من قريب أو بعيد في إتمام هذه الدراسة

سائلة المولى (عزَّ وجلَّ) أن يجزي الجميع خير الجزاء في الدنيا والآخره ثم

إلى كل طالب علم سعى بعلمه ليفيد الإسلام والمسلمين بكل ما أعطاه الله من علم ومعرفة

... (اهدي ثمرة جهدي المتواضع)

دمـوع

الشكر والامتنان

الحمد لله والشكر له كما ينبغي جلالُ وجههِ وعظيم سلطانه ، وعدد خلقه ورضا نفسه و زِنة عرشه ومداد كلماته على أنْ منّ عليّ بإنجاز هذه الدراسة والصلاة والسلام على أفضل الخلق نبينا وعلى آله الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أتقدم بالشكر إلى استاذي ومشرفي الدكتور(عباس إسماعيل سيلان) الذي تفّضل بإشرافه على هذا البحث ووقف إلى جانبي موجّهًا، وناصحًا، ومُشجعًا، وما فتئ يغدق علينا من العلم النافع والمنهج العلميّ القويم والصبر على الأخطاء وتحمل الأعباء ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وإنه من الواجب عليّ في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة لتكرمهم بمناقشة هذه الرسالة سائلة المولى (عز وجلّ) أن يبارك في علمهم وأنْ ينفع بهم الإسلام، والمسلمين.

وأتوجه بالشّكر الجزيل ووافر الامتنان والاعتراف بالفضل إلى رئاسة قسم اللغة العربية المتمثلة بالدكتور (محمد مهدي حسين) المحترم والرعاية العلمية للطلبة ، فشكرًا لك أيها الاستاذ الرائع جدًّا .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام في كلية التربية / قسم اللغة العربية، لجهودهم المتميزة في مرحلة الدراسة (المرحلة التحضيرية)، لما أبدوه من مساعدتهم لي في تقديم الدعم العلميّ، والنّصيحة المتكررة ، فجزاهم الله خيرًا ، وأقول لهم هذا العمل جزء من ثماركم التي أغدقتموها علينا .

وأشكر إخواني الذين هيئوا لي فرصة الدّراسات العليا ، التي كنت أحلم بها ولا سيما في ظلّ الأوضاع الصعبة التي مرت بنا .

والشكر موصول إلى من تكرم عليّ، وقَبِل النّظر في رسالتي، ومناقشتي، وتتبع مواطن الزلل، لتصويبها وتصحيحها .

الباحثة

ثَبَتُ المحتويَات

الموضـــوع	الصفحة
الآية القرانية	
الإقرارات	
الإهداء	
الشكر والامتنان	
ثبَت المحتويات	
المقدمة	أ_ ث
التّمهيد: التَّعريف بمفهوم العلم الحديث والتفسير الدلالي وعلاقتهما بالقرآن الكَريم.	١_ ١٥
القسمُ الأَوّلَ: مفهوم العلم الحديث.	٢_ ٨
- مفهوم الحديث .	٣
مفهوم العلم الحديث وإمكانية توظيفه في القرآن الكريم.	٣_ ٨
القسم الثاني: التَّعريف بالتفسير الدلالي.	٨_ ١١
- مراعاة السياق في الدلالة.	١١
- التطور الدلالي.	١٣
- هدف القرآن بين الهداية والعلمية.	١٤_ ١٥
الفصل الأوّل **أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التفسير الدلالي للأسماء في القرآن الكَريم.**	١٦ــ ٨٦
توطئة.	١٧
الاسم لغةً.	١٩

الاسم اصطلاحًا.	١٩
المبحث الأول : الجموع واسماء الجموع .	٢٢
القسم الأول: الجمع .	٢٢
- الْحُبُكِ	٢٢
- الْخُنَّس والْكُنَّسِ	٢٥
- الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ	٢٧
- عَمَدٍ	٢٩
- وَأَلْوَانِكُمْ	٣١
- أَمْشَاجٍ	٣٣
القسم الثاني: اسم الجنس الجمعي.	٣٤
- بَنَانَهُ	٣٥
- الْمُزْنِ	٣٦
المبحث الثاني: اسماء المشتقات.	٣٨
القسم الأول: اسم الفاعل.	٣٨
- الثَّاقِبُ	٣٩
- نَاصِيَتِهَا	٤١
- سَائِغًا	٤٣
- مُوسِعُونَ	٤٤
القسم الثاني: اسم المفعول	٤٦
- مَوْزُونٍ	٤٦
القسم الثالث: اسم التفضيل	٤٨
_ أَوْهَنَ	٤٨
المبحث الثالث: الاسم الجامد.	٤٩
- الجامد لغةً.	٤٩

- الجامد اصطلاحًا.	٤٩
- بَرَدٍ	٥٠
- حِجْرًا	٥٢
- الذرة والاصغر منها	٥٤
- سَقْفًا	٥٥
- طَبَقًا	٥٧
- مَهْدًا	٥٩
- النُطْفَةٍ	٦٢
المبحث الرابع: المصادر .	٦٤
- أَذًى	٦٤
- حَثِيثًا	٦٦
- حُسْبَانٍ	٦٧
- الرَّتْق	٦٩
- الصَّدْعِ	٧٠
- خير الصيام	٧٢
- يَنْعِهِ	٧٣
المبحث الخامس: بقية الاسماء.	٧٥
- دُخَانٌ	٧٥
- وَمَرْعَاهَا	٧٦
- شَرَابٌ	٧٨
- لُجِّيٍّ	٧٩
- مِثْلَهُنَّ	٨١
- وَرْدَةً كَالدِّهانِ	٨٢

الفَصْل الثَّاني أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التفسير الدلالي للأفعال في القرآن الكَريم.	٨٧ ـ ١٣٥
توطئة.	٨٨
المبحث الأوّل: الجملة الفعلية المبدوءة بالماضي	٩١
– بَنَيْنَاهَا	٩١
– خُلِقَتْ	٩٣
– دَحَاهَا	٩٥
– زُلْزِلَتِ	٩٦
– اتَّسَقَ	٩٨
– شَقَقْنَا	١٠٠
– مَدَدْنَاهَا	١٠١
– نُصِبَتْ	١٠٣
– اهْتَزَّتْ	١٠٥
– أَوْحَى	١٠٦
المبحث الثاني: الجملة الفعلية المبدوءة بالمضارع.	١٠٨
– تَبْيَضُّ وَتَسْوَدُّ	١٠٨
– تَجْرِي	١١٠
– يَسْبَحُونَ	١١٣
– تُسْرِفُوا	١١٤
– يَشْفِينِ	١١٧
– يُزْجِي سَحَابًا	١١٨
– يَصَّعَّدُ	١٢٠

- نَطْوِي	١٢٢
- نُقِرُّ	١٢٣
- يُكَوِّرُ	١٢٥
- تَمُرُّ	١٢٧
- يُمْسِكُ	١٢٩
- تَمُورُ	١٣١
- نَنْقُصُهَا	١٣٢
- تُولِجُ	١٣٣
الفَصْل الثّالث أثر العلم الحديث في توضيح الاساليب الدلالية والظواهر اللغوية في القرآن الكَريم	١٣٦_١٨٨
المبحث الأَوّل :أثر العلم الحديث في توضيح الاساليب الدلالية .	١٣٧
القسم الأوّل: أثر العلم الحديث في توضيح التَّقديم والتَّأخير.	١٣٧
- توطئة.	١٣٧
- التقديم لغةً.	١٣٧
- التأخير لغةً.	١٣٨
- التقديم اصطلاحًا.	١٣٨
- التقديم والتأخير .	١٣٨
القسم الثّاني : أثر العلم الحديث في توضيح المجاز	١٤٦
- توطئة.	١٤٦
- المجاز لغةً.	١٤٧
- المجاز اصطلاحًا.	١٤٧
القسم الثّالث: أثر العلم الحديث في توضيح التوكيد بالنعت.	١٥٤
المبحث الثّاني: أثر العلم الحديث في توضيح الظواهر اللغوية.	١٥٦

القسم الأوّل : أثر العلم الحديث في توضيح علل الاختيار.	١٥٦
– العلة لغةً.	١٥٦
– العلة اصطلاحًا.	١٥٦
– الاختيار لغةً.	١٥٧
– الاختيار اصطلاحًا.	١٥٧
القسم الثّاني: ثر العلم الحديث في توضيح الترادف.	١٧٠
– توطئة.	١٧٠
– الترادف ما بين الاثبات والانكار.	١٧١
القسم الثّالث: أثر العلم الحديث في توضيح التضاد .	١٧٧
– التضاد اللغوي .	١٧٨
– التضاد البلاغي .	١٨٥
خاتمة البحث ونتائجه.	١٩٠_١٩٨
المصادر والمراجع	١٩٩_٢٢٠
مستخلص الرسالة باللُّغة الانكليزية	i–iii

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المُقَدِّمة

الحمد لله الذي لمرضاته تنتهي المقاصد، وفي حاجته يلتجئ إليه كل قاصد، والسلام، وأتمّ الصّلوات على نبيه وآله الكرام عدد ما في الأرضين، والسماوات ، وبعد .

تُمثِّلُ الدّراسة في القرآن الكريم مغنمًا كبيرًا لطالب العلم ولا سيما إذا كانت هذه الدّراسة فيها فكرة جديدة أو بها منفعة ذات مكانة ، وبعد البحث واستشارة مشرفي في مسألة اختيار دراسة قرآنيّة ، وقع الاختيار على العنوان (أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التّفسير الدّلاليّ للقرآن الكريم) ؛ إذ مثّل هذا العنوان انتشارَ ظاهرة تبيين كثيرًا من الاستعمالات القرآنية بتوظيف معطيات العلم الحديث ، وهناك إشارات هنا وهناك تصلح لأن تكون روافد تغني هذه الدراسة ، فعملت الباحثة على جمعها وتبويبها مع مراعاة الإيجاز، والإفادة من القضايا العلمية السليمة ، وقد يجد القارئ أنّ قسمًا من الموضوعات قد استشهدت الباحثة بها بمثال واحد أو مثالين ؛ فيرى أنّ هذا الأمر من المؤاخذات أو الإشكالات على هذه الدراسة ، لكنّ الحقيقة أنّ قليل القرآن كثير ؛ ربما يكون هذا المعيار مقبولا اذا كان على الشعر اما القرآن فلا يجوز أن نقرنه ببيت شعري لأحد الشعراء ولا يمكن أن نطابق أنموذجًا واحدًا بأنموذج آخر من الشعر؛ لأنّ قدسيته، وعظمته اسمى وأرقى ، فكل موطن منه يكون محلًا للاستشهاد ومثالًا يحتذى به بصرف النظر عن قلته أو كثرته ، نعم ، فقليل القرآن كثير مقارنة بغيره ، ومن جهة أخرى أن اقتصار الباحثة على انموذج واحد يمكن أنْ يكون العلم الحديث ومكتشفاته يأتي لنا بالجديد في قادم الأيام بحسب التّطور الهائل في الاكتشافات العلميّة ، أي ستكون هنالك أمثله أخرى .

ويدفع على هذا البحث أيضًا ، هو كثرة العِداء لهذا الكتاب الخالد وقد رأينا قبل أيام ذلك المعتوه اللئيم يتجاوز على ذلك الكتاب العظيم ؛ فتكون خدمتنا بدراسة لهذا الكتاب تمثل ردًّا على أعداء كتاب الله .

وقد وجدت الباحثة أنّ كثيرًا من الحقائق العلميّة التي أيدتها الدّراسات الرّصينة قد ظهرت بوادرها في القرآن الكريم ، أي إنها موجودة فيه قبل أنْ تكتشف بأكثر من أربعة عشر قرنًا، بل ربما نجد الآية

الواحدة تقع في أكثر من منحى ضمن ظاهرتين أو أكثر مثلما سنلاحظه في هذه الدراسة ، وهذا دليل على غنى التّعبير القرآني وأنه مادة جاهزة للدراسة مع تقادم الأزمان .

ووجدت الباحثة أنّ توظيف معطيات العلم الحديث ساعد في الكشف الدّلالي فتارة تجد ذلك التوظيف يتمم الدلالة، ويوسِّع في مضمونها، وتارة أخرى وجدت ذلك التوظيف قد عَمِل على تصحيح الدّلالة، فالقدماء قد فسّروها بصورة خاطئة بسبب غياب الأدوات التي تساعدهم في الكشف عن المقصد الحقيقيّ، ومن هنا كثرت الموازنة بين جهود القدماء، والمحدثين .

ويهدف البحث إلى أن يكون بداية تحفيز؛ لإيجاد روافد جديدة لتفسير القرآن ، فمثلًا يمكن أن يكون هنالك مستدرك على كتب علمية أو روابط في النت في ضوء معطيات العلم الحديث، وجمع الآيات من النص القرآني وتوضيح مدى التوافق بينها والحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء في أبحاثهم، فدراستنا تسعى إلى خدمة القرآن الكريم في الإفادة من الدراسات الحديثة بشرط أن تكون محكمة وراجعة إلى تجارب سليمة وقواعد مقنعة، واعتمادًا على هذه الأهمية ازدادت رغبتي في هذا الموضوع ، ولا سيما بعد اطلاع الباحثة على أهم المصادر، والمراجع التي تخص الموضوع .

وقد عمدت الباحثة بعد قراءة كثير من الكتب المختصة في تطورات العلم الحديث الى أنْ تنتقي القضايا اللغوية غيرَ أنّ انتقاء ما يخصّ دراستها قد كلفها كثيرًا من الوقت بسبب سعة اتجاهات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، فبعضه صحيّ، وبعضه اجتماعي، وبعضه فلكيّ، وبعضه جغرافيّ وبعضه نفسيّ ... ، وفي كل ذلك كانت الباحثة تسعى لإيجاز ما كتب في الصفحات الطويلة ، وترتيبها ضمن أبجديات اللغة، ومراعاة المنهج العلمي .

وهناك مشكلة مثّلت عقبة أمام الباحثة ، فقد كانت تتعرض لاعتراض من قبل الاساتذة الكرام والزملاء الأعزاء بأنّه لا يمكن أن تكون هكذا دراسة، فالعلم متغير، والقرآن ثابت ولا يمكن قياس المتغير بالثابت ، والباحثة تتفق مع هذا الاعتراض إذا كان ذلك الاكتشاف العلمي مشكوكًا فيه ولا يمكن الاعتماد عليه ، لكن اذا كان موثوقًا به فلا بأس ، ثم إنها وجدت المراجع العظام، والمجتهدين العظام لم يُنكروا توظيف العلم الحديث في الكشف عن دلالات القرآن ، فنجد آية الله العظمى السيد

الخوئي (طيّب الله ثراه) في كتابه المدخل أو ما يسمى (البيان في تفسير القرآن) نجده قد وظّف العلم الحديث في تفسيره لكثير من المفردات القرآنية .

والامر لا يقتصر على السيد الخوئي فحسب ، بل نجد الأمر كذلك عند السيد الطباطبائي ، والشيخ مكارم الشيرازي، والسيد محمد باقر السيستاني (وسّع الله عليهم ألطافه وبركاته) .

ويقع جهد الباحثة على أكثر من منحى ، يبدأ من جمع شتات الإشارات العلمية، التي تتحدث عن الظواهر العلمية في القرآن الكريم، بما يكشف عن طائفة من الأسرار الدلالية، وتحليل تلك الإشارات العلمية بما ينسجم مع روح القرآن شريطة أنْ تكون تلك الاشارات واقعية، وملائمة للفكر السليم الذي ينطلق من أسس علمية رصينة، وبذلك تتجنب الباحثة تلك الاصطدامات بين المفكرين في مسألة إثبات وجود العلم الحديث في القرآن الكريم أو عدم وجوده ، فالباحثة تتخذ منهجًا وسطيًّا بعدم جعل القرآن الكريم عبارة عن كتاب علمي بحت، فهي تؤمن بأنّه كتاب هدى، ولا يمنع هذا أن تجيء به اشارات علمية سابقة اكتشافات التكنلوجيا، ولا تعني الباحثة أن التفسيرات القديمة قد جاءت بتفاسير ناقصة أو آراء غير مكتملة أو مضطربة وإنما تعني أن القرآن لكل زمان ومكان ، وما يزال البحث مستمرًّا ، ومن هنا فهي تقرُّ وتعترف أنّ دراستها قد جاءت على وفق ما تيسّر لها من دراسات علميّة راهنة وربّما في المستقبل مع هذا التّقدم الهائل والاكتشافات يجيء لنا المستقبل بأمور أخرى تكشف عن قسم آخر من الأسرار القرآنية ، ومن هنا تؤكد الباحثة أن دراستها هي بداية وليس نهاية ؛ فالقرآن يبقى خالدًا، بوجوده وبتفضله، وبمواكبته للعصور .

والجديد في هذه الدراسة هو أنني عرضتُ آراء المفسرين قدماء ومحدثين ، وبيان الدلالة القرآنية ثم نقد ما يحتاج إلى نقد وترجيح رأي على رأي ، بحسب وجهة نظر الباحثة، وتعضيده برأي العلماء المختصين في شتى العلوم.

وقد اتبعت الباحثة أكثر من منهج في هذه الدراسة ، فتارة اعتمدت (المنهج الوصفي التّحليليّ) الذي كان له الأثر البارز في وصف حقائق العلم الحديث الواردة القرآن الكريم ، وتارة أخرى وظفت (المنهج التّاريخي) الذي كان مراعيًا التسلسل التّاريخي للمفسرين، والعلماء وما قدموه من آراء على هذه الظواهر العلمية ، وأحيانا كانت تعتمد (المنهج المقارن) للوصول إلى الحل الأمثل .

وقد قُسِّمَ هذا العمل على تمهيد، وثلاثة فصول .

تضمن التمهيد **مفهوم العلم الحديث** وتعريف العلم لغة واصطلاحًا، وتكلمت فيه عن التطور الذي حصل في الكلمة العربية وأساليبها وعن نظرة الغربيين لهذا التطور ، وكذلك تناولت في التمهيد طائفة من الأمور الدلالية المهمة التي يمكن أن توظف في فصول البحث .

ثم جاء الفصل الأول وقد **تضمن أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التفسير الدلالي للأسماء في القرآن الكريم**، وحاولت فيه توضيح التّطور الدلالي الذي طرأ على الاسم، وبيان آراء القدماء، والمحدثين فيه.

بعدها جاء الفصل الثاني الذي تضمن عنوان **(أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التفسير الدلالي للأفعال في القرآن الكريم)** وفيه وضّحت الدراسات الحديثة ما افتقرت إليه التفاسير القديمة في تبيين الفعل ، فهي جاءت بشيء متمم لما بينته التفاسير الحديثة للأفعال.

وأخير جاء الفصل الثالث الذي اختص بدراسة **الأساليب الدلالية والظواهر اللغوية** وأثر العلم الحديث في توضيحها، واشتمل على مبحثين، المبحث الأول تضمن توضيح الأساليب الدلالية فكان القسم الأول: أثر العلم الحديث في توضيح التقديم والتأخير، والقسم الثاني في المجاز والقسم الثالث في توضيح التوكيد بالنعت ، أما المبحث الثاني فكان في توضيح **الظواهر اللغوية** المتمثلة في القسم الأول بتوضيح علل الاختيار والقسم الثاني في توضيح الترادف والقسم الثالث في توضيح التضاد، وجاءت الخاتمة تذييلًا لهذا البحث وعرضت فيها ما خلص إليه البحث من نتائج...

بعد هذا لا أنزه نفسي من الاغفال عن بعض الأمور ، ولكن أقولها بصراحة وبملء فمي : إنّي بذلت جهدًا كبيرًا ومُرهقًا فقد مضى ما يقارب السنة والنّصف ، أنظر الى الشهور وهي تمر أمامي بسرعة ، فأفزع دائبة بالسّعي وراء مصادر البحث متأملة، وممحِّصة، ومحلّلة، وساعية لإنجاز عمل يليق بأنْ يكون دراسة طيبة في القرآن الكريم .

هذا وأسال الله (عزّ وجلّ) أن يوفقني، ويتقبل مني هذا العمل، وأنْ يكون خطوة نافعة في مسيرتي العلمية ، وأن يقدم ثمرة ناضجة لطلاب المعرفة .

الباحثة

التَّمْهِيــد

التَّعريف بمفهوم العلم الحديث والتفسير الدلالي وعلاقتهما بالقرآن الكريم

القسم الأول: مفهوم العلم الحديث .

القسم الثاني : التعريف بالتفسير الدلالي .

القسم الأول: مفهوم العلم الحديث :

إنّ العلم هو تساؤلات الإنسان وملاحظاته المنظّمة للأحداث والظّروف الطّبيعية ومحاولاته الدّؤوبة للحصول على إجابات أو تفسيرات لسائر ما يدور فيه من أحداث وظروف بُغيةَ تنظيم حياته وتحسين علاقتها بالطبيعة، ولم يكن العلم منفصلًا عن وجود الإنسان بوصفه مخلوقًا متعبدًا ويدين بدين الله فالإسلام _ على سبيل التمثيل لا الحصر_ هو دين العلم، ونجد مصداق ذلك في مواضع عدةٍ من القرآن الكريم يشير فيها تصريحًا أو تلميحًا إلى العلم، والعلماء، والتعلم حتى أنه تعالى نسب إلى ذاته تعليمَ الإنسان ، فقال تبارك تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[العلق:١-٥]، فلفظة العلم ذُكرت ثلاث مرات في هذه السورة ؛ لأهميتها في مقارعة الجهل وأعداء المعرفة، ويقصد بهذا العنوان بيان شمولية العلم في الإسلام استدلالًا بالقرآن الكريم، والغرض من ذلك أنه لما كان العلم هو المضاف لتفسير القرآن الكريم في مصطلح:(التفسير العلمي للقرآن الكريم)؛ فينبغي أن يعطى هذا اللفظ مدلولًا شرعيًّا من الكتاب الذي هو موضوع البحث، لأن مصطلح (التفسير العلمي للقرآن) أضحى مصطلحًا يتعامل معه على أنه مصطلح شرعي، فلا بدَّ أنْ تفسر تراكيبه تفسيرًا شرعيًّا [١] مع مراعاة الايجاز .

فالعلم لغةً مثلما ذكر ابن فارس(ت٣٩٥هـ) أن "العين واللام والميم أصل صحيح يدلُّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، ومن ذلك العلامة وهي معروفة، يقال علمت علمًا الشيء علامة، والعلم الراية، والجمع أعلام، والعلم نقيض الجهل، ويطلق ويراد به المعرفة، وسمِّي علمًا؛ لأنّه علامة يهتدي بها العالم إلى ما قد جهله النّاس فهو كالعلم المنصوب بالطريق"[٢].

---

(١) يُنْظَر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا، ، دار محمد الامين ، دمشق –سوريا ،ط١,١٤٣١ –٢٠١٠: ٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م : ٢٣٢ .

أما العلم اصطلاحًا: فقد بيّن ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ) "أنَّ العلمَ هو ما استيقنته وتبينته، وكل من استيقن شيئًا وتبينه فقد علم" [١].

ويعرِّفُه الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) في كتابه التعريفات بأنّه : "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل" [٢]. وأشار الدكتور أحمد مختار إلى أنه" مجموعة مسائل في موضوع معيَّن اكتسبها الإنسانُ من اكتشاف وترجمة النواميس الموضوعيَّة التي تحكم الأحداث، والظاهرات " [٣] ، وترى الباحثة أنه يمكن ان يقال فيه : أسس وقواعد يَحتكم اليها العقل في بيان حقيقة معينة.

_ مفهوم الحديث

بيَّـن الفراهيدي (ت١٧٠ هـ) أنّ الحديث هو:" الجديد من الأشياء" [٤] ، أي هو متعلق بمسألة الزمان ، بأنْ يكون إنتاجه جديدًا ليس قديمًا .

_ مفهوم العلم الحديث وإمكانية توظيفه في القرآن الكريم

مما سبق يمكن أن يكون العلم الحديث هو الأسس والقواعد التي ساعد العصر الحديث على انتاجها وإيجادها بسبب التقدم العلميّ بالمعدات والأدوات المستعملة ، ولكن هذا التعريف لا يمكن القطع به بسبب تنوع وجهات النظر، وتعدد مجالات العلم ، وقبل معرفة ذلك يجدر بنا معرفة شيء من نشأة العلم الحديث وما صاحب ذلك من تنوع القول في تعريفاته .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م: ٤٥ .

(٢) معجم التعريفات، علي بن محمد السّيد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) ، تحقيق ودراسة: محمّد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة_ مصر: ٣٤٣ .

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر ، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـــ)، عالم الكتب ، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م : ١٥٤٣.

(٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان ، ط١، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م:٢٩٣.

نشأ العلم الحديث في سنة ١٥٤٣م على يد العالم نيقولا كورنيكوس، فجاء بنظام فلكي جديد يختلف عما سبق من آراء ونظريات ؛ لذا عُدّ هذا التاريخ بداية ظهور ذلك المصطلح (العلم الحديث) ، والعمل الذي قام به العالم نيقولا كورنيوس أنّه وضع شروحًا وانتقادات لأفكار أرسطو في كتابه (أرسطو) ، وفيه ناقش الأفكار القائمة على ثباتية الأرض ووحدانية الكون وتناهيه[١].

وقد وصل العلم الحديث إلى نتيجة مفادها بأن الكائنات جميعها في حالة تغير مستمر فالكائنات الحية تضمن علم الأحياء الحديث أنّ هذه الكائنات وأجزاءها في نشاط دائم ومستمر، لأنها متكونة من خلية أو عدة خلايا والخلية ذات نشاط وفعالية دائمة، أما الكائنات غير الحية فتتضمن علم الفيزياء إثبات النشاط الدائم لأصغر جزء في الجسم وهو الذرة، فإنها تتألف من نواة وإلكترونات وما حولها والذرات هي البنية العامة للكون في تغير دائم كما كشف عنه علم الفيزياء ما دون الذرة كما أن الخلايا التي هي البنية العامة للكائنات الحية كشف عنها علم الأحياء أيضًا فضلًا عن العلوم الفلكيّة والكونيّة المؤلفة ممّا يخصّ الأجرام والشّموس والأقمار والكواكب كلّها في تحرك وتغير دائم. وخلاصة القول أنَّ العلم يؤكد أنّ الكون كله في نشاط دائم، وأنَّ الوضع الكوني العام والخاص بالكائنات كلها في حركة دائبة وتغير دائم ومستمر وليس شيئًا منه ثابت في زمان معين ، وهذا ما تعطيه علوم الكونيات والفيزياء والكيمياء والأحياء بنحو واضح [٢].

وأدى تعدد هذه المجالات أدى الى أن تعددت الأقوال في تعريف العلم، فيرى بعض الباحثين أن العلم هو القواعد التي بنيت على الملاحظة، والتجربة، والاستقراء. وهو بهذا المفهوم يختص بالجانب المادي ... إن دائرته الكون: السماء والأرض، وما بين السماء والأرض.

أما ما وراء هذا الكون، وما قبل هذا الكون، وما بعد هذا الكون، فإن العلم – بالمفهوم الحديث– لا يتعرض له، وذلك لأنه لا يدخل تحت دائرة الملاحظة، والتجربة، والاستقراء.

ولعل القارئ يدرك من هذه الكلمات السابقة أن العلم بهذا المفهوم الأوربي لا يتأتى له أنْ يحكم على ما ليس في دائرته؛ وذلك لأنَّه ما دامت قد حددت دائرة العلم بأنه ما بني على الملاحظة

(١) يُنْظَر: إبستيمولوجيا العلم الحديث ، سالم يفوت، دار توبقال، دار البيضاء_ المغرب، ط٢، ٢٠٠٨: ٩_١٧.

(٢) يُنْظَر: الأنباء الثلاثة الكبرى في الدين وجود الإله، محمّد باقر السّيستاني، ط١، ١٤٤٠هـ_ ٢٠١٨م: ٢٧١_ ٢٧٢ .

والتجربة أي: ما كان مجاله المادة، فإنه إذا تعرض عالم لما ليس من اختصاصه على أنه علم فإنه يكون بذلك قد خرج على أوضاع العلماء في مفهوم العلم، وخرج على مبادئهم المقررة في دائرة العلم: وهي المادة.

ويرى بعض الباحثين ان العلم بهذا المعنى هو مفهوم أوربي ، وإنّنا لا نأخذ مفهوم العلم بالمعنى الأوربي، بل سنأخذ مفهوم العلم بالمعنى الإسلامي، ومفهوم العلم بالمعنى الإسلامي أوسعُ دائرةً؛ وإنّه المعرفة بكل نافع من الأمور ... إنه المعرفة بالكون وبما وراء الكون، بالوجود المادي وبالوجود الروحي؛ إنه المعرفة بالآفاق، وبالأنفس وفي نطاق ذلك يدخل العلم بالمادة أو العلم بالمفهوم الحديث(١)، أي إنَّ كلمة (العلم) كانت مطلقة لكل ما يخضع للتجربة والملاحظة قبل مقارنته وعلاقته بالدين الاسلامي.

وعلى الإجمال فإنَّ العلم الحديث يؤكد أنَّ الكون كله في نشاط دائم، وأنَّ الوضع الكوني العام والخاص بالكائنات كلها في حركة دائبة وتغير دائم وتبدل مستمر، وليس شيءٌ منه ثابتًا في زمانين على وضع واحد، وهذا مما تعطيه علوم الكونيات والفيزياء والكيمياء والأحياء بنحو واضح(٢).

لقد حاول الغرب أنْ يوفقوا بين الدين والعلم؛ نظرًا لما يتناقض مع العلم من نصوص التوراة، والإنجيل، أمَّا القرآن فقد نزل في عصر سادت فيه الخرافات والجهل عند أهل الكتاب، فكانت المفاهيم الكونية، والظواهر الطبيعية لديهم محدودة ومنها:_(مفهوم الله)، (استواء الأرض)، (السماء سقف للأرض)، (والنجوم مسامير لامعة) ... الخ

والقرآن الكريم تعرض لقضايا ودراسات علمية وهو معجزة للبشرية كلها خالدة لا تقف عند عصر معين ومكان معين ومن هنا عانى المترجمون سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين الذين ترجموا القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية بصرف النظر عن كل لغة لها ثقافة أدبية

(١) ينظر : موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، عبد الحميد محمود ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط٢ ،١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م: ٦٧ـ ٦٨ .

(٢) يُنْظَر: الأنباء الثلاثة الكبرى في الدين: ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

خاصة قد مروا بمعاناة في الترجمة، اذ لم يستطيعوا فهم معناها، الحقيقي لنقص معارفهم العلمية(١).

ولكن هل يمكن أنْ يجد العلم طريقه الى أنْ يكون مصدرًا من مصادر تفسر القرآن الكريم إذا كان بهذه الكيفية ؟ علما أنا أشرنا الى بعض الاجابة في مقدمة الرسالة .

الحقيقة ان العلماء تباينوا في قبول وجود العلم الحديث في القرآن الكريم ، فيذكر أحد الباحثين العلاقة فيما يتناوله الدين من أسس ثابتة والعلم الذي كان مبنيًّا على فرضيات أو نظريات قابلة للتغيير أو التصحيح عبر الزمن ، فيذكر "الاستشهاد بالعلم لمصلحة الدين لا يخلو من خطورة، ذلك أنّ من المعروف أنّ العلم لا يستنكف من تصحيح ذاته، وهذا يقودنا إلى إمكانية أنْ يرفض العلم (حقيقة) علميّة كان قد أقرَّها من قبل! أضفْ إلى ذلك أنَّ العلم لا يكون علمًا إلَّا بعد أن يكون خاضعًا لـ (مبدأ التزييف)، أمَّا مفهوم (الدين) فيتعارض اصطلاحيًّا مع هذا المبدأ" (٢)، والباحثة تشك في جمع العلم مع التزييف ، فربما توجد به مغالطة ، واذا اتفقت فإنها تتفق بنسبة متوسطة ، فحمل العلم غير المكتمل على بيان حقيقة من حقائق القران يعدُّ أمرًا مرفوضًا ، أمّا إذا كان ذلك العلم أو الاكتشاف العلميّ ممّا صدقته الأجهزة المتطورة والآراء الثاقبة فلا بأس به ، بل هو أمر مرغوب به من أجل مواكبة التّطور والبحث عن أسرار القرآن التي ما زال الزمان يكشفها شيئًا فشيئًا.

إنّ ربط الدّراسات القرآنيّة مع مستجدات أو متطلبات الواقع يعزّز رسالة الدّين الإسلاميّ أولًا والبحث ثانيًا ، فهو يوفر الوصول إلى متطلباته فضلًا عن تنمية الوعي الدّيني عند المسلمين.

واشتمال القرآن على آيات كونية أو ما يتعلق بالأنفس البشرية من الأمور التي يصعب على الناس المكلفين المخاطبين آنذاك من العسير أن يتذوقوا طوائف الجمال البياني فيها والاسرار

(١) يُنْظَر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الدكتور منصور محمد حسب النبي ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، ط٢ ١٩٩١م: ١٥٩.

(٢) العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، سامي عامري ، تقديم: محمد العوضي، عبد الرحمن الشهري، منقذ السقار، الرواسخ، الكويت، ط٤، ١٤٤٢هـ_ ٢٠٢١م : ٦٥ .

الكامنة بها ؛ لأن كثيرًا منها لم تكتشف إلا في عصور متأخرة من التقدم العلمي في العلوم الكونية بعد اختراعات الآلآت الدقيقة [١]

ملخص الأمر : أنه ما يزال الجدل واسعًا بين علماء الدين وكتّاب العلوم الحديثة في التفسير العلمي للقرآن ، فبعضهم يرى أنّ الإفادة من التّقدم العلمي واجبة على كل مسلم ؛ لكي يفهم ما خفي عن العقول منذ قرون يمكن أنْ يكون مفهومًا اليوم في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، وبعضهم الآخر يراه غير مقبول . إلا أن إرادة الله اقتضت أن تعطي القرآن إعجازًا لكل جيل فيما نبغوا فيه ، ففي عصر اكتشاف الحقائق العلمية فإن القرآن أشار إليها إعجازًا مذهلًا ، وذكر الإمام الرّضا (عليه السلام) إعجاز القرآن الذي يبقى عبر الزمان، فقال: "هو حبل الله المتين، وعروته الوثقى وطريقته المثلى، المؤدي إلى الجنة والمنجى من النار، لا يخلق على الأزمنة ولا يغث على الألسنة؛ لأنه لم يُجعل لزمان دون زمان، بل جُعل دليلُ البرهان والحجة على كل إنسان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" [٢].

وثبت في الوقت الحاضر أنّ الدين لا يتعارض مع العلوم الحديثة الصحيحة ، وهذا يجعلنا على يقين بأنّ الدين الإسلامي لم يعارض أو ينافِ ما جاء في العلم الحديث ، فتلك العلوم الحديثة تدعم العلوم الإسلامية، والقرآنية، وتزيد من الإيمان بها[٣].

ويقدم العلم الحديث " النظريات والآلآت الدقيقة التي تساعد على وصف الظواهر، وتسجيلها أما بواطن الأمور وأسرارها فمهما بلغ العلم من تطور، في محاولة فهمها والوقوف عليها وسر السر فشيء وراء العقل المحدود وخير مثال ذلك الذرة ، هل استطاع أحد أن يقف على آخر أسرارها؟" [٤].

---

(١) يُنظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم ، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م: ١٥٨.

(٢) عيون أخبار الرضا ، أبو جعفر الصدوق محمد علي ابن الحسين بابويه القمي (ت٣٨١)، تح: سيد مهدي الحسيني لاجوردي، رضا مشهدي، (د. ط) ،(د. ت): ٢ /١٣٠.

(٣) يُنْظَر: السنة النبوية والطب الحديث ، صادق عبد الرضا علي، دار المؤرخ العربي، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م: ١٢.

(٤) الدلالة المعنوية للمفردة القرآنية في سياق علم اللغة التوحيدي، العلامة الدكتور السيد محمد علي الحسين، جامعة طهران، بحث منشور في مجلة المصباح ، مجلة فكرية فصلية متخصصة ، العدد التاسع ، (٢٠١٢م_ ١٤٣٣هـ) : ٢٠١

ويتزامن التطور العلمي الناجم مما توصل إليه العلماء والدارسون في العلوم شتى مع حقائق القران الكريم ؛ ومن هنا كان هذا البحث سعيًا في الإفادة من ذلك التّطور لتوضيح مفردات القرآن سواء أكانت أسماء أم كانت أفعالًا؛ لأنّ كل مفردة منها لها خاصية تمتاز بها عن الأخرى ، وعليه مع تداخل العلوم في تفسير القرآن الكريم الواضح على تطور المفردة القرآنية يبقى النص القرآني محاطًا بهالة من التقديس والتعظيم سواء بدلالته في الأسماء أم بدلالته في الأفعال.

القسم الثاني : التعريف بالتفسير الدلالي:

قبل الحديث عن التفسير الدلالي علينا أن نحدد التعريف اللغوي للدلالة، فمعناها من " دلّهُ على الطريق ، وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها ، وأدللت الطريق : اهتديت إليه" [١] وذكر الدكتور أحمد مختار هي من الفعل "يَدُلّ ادلُلْ / دُلّ، دَلالةً ودِلالةً، ودليل، والمفعول مَدْلول... دلالة المفرد مصدر دلَّ بدلالة كذا. دَلالةٌ، ما يُفْهم من اللَّفظ عند إطلاقه " لهذه الكلمة دِلالةَ خاصّة" حِرْفَةُ الدَّلاَل أُجْرةُ الدَّلاّل"[٢].

الدلالة اصطلاحًا:

إن مصطلح الدلالة مصطلح أوسع وأشمل من مصطلح (المعنى)، إذ تدخل ضمن الدلالة رموزٌ لغوية من مثل الألفاظ والاشارات، والرموز، والعلامات[٣].

إن الكلمة في القرآن تحاط بعدة دلالات لغوية حقيقة أو مجازية بحسب استعمالاتها ، فعند وجود قضية لغوية تحمل أكثر من احتمال ننظر إلى ما يؤيده العلم الحديث لنقطع بالمعنى الأوثق ، بل ربما يجيء العلم الحديث بمعنى غير المعاني المذكورة ، فالتقدم العلمي كفيل أن يزيح اللثام عن جوانب غامضة أو يصحح المجانبة للصواب ، فعلى سبيل المثال في بيان لفظ (بنانه) الواردة

(١) أساس البلاغة ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري قدّم هذه الطبعة : د. محمود فهمي حجازي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د. ط)، ٢٠٠٣م: ٢٨٠.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة :١/ ٧٦٢-٧٦٤.

(٣) يُنْظَر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، تقديم الاستاذ الدكتور علي الحمد ، دار الأمل للنشر والتوزيع ،الاردن ، ط١، ١٤٢٧_٢٠٠٧م : ٢٩.

في سورة القيامة تعددت الدلالات واختلفت الآراء في نظرتها ولكن في ضوء معطيات العلم تبين أن المقصود بها هو (البصمات) وأن الكلام فيما سبق عنها كان بحسب ما فهموه[١].

والدلالة علم يتناول المعنى بالشرح، والتفسير، ويهتم بمسائل الدلالة، ويعد من فروع علم اللغة، فاللغة موضوع علم اللغة وضعت للتعبير،(أو الدلالة) عما في داخل المتكلم، فيشارك جميع مجالاته في الدلالة منها المجال الصوتي الذي يمثل جزءًا من بنية الكلمة، واختلاف النبر، والتنغيم في الكلمة الواحدة. وكذلك يؤثر مجال الصرف في المعنى بالصيغة الصرفية؛ فصيغة (قاتل) تختلف عن صيغة (مقتول)؛ لأنّ الأولى جاءت اسم فاعل، دلَّ على من قام بالفعل، والثانية دلّت على اسم المفعول، لأنه وقع عليه الحدث، فكل صيغة لها معنى خاص بها، وذلك يتوضح ايضًا في صيغ الأفعال والمصادر.

ويوجد المجال النحوي الذي يضفي أثرًا كبيرًا في الدلالة، فكل جملة تؤدي معناها تتأثر بترتيبها، وتركيبها، ونقيض ذلك تختلف الدلالة به.

وكذلك يُسهم مجال المعجم بأثر كبير في الدلالة فموضع الكلمة في التركيب يتوقف على معناها المعجمي ونختار الألفاظ التي تناسب دلالتها في السياق التي تأتي فيه ، فكل كلمة تلحق بالسياق التركيبي وتعطي معنى على ما يرتبط علاقتهما مع جاورها[٢].

ويركز التفسير الدلالي على الجمال التنسيقي في صف الحروف في الكلمات وقد حاز القرآن من هذا الجانب القدر المعجز ولو تأملنا ألفاظ القرآن الكريم لوجدنا حركاتها الصرفية والنحوية تجري في الوضع والتركيب المناسب لها ونجدها مؤتلفة مع أصوات الحروف والأمر لا يقتصر على الكلمة وحروفها وإنما يفسر بالأساليب والظواهر اللغوية ، واسلوب القرآن بلغ هذا التنسيق حد الإعجاز حتى يكون الأمر مقدرًا على تركيب الحواس النفسية في الإنسان تقديرًا يطابق وضعها وتصرفها[٣].

---

(١) يُنْظَر: مباحث في إعجاز القرآن: ١٦٢.

(٢) يُنْظَر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة حمود عكاشه ، دار النشر للجامعات ،القاهرة ، ط١، ١٤٣٢هـ _٢٠١١م :٩ـ ١٠.

(٣) يُنْظَر: مباحث في إعجاز القرآن: ١٠٠_١٠١.

واختلفت آراء العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فبضعهم وصلت عنده إلى عشرة وجوه ومنهم من جعل الإعجاز وجهًا واحدًا ، ومن يتتبع هذه الوجوه يجد التداخل ، ويمكن أن تجمع الاقوال في أربعة وجوه ، منها إعجاز بياني، وإعجاز علمي، وإعجاز تشريعي، وإعجاز غيبي(١).

وورد عند أحد الباحثين أن "الإعجاز في القرآن يتجلى في أكثر من مظهر فهو معجز كذلك في استعراضه التاريخي لعدد من الأمم السابقة، ولكيفية تعاملها مع رسل ربها، ولأسلوب مكافأتها أو عقابها ومعجز في أسلوبه التربوي، وخطابه النفسي، وفي إنبائه بالغيب، وفي إشاراته العديدة إلى الكون، ومكوناته، وظواهره . وهذا الجانب الأخير من جوانب الإعجاز فيه هو المقصود بتعبير (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) والباعث عليه وجود آيات تشير إلى حقائق علمية"(٢).

وقد تقسم الدلالة إلى مركزية وهامشية، أما الدلالة المركزية فهي القدر المشترك في المعاجم، وتكون واضحة في أذهان بعض الناس ومبهمة عند بعضهم الآخر، ويمكن أن تشبه الدلالة بتلك الدوائر التي تحدث بعد إلقاء حجر في الماء.

أما الدلالة الهامشية فهي تعد من تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد، وأفكارهم، وما ورثوه عن آبائهم، وأجدادهم، وفهمهم الخاص لتلك القضية(٣).

وخريطة عمل الباحثة أن تُبحَثَ دلالة اللفظة في الوضع الأوّلي لمعرفة أصلها اللغوي وبعدها تقوم الباحثة بتتبع معناها في التفاسير ومن ثم يُكتشَفُ الأثر العلمي في الكتب الحديثة، ويمكن توضّيحه بالمخطَّط الآتي:

(١) يُنْظَر: مباحث في إعجاز القرآن: ١١٣.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (قراءة في ضوء معطيات المنهج اللغوي) د. حيدر عبد الزهرة التميمي ، مجلة فكرية فصلية متخصصة، جامعة بغداد، بحث منشور في مجلة المصباح ، مجلة فكرية فصلية متخصصة ، العدد التاسع _ ربيع (٢٠١٢م_ ١٤٣٣هـ) : : ٢٣٧.

(٣) يُنْظَر: دلالة الالفاظ، إبراهيم انيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣، ١٩٧٦م : ١٠٦-١٠٧.

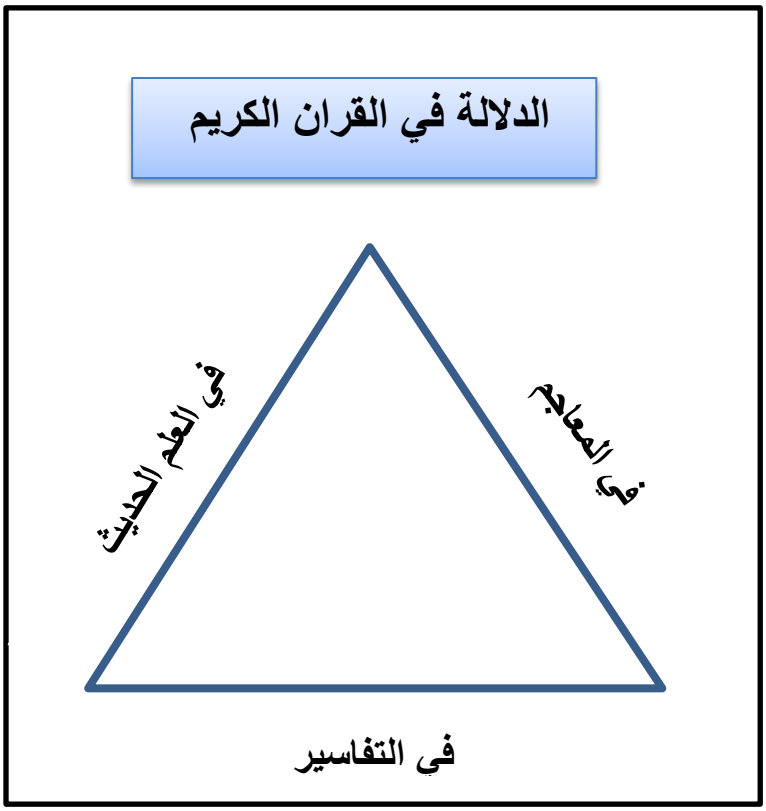

مرعاة السياق في الدلالة:

أنَّ المفسرين كان لهم قصب السبق في العناية بالسياق في هذا الشأن، واستعانوا به _ السياق _ بوصفه وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى في تفسير القرآن" ولا يجوز للمفسر في التفسير العلميّ أنْ يقتطع نصًّا عما قبله وبعده، متجاوزًا سياق الآية، ودلالتها على ترجيح معنى أو تخصيص لفظ بدلالة أو ما شابه؛ ذلك لأنَّ السياق من القرائن المعتبرة في التفسير"[1].

(١) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا، دار محمد الامين ،دمشق _سوريا ،ط١، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م: ٢٣٢ .

وتطبيق ذلك في قول الرازي (ت٦٠٦هـ) في تفسره : "وإنما حسن التفسير لفظ معين لشيء معين إذا حصل بين ذلك اللفظ وبين ذلك المعنى مناسبة، أمَّا إذا لم تحصل هذه الحالة؛ كان ذلك التفسير فاسدًا"(١).

وعَرَضَ الزركشي (ت٧٩٤هـ) أثر السياق في أثناء كلامه بقوله: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له"(٢).

وكذا الأمر عند السيوطي (ت٩١١هـ) الذي صرح بأن "التفسير هو كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية أم شرعية بالوضع، أم بقرائن الأصول ومعونة المقام"(٣) .

ويذكر الدكتور تمّام حسان قضية ارْتِباط المقام والمقال معًا وعلاقتهما في أثر المعنى؛ "لأن الاعتراف بفكرتي المقام، والمقال بوصفهما أساسين، متميزين من أسس تحليل المعنى. يعتبر الآن من الكشوفات التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة" (٤)

وبعد عرض أراء العلماء ترى الباحثة أن مفهوم السياق مرتبط بمجموعة عوامل تكاد لا تكون مفهومة إذا قطع الاتصال بين أجزائها ؛ ولهذا نال كثيرًا من العناية عند كثير من العلماء؛ لأنه يعد وسيلة للكشف عن الدلالة.

وذكر أحد الباحثين ارتباط التفسير بالعلوم بقوله " لقد بقي تفسير القرآن بما ورد في كتب العلوم التجريبية والكونية يسمى بالتفسير العلمي، وهو اجتهاد في ربط بعض ظواهر الكون المكتشفة حديثًا بالقرآن، وإبراز أنَّ القرآن قد دلَّ عليها، وهذه النتيجة لا تختلف عن الانتقال من تسمية هذه الظاهرة التفسيرية الجديدة باسم الإعجاز العلمي، فهذا يفسر، وذاك يفسر "(٥).

---

(١) مفاتح الغيب، فخر الدّين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن علي التّميمي البكري الرّازي الشّافعي (ت٦٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٣٩هـ _ ٢٠١٨م، : ٢٠/ ٨٢ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م: ١/ ٣١٧.

(٣) التحبير في علم التفسير جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم، السعودية، الرياض، ط١، ١٩٨٢م: ٣٨.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م :٣٣٧.

(٥) الإعجاز العلمي إلى أين، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام _السعودية ط٢، ١٤٣٣هـ : ١٨٧ .

ويعد القرآن الكريم منبعًا ثريًّا في مدلولاته وعناوينه الكثيرة بما يستهدفه من الدرس البحثي ودلالاته سواء أكان ذلك بإعجازه البلاغي أم اللغوي أم النحوي أم العلمي وإلى ما شابه ذلك. ولقد أنتج الدرس الدلالي في منهج البحث القرآني كثيرًا من الإشارات والمستجدات بما يتحقق مما انتجته العلوم الحديثة من مثل العلوم الطبيعية، والبشرية، والكونية، والبايلوجية، والجغرافية، والطبية ...الخ بما يصل الى أعلى سلم المعرفة فيما تشير إليه آيات القرآن وقد يحتاج الإنسان بحكم التطور العلمي والمعرفي إلى مسايرة ما يصل إليه من دلالات متقدمة.

وقد رأى بعض العلماء القدماء أن البحث في دلالة القرآن ثابتة، وغير خاضعة للتداول الكلامي إلَّا أنَّه في الوقت الحاضر نرى تطورًا دلاليًّا في مسايرتهِ للعلوم الحديثة لتبيان النص الإلهي في مسايرة العلم الحديث والوصول إلى حقائقه، ويظهر ذلك جليًّا في التفاسير المعروفة للمحدثين، هذا من جانب، ومن جانب آخر أننا نلمس أثر العلوم الحديثة وتداخلها مع دلالات القرآن الكريم في مجموعة كبيرة من تراكيب النص القرآني وتوافر حضورها في ذهنية القارئ المحدث، التي تختلف أكيدا عن حضورها في ذهنية القارئ القديم بفضل التطور الذي حقق بعدًا كبيرًا عن الوقوع في الإبهام، والغموض، والابتعاد عن الغريب، ويقترب من السهل الواضح بوساطة تعامله العلمي المتوجه نحو المتلقي" ويعترف علماء اللغة فضلا على علماء النفس بكثير من الحقائق التي كانت تعتبر مرفوضة على أساس أنّها ذاتية ولا يعول عليها. وثمة اسباب أخرى أيضًا لها علاقة بالتقدم التقني في حقل علم اللغة من ناحية، وفي حقلي المنطق وفلسفة اللغة من ناحية أخرى، بعثت الاهتمام بعلم الدلالة اللغوي إلى حد كبير"[١].

التطور الدلالي:

قبل الخوض في الشرح لا بدَّ من تعريف اللغة عند ابن جني(ت٣٩٢هـ) : "أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٢].

(١) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_ العراق، ط١، : ١٧ .

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط٤: ٣٣/١ .

وترتبط اللغة ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع، فاللغة مرآة للمجتمع تعكس ما فيه رقيًّا كان أم انحطاطًا، تحضرًا كان أم تخلفًا، فاللغة أداة ووسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع؛ إذ يعبرون بها عن شؤونهم واحتياجاتهم. وبعد التطور اللغوي من أكبر مظاهر الحيوية للغة لأنه انعكاس مباشر لكل نواحي التغيير في المجتمع ولا يقف عند مستوى معين من مستويات اللغة بل يشمل المستويات اللغوية كلها في المستوى الصوتي والتركيبي والنحوي وصيغ الكلمات ومعانيها فهي معرّضة للتغير بين حقبة وأخرى ولا يقع اعتباطًا دون ضابط أو نظام بل على وفق ضوابط وقواعد فكما أنَّ هناك ما يسمى بالقوانين الصوتية، كذلك هناك قوانين المعنى(١).

ويرى استيفن أنَّ اللغة ثابتة ومستقرة مقارنة نسبيّا إذا قورنت بالكلام وعلى الرغم من خضوعها للتغيير والتطور إلَّا أنها تسير ببطء شديد. وأنَّ بعض التغييرات الرئيسة التي تصيب اللغة قد تستغرق أجيالًا بل قرونًا طويلة حتى تنضج وتستقر وهي لا تتغير أو تبدل تبعًا للمزاج الفردي وإن أي ابتكار أو تجديد لغوي لابدَّ أنْ يكون بموافقة الجماعة اللغوية قبل أن يتقرر ويتثبت(٢).

وإن عددًا ليس بقليل من علماء اللغة المحدثين يفضلون مصطلح (التغيّر الدلالي) بدلًا من مصطلح (التطور الدلالي)، لأن الثاني يعد غير مناسبٍ والسبب هو أن معناه غير وارد في المعاجم اللغوية فهو قد يدلُّ على معنى الارتقاء فقط، وهذا ما لا تعنيه الدراسات الدلالية؛ لأن اللغة قد يحدث فيها الارتقاء أو الانحطاط وهذا ما يعنيه مصطلح التغيّر الدلالي، لذا يعد _ التغيّر _ أكثر تناسبًا في استعماله للغة (٣) .

_ هدف القرآن بين الهداية والعلمية

مثلما هو معلوم ومشاع أنَّ القرآن ليس كتاب علم بحت، بل هو كتاب هدى، فلا يمكن القول إنه من الكتب العلمية إلا أنَّه جاء بوصف شامل عن العالم المادي في صورة أصول وجوامع من

(١) يُنْظَر: لغويات محدثة في العربية المعاصرة ، محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشر ،٢٠٠٦م : ٣١ ـ ٣٢ .

(٢) يُنْظَر: دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، تح: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، الأردن، ط١: ٣٠ .

(٣) التغيّر الدلالي في معجم متن اللغة لأحمد رضا العاملي (ت١٩٥٣هـ) (رسالة ماجستير) ، هيام إسماعيل عليوي، إشراف: محمد عامر محمد، جامعة ميسان _ كلية التربية، ٢٠٢٠م: ١٩_ ٢٠.

العلم الدقيق الصحيح وساق كثيرًا من الحقائق العلمية التي لم يتوصل إليها العلماء إلا بعد مئات السنين من تنزيل القرآن _ وبعضها لم يصل إليها العلم حتى الآن _ وهو لم يتعارض أي معرفة صادقة وثابتة علميًّا على الرغم من زخم الكشف العلمي لم يبدُ أي تفاوت: من القرآن مع العلم أنَّ المقصود بالمعرفة العالمية الثابتة الصادقة هو ما صدق من قوانين علمية راسخة بالتجربة، والبرهان، والكشوفات التي أيدتها الأدلة القاطعة وأنَّ الاعتماد على هذه القوانين العلمية، كأنها نص قانون علمي ثابت وفي هذا الاعتماد نبتعد عما يخشاه بعضهم في بناء التفسير على مجرد آراء علمية ونظريات قابلة بفعل الزمن للتبديل أو البطلان أو الخطأ مما نثبت معه عجز القرآن، لا إعجازه [1].

الخلاصة: ليس من الإنصاف أن نقول إنَّ القرآن هو كتاب علمي فقط، وهذا يجرده من حقيقة نزوله مثلما في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:٢] وكذلك لا يمكن التسليم إلى أنَّ القرآن هو كتاب هداية من دون الإيمان بوجود قضايا علمية تنسجم مع الحقيقة الراهنة.

ومن هنا فالباحثة تتخذ منهجًا وسطيًا وذلك بالإفادة من الاكتشافات العلمية المعاصرة في الكشف عن الدلالات الغامضة التي خفي مقصدها على القدماء، بسبب عدم توافر السبل المناسبة في تحليلاتهم اللغوية .

(١) يُنْظَر: وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ، مكتبة المنار، الزرقاء_ الأردن، ط١، ١٩٨٢م: ٧٤ .

الفصل الأَوَّل

أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التَّفْسير الدَّلاليّ للأسماء في القرآن الكَرِيم

- المَبْحَثُ الأوّل: ـ الجموع واسماء الجموع
- المَبْحَثُ الثّاني: ـ اسماء المشتقات
- المَبْحَثُ الثّالث: ـ الاسم الجامد
- المَبْحَثُ الرابع: ـ المصادر
- المَبْحَثُ الخامس: ـ بقية الاسماء

الفصل الأَوَّل

أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التَّفْسير الدَّلاليّ للأسماء في القرآن الكَرِيم

توطئة

إنّ السياقات التي تؤثر في دلالة النصوص كثيرة، إذ إن معنى اللفظ لا ينكشف إلا عند وضعه في سياقات مختلفة ، ويتنوع السياق بحسب العناصر المحيطة إلى أنواع ، وأبرزها : سياق الموقف والسياق اللغوي، والسياق الثقافي، والسياق العاطفي[1] ، ويمكن أنْ يكون السّياق العلميّ مُؤثرًا بصورة جليّة في الكشف عن المعاني القرآنيّة ، بسبب ان التقدم العلمي أصبح له وجود بارز .

ولقد فسّر القدماء ألفاظ القرآن وقضاياه بحسب ما استطاعوا من توظيف اللغة، ومعارفهم، لكن القرآن لا يمكن أنْ يفهم بهذه الأمور فقط ؛ إذ إنّه مليء بالأسرار والخفايا التي تكشف بين الحين والآخر ؛ بسبب الاستغلال الأمثل للعلم الحديث ، ليثبت القرآن أنّه لكل زمان ومكان ، ومن هنا وجدنا طائفة من الألفاظ القرآنيّة تباين الأمر في بيان مدلولها سواء أكانت أسماءً أم كانت أفعالًا، وسيكشف البحث فيما يأتي عن أمور فسرها القدماء بشيء، ولكن تجد أن هذا التَّفْسير الدَّلاليّ قد تبين خطؤه مع تقدم العلم الحديث أو تبين أنه كان دون المستوى المطلوب .

إنّ الابحاث والتّجارب العلميّة والمساعي التي قدمها الإنسان كلها أفادته كثيرًا في إدراك الحقيقة الكامنة بالكشف عن نعم الله العظيمة، وقدرته العجيبة، ففي كل يوم تندهش البشرية بحقائق تخدم الإنسان على جميع المستويات سواء أكانت صحية أم اجتماعيّة أم ثقافية، فالله (عز وجلّ) لن تنقضي أسرار كتابه ، ولن يحيط العالم به شيئًا، وحتى تلك الابحاث المتطورة تعد قاصرة والحقائق التي جاء بها القرآن بتفسير واحد، وعن تجميدها بزمن معين فمن أسرار إعجاز النّص القرآني هو عدم انتهاء الدراسات العلمية به، فهو مليء بالعلوم الفنية، والأدبيّة، والعلميّة .

---

(1) يُنْظَر: علم الدلالة : ٦٨_٦٩

واللغة العربية كائن حي يطرأ عليه التطور، بسبب بعض العوامل وقد تتعرض لعوامل تؤثر فيها ، ومن هنا أصبح كثير من الدارسين يقارن ما وصلنا إليه من استعمالات معاصرة مع ما مضى من استعمالات فصيحة فيحكم عليه بالخطأ إذا خالف الاستعمال القديم ؛ إذ أصبح القديم هو المقياس ، وفي دراستنا سنقوم بشيء معاكس وهو النظر للقديم ولا نقصد الاستعمال اللغوي وانما طريقة تفسير النص القراني عند القدماء ونعرضها على ما جاء في العصر الحديث على وفق معطيات العلم الحديث . وهذا يتضح بالمخطط الاتي :

التّراث اللغويّ العربيّ

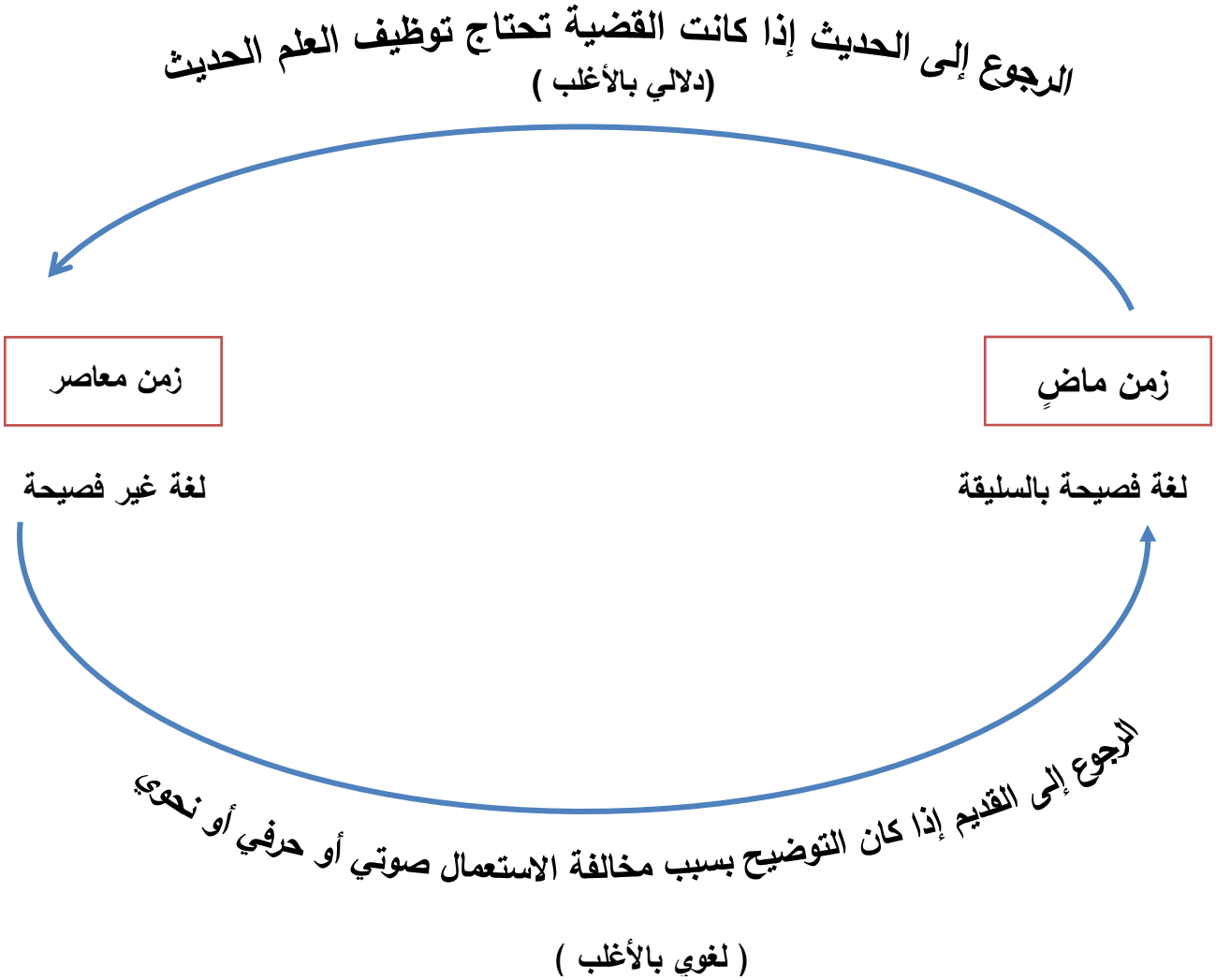

مخطط توضيح التصويب الدَّلاليّ وتصويب طائفة من التفسير الدلالي

إذ كان هنالك أثر في دلالة الاسماء وهذا ما نلاحظه بالآتي :

_ أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التَّفْسير الدَّلاليّ للأسماء

الاسم لغة:

اختلف اللغويون في تحديد أصل الاسم فبعضهم يراه أنه من (سمو) [١]، يبين الجوهري (ت٣٨٩هـ) أن الاسم من سما وسمو بمعنى الارتفاع والعلو، والاسم مشتق من سموت؛ لأنه تنويه ورفعةٌ ، وفيه أربع لغات : اسْمٌ واسْم بالضم ، وسُمٌ وسِم [٢] وهمزة الاسم للوصل فهي تسقط في درج الكلام ، وبعضهم يرى أن الهمزة والسين والميم كلمة واحدة في الاسم [٣]، وجاء أيضا : أسامة اسم من اسماء الأسد، وألف الاسم زائدة [٤] .

ملخص الأمر أن الاسم من الالفاظ التي اختلف في اشتقاقها ، والاقرب للواقع في معناه ما جاء في بيان الجوهري (ت٣٨٩هـ) بأنه من السمو وكأن الاسم به بيان الشخص أو الذات أو كل من يحمل ذلك المسمى، فالاسم علامة يعرف بها صاحبها.

الاسم اصطلاحًا:

الاسم هو أحد أقسام الكلام، إذ إنّ الكلام ينقسم إلى : اسم وفعل وحرف، والاسم عند سيبويه (ت١٨٠هـ) من مثل الفرس وحائط ورجل [٥]، وقال ابن سراج (ت٣١٦هـ) " الاسم ما جاز الإخبار

---

(١) يُنْظَر: القاموس المحيط، مجد الدّين محمد يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشّيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشّافعي(ت١٢٩١هـ) ، تح: أنس محمد الشّامي وزكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة _ مصر ، ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م : ٥٦.

(٢) يُنْظَر: تاج اللُّغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) ، تح : د. محمد محمد تامر و أنس محمد الشامي وزكريا أحمد ، دار الحديث _ القاهرة _ مصر، ١٤٣٠هـ _ ٢٠٠٩م : ٥٧٧.

(٣) يُنْظَر: مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن زكريا ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م : ١٠٤/١.

(٤) يُنْظَر: معجم مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله (ت٦٦٠هـ) ، تح : محمود دخاطربك ، مطبعة الأميرية _ القاهرة _ مصر، ١٣٣٨هـ_ ١٩٢٠م : ٧ .

(٥) يُنْظَر: الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تح : عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة _ مصر ، ط١، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م: ١٢/١.

عنه " [١] ، وعند الزجاجي (ت٣٤٠هـ) "أن الأسماء ما أبانت عن الأشخاص وتضمنت معانيها" [٢]، الا أن المحدثين من النحويين اعتمدوا التعريف الذي يرى بأن الاسم هو: اللفظ الدال على معنى [٣].

والاسم عند الأستاذ عباس حسن هو "كلمة تدلُّ على شيء محسوس، (مثل: بيت، نحاس، جمل، نخلة، عصفورة، محمد...) أو شيء غير محسوس يعرف بالعقل، (مثل: شجاعة، مروءة، شرف، نبل، نبوغ...) وهو في الحالتين لا يقترن بزمن" [٤].

من هنا ندرك أن الاسم : لفظ يدلُّ على معنى غير مقترن بزمن، فالكتاب يدلُّ على تلك الاداة المستعملة للقراءة من دون أن يكون هذا اللفظ مقترنًا بزمن .

وقد أشار الدكتور مرهف عبد الجبار سقا فيما يخص تأثير المكتشفات العلمية في التَّفْسير بقوله: "وقد خاض الكثيرون وخصوصًا في القرن الرابع عشر الهجري إلى يومنا هذا غمار هذا العلم من تخصصات مختلفة، منهم من أصاب ومنهم من جانب الصواب لفقدانه الملكة العلمية المؤهلة للخوض في غمار هذا العلم المحيط، كما تجد اضطرابًا في الدراسات المتعلقة بالإعجاز العلمي بسبب المفارقة بين التنظير لقواعد الإعجاز العلميّ والتّطبيق العملي لها"[٥].

وقد كشفت التفاسير القرآنيّة والدراسات المعاصرة عن دلالات الاسم كثيرًا، ولكن القرآن لكل زمان ومكان ومن المحال أن يحيط به إنسان ومن هنا وبعد الرقي الحاصل في التطور التكنولوجي تبين أنَّ طائفة من الاسماء الواردة في القرآن لها دلالات لم تبينها الدراسات السالفة ؛ بسبب أنَّ تلك الالفاظ تابعة لقضايا علمية، ومسائل كونية يصعب الكشف عنها في ذلك الوقت، وهذه الأسماء كان للتطور الهائل في العلم أثر في بيان دلالاتها بصورة أوسع من السابق، وتتميم دلالاتها في عرض آراء العلماء المختصين.

---

(١) الموجز في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج(ت٣١٦)، دار السلام للنشر والتوزيع : ٢٧.

(٢) الإيضاح في النحو ، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تح: الدكتور مازن المبارك ،دار النفائس، لبنان _ بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م : ٥٠ .

(٣) يُنْظَر: أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدّين عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) ، تح: محمد محيي الدّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت_ لبنان : ١٣ .

(٤) النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللّغوية المتجددة ، عباس حسن، دار المعارف ، القاهرة _ مصر ، ط٣: ٢٦.

(٥) التَّفْسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مرهف عبد الجبار سقا ، دار محمد الامين ، دمشق –سوريا ،ط١٤٣١,١ –٢٠١٠: ٢٠١٠: ٨.

فالدلالة ربما كانت ناقصة ؛ بسبب الغموض الموجود في كثير من الآيات القرآنية أي كانت هنالك إشارات مقتضبة وموجزة ومجملة جاء العلم الحديث؛ ليجعلها مُفصلة منها ، ويمكن بيان ذلك بوساطة تقسيمات البحث على موضوعات لغوية :

المبحث الاول :- الجموع واسماء الجموع

القسم الأوّل : الجمع

مفهوم الجمع لغةً: هو مصدر جمع المتفرق: ضم بعضه إلى بعض أو : اسم بمعنى الجماعة[١]، ويذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) أن "الجيم والميم والعين أصل واحدٌ، يدلُّ على نظام الشيء" [٢]، وكونه ضم شيء إلى شيء آخر فهذا يعني أنه لا يكون مع المجموع أي مع الأمور الكثيرة أو الاكثر من واحد.

أما في الاصطلاح فهو ما دلَّ على أكثر من اثنين وهذا ما بينه الانباري (ت٥٧٧هـ) بقوله " صيغة مبنية للدلالة على العدد الزائد على الاثنين، والأصل فيه أيضًا العطف كالتثنية، إلا أنهم لما عدلوا عن التكرار في التثنية طلبًا للاختصار، كان ذلك في الجمع أولى" [٣].

ويقسم الجمع على أنواع عديدة منها : جمع التكسير، جمع القلة ، جمع الكثرة ، جمع المذكر السالم، جمع المؤنث السالم، وكل منها له صيغ خاصة به ، ومن هذه الجموع التي هي محل دراستنا :

ـ الْحُبُكِ

الحبك هو جمع تكسير على وزن (فُعُل) جمع (حباك)، جاء في اللسان: "والتَّحْبِيك: التّوثيق وقد حَبَّكْتُ العقدة، أي وثقتها والحباكُ أنْ يجمع الخشب كالحظيرة... وحُبُك جمع حباك... والحبائك: الطّرق، واحدتها حَبيكَة، يعني بها السّماوات ؛ لأنّ فيها طرق النّجوم والمحبوك ما أُجيد عمله، والمحبوك المحكم الخلق من حبكتُ الثّوب إذا أحملت نسجته... ، وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد حبكته"[٤] ، وهذا يعني أنّ قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ **[الذاريات:٧]** إي إنّ السماء محكمة في بنائها، ولكن يبقى

---

(١) يُنْظَر: المعجم المفصل في النحو العربي، الدكتورة عزيزة فوّال بالبتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان، ط١ ، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٢م : ١/ ٤١٦ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن زكريا ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م: ١/ ٤٧٩– ٤٨٠

(٣) أسرار العربية، ابو البركات عبد الرّحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تح : بركات يوسف هبود ، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م : ٤٨ .

(٤) لسان العرب، ، أبو الفضل الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، نشر : أدب الحوزة ، قم _ إيران، ١٤٠٥هـ :١٠/ ٤٠٨.

هذا التَّفْسير غير خاضع لمنطق علميّ؛ فهو تفسير انطباعي لا يمكن التعويل عليه تمام التعويل ، ومن هنا تباينت الآراء عند القدماء ، إذ يرى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أنّ معنى الحُبُك هو الطّرائق، فقال :" حبك وحبائك وحبيك ، أي (طرائق) الواحد حبيكة وحباك وما أحسن ما حبكتها الرياح... وكساء محبك مخطط وكأنّ خطه وشي محبوك، وذهب مسبوك وللشّعر الجعد حُبُك... وحبكت الثوب كففته ، وحبكت الحبل شددته وبناء محبك موثق وحبكت العقدة وثقتها" [١]، وكأن الحبك لديه لا يخرج عن الخط والتوثيق .

وفسرت هذه اللفظة عند ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) (الْحُبُكِ) على أربعة أقوال: أحدها: ذات الخلق، والثاني: البنيان المتقن، والثالث: ذات الزينة، وحبكها: نجومها. والرابع: ذات الطرائق، والحُبُك: تكسّر كل شيء كالرّمل إذا مرّت به الرّيح السّاكنة، والماء القائم إذا مرّت به الرّيح، والشعرة الجعدة تكسرها حبك، وواحد الحبك: حباك وحبيكة. وأهل اللغة يقولون: الحبك: الطّرائق الحسنة، والمحبوك في اللغة: ما أجيد عمله ، وكلّ ما تراه من الطّرائق في الماء ، وفي الرّمل إذا اصابته الريح فهو حبك ، وقيل عنها: هذه هي السّماء السّابعة [٢] .

وقد أشير إلى ذلك أنّها " ذات الزّينة بالنّجوم، والصّنعة، والطّرائق الحسنة، وقيل : الحبك النّسج الحسن، يقال ثوب محبوك"[٣]، وفسّرها القرطبيّ (ت٦٧١هـ) بأنّها تشبه الطّرائق الموشّاة في الثّوب المحبوك المتقن[٤].

ويرى المحدثونَ أنّ الحبك هي المجرّة التي تبدو ليلًا في قبّة الجو أو هي طرائق السّحاب [٥].

---

(١) أساس البلاغة ، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري (٥٣٨هـ) تح: محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط١ ،١٤١٩هـ–١٩٩٨م: ١٥٠.

(٢) يُنْظَر: زاد المسير في علم التَّفْسير : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ : ٢٠٥.

(٣) المنتخب من تفسير القرآن، لجنة من علماء الأزهر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر، ط٨، ١٤١٦هـ_ ١٩٩٥م : ١٧٦.

(٤) يُنْظَر: الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ٣١.

(٥) يُنْظَر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٧ /١٠.

وجاء في التفسير الكاشف أنّ معناها هو أنّ الله سبحانه وتعالى خلق السماء بنظام، وإحكام، وزينة وجمالٍ [١].

وتتضح الرّؤية العلمية عند الشيخ مكارم الشّيرازيّ ، ويذكر نظرية (بطليموس) في الهيئة ، تتحكم بكل قواها في المحافل العلمية في العالم، وعلى أفكار النّاس ، وتنصّ هذه النّظريّة على أنّ السّماوات عبارة عن أجرام متداخلة تشبه قشور البصل، وإنّها لم تكن معلقة وبدون عمد، بل كلّ واحدة منها تستند إلى الأخرى . وهذه قبل نزول هذه الآيات لكن بعدها بألف سنة تقريبًا توصل العلم إلى أنّ هذه الفكرة غير صحيحة، والحقيقة هي " أنّ الأجرام السماوية لها مقرّ ومدار ثابت، ولا تستند إلى شيء، فالشّيء الوحيد الذي يجعلها مستقرّة وثابتة في مكانها هو تعادل قوة التّجاذب والتّنافر، فالأولى تربط الأجرام فيما بينها، والأخرى لها علاقة بحركتها .هذا التّعادل للقوتين الذي يشكل أعمدة غير مرئية يحفظ الأجرام السّماوية ، ويجعلها مستقرة في مكانها "[٢].

نستنتج مما قاله المفسرون القدماء أنّ آراءهم كانت في خلق السّماء الحسن المحكّم أو ذات الطرائق أو ذات النّجوم والزّينة، وهذا ما فهمه المفسرون المحدثون وفي ضوء معطيات العلم الحديث والقوانين الخاصّة بالطّبيعة تبيّنت حقائق كثيرة منها أنّ للسماء أعمدة غير مرئيّة تحفظها، وتجعلها ثابتة، ومستقرّة لكن هذا لا يجرد من الرّجوع إلى الخطاب السماويّ، وتحكيم عباراته لبيان الحقيقة كاملة .

وحريّ بنا التّطرق إلى أنَّه تصريح للسّماوات بأنّها ذات طرق محكّمة النّسج، فالنّسيج محبوك بدقّة، واتقان ويكون متداخلًا ومتشابكًا، ولكن بجمال وتنظيم ؛ فالدّلالة أنّ السّماوات ذات مسالك، وطرق، وأفلاك وأن الحبك جمع حبيكة أي: المتقنة النسيج، والقسم بالسماء ذات الحبك إشارة إلى أنَّها ليست مجالًا حرًّا لسبح، بل بطرق محددة مما يشير إلى دقة وصف القرآن الكريم [٣] .

---

(١) يُنْظَر : التَّفْسير الكاشف، محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط٤، ٢٠٠٧م: ١٤٣/٧.

(٢) الأمثل في تفسيى كتاب الله المنزّل، الشيخ ناصر مكارم الشيخ مكارم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٣٤هـ _ ٢٠١٣م :٧/ ٣٣١.

(٣) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وعد طاهر رشيد، (د. ط) ، (د. ت): ٣٨.

ـ الْخُنَّس والْكُنَّسِ

هاتان الصيغتان جمعا تكسير على وزن (فُعَّل) جمع (الخانس) و(الكانس)، وردت هاتان اللفظتان في القرآن الكَرِيم وتدلُّ كلمة (الْخُنَّس) على: الخفاء، مثلما ورد معناها عند الفراهيدي (ت١٧٠هـ) " الخُنُوسُ: الانقباض، والاستخفاء، والشَّيْطانُ، يُوَسْوِسُ في القلب، فإذا ذُكِر الله خَنَس، أي انقبض . الخُنَّسُ : الكواكبُ الخَمْسَةُ التي تَجْري وتَخْنُس في مَجْراها حتّى يَخْفَي ضَوْءُ الشَّمْس، وخُنُوسُها: اختفاؤُها بالنّهار "[١].

أما كلمة (الْكُنَّسِ) فتدلُّ على الاختفاء والاستتار ، و"الظبي يكنس : دخل في كناسه، كتكنس، وهو مستتره في الشجرة؛ لأنّه يكنس الرمل حتى يصل ... والجواري الكُنّس وهي الخُنّس؛ لأنها تكنس في المغيب، كالظّباء في الكنس، أو هي كلّ النّجوم؛ لأنّها تبدو ليلًا وتختفي نهارًا" [٢]، ويتضح ذلك في قوله تعالى:﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ** ﴾ [التكوير: ١٥-١٦]

لقد فسّرت كلمتا (الخُنَّس) و(الْكُنَّسِ) بمعنى النّجوم التي تخنس بالنّهار، وتكنس، وتجري في الليل، والخنس التي يتأخر طلوعها كلّ عامّ[٣]، وذهب بعضهم إلى أنّ الْكُنَّس هي: الروّاجع، بينا ترى النّجم في آخر البرج إذا كرّ راجعًا إلى أوله (الْكُنَّسِ) الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه ... وقيل: هي الدّراري الخمسة بهرام، وزحل، وعطارد، والزّهرة، والمشتري تجري مع الشّمس والقمر ، وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشّمس وقيل : هي جميع الكواكب تخنس بالنّهار، فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل أي: تطلع في

---

(١) كتاب العين: ٤٤٨/١.

(٢) القاموس المحيط، مجد الدّين محمد يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشّيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشّافعي(ت١٢٩١هـ) ، تح: أنس محمد الشّامي وزكريا جابر أحمد ، المطبعة الميمنية ، القاهرة _ مصر ، ط١، ١٣١٩هـ _ ١٩٠٢م: ١٤٣٨.

(٣) يُنْظَر: جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر مصر _ القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م : ١٥٣/٢٤ـ ١٥٥.

أماكنها كالوحش في كنسها[١]، وهكذا هاتان اللفظتان قد فسّرتا عند أغلبهم برجوع أصل معناهما إلى الستر والاختفاء[٢].

وجاء القول عند المحدثين بأنّهما تشيران إلى الكواكب التي تغيب عن أبصارنا نهارًا، وظهورها للبصر ليلًا [٣]، ومما يؤيد ذلك السعدي فأقسم الله بها في حال خنوسها وتأخرها وغيابها عن الأبصار واختفائها في النهار[٤]، وذكر السّيد الطباطبائي الخنس بمعنى الاختفاء "والخُنَّس جمع خناس كطُلَّب جمع طالب، والخنوس الانقباض، والتأخر، والاستتار... والكنس جمع كانس والكنوس دخول الوحش كالظّبي والطّير كناسه ، أي بيته الذي اتخذه لنفسه، واستقراره فيه "[٥]، ويترجّح القول في أنّ الاختفاء في وقت معين بمكانها المخصّص لها وظهورها من وقت إلى آخر.

وأكدت العلوم الفلكية والآفاق بأنّ الله سبحانه وتعالى أقسم بالكواكب المختفية عن الأبصار التي أطلق عليها (المذنبات) والتي جاءت بتسميه (الخُنَّس) في القرآن الكَرِيم و(الْكُنَّسِ) للسبب نفسه وأنّ المذنبات تتميز بحركتها المستطيلة حول الشّمس، ويمتدّ بعضها عبر الفضاء إلى ما بعد كوكب نبتون وتختفي عشرات السنين لتكمل دورتها الواحدة ويكون لها ذيول تتحرك عبر السّماء كأنّما تكنسها ؛ لذا سميت بالكنس أيضا[٦].

ويتضح مما سبق أنّ الله سبحانه وتعالى حين أقسم بالكلمتين (الخُنَّس والْكُنَّسِ) فهي دلالة على عظمة ما أقسم به، وقدرته في صنعها على تقسيم الكواكب، والأجرام السماوية قبل أن يكتشفها العلماء المعاصرون المختصون بعلوم الافاق والعلوم الفلكية وهي حقيقة النّجوم ثابتة، والكواكب سيارة .

---

(١) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، تح: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت _ لبنان ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م : ١١٨٣.

(٢) يُنْظَر: مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسي (ت٥٤٨هـ) ، دار العلوم للتحقيق والطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ _٢٠٠٥م : ٢١٥/١٠.

(٣) يُنْظَر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة الأزهر، ط١ ، ١٣٦٥هـ _ ١٩٤٦م ٥٧/٣٠ـ ٥٨.

(٤) يُنْظَر: تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السّعدي ، تح: عبد الرحمن بن معَلّا اللّويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م :١٩٤١.

(٥) الميزان، في تفسير القرآن السّيد محمد حسين الطّباطبائي (قدس سره) ، تصحيح حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة) ، بيروت _ لبنان ، ط١ ،١٤١٧هـ _ ١٩٩٧م :٢١٦/٢٠ـ ٢١٧.

(٦) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في القرآن الكَرِيم والسنة النبوية المطهرة، ربيع عبد الرؤوف الزواوي: ٢٨.

ـ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ

وردت هاتان اللفظتان في القرآن الكريم ، ودلّت كلمة (المشارق) على معنى الطلوع فـ " شَرَقتِ الشّمسُ : طلعت، خلاف غَرَبتْ (صباح شارق)...

مشارِقُ: جمع مشرق وهو اسم مكان من شرَقَ: مكان أو جهة شروق الشمس شتّان بين مشرق ومغرب... المشارق والمغارب: مواضع شروق الشّمس، وغروبها المختلفة على مدار السّنة ـ جاب مشارق الأرض ومغاربها: أكثر من السّفر والتّجول"[١].

أما المغرب فأصله من (الغَرْب) :المَغرِبُ. "والغُرُوب: غَيْبُوبَةُ الشَّمْسِ، ويقال: لَقِيتُه عند مُغَيْرِبان الشَّمْسِ ... والغُرْبَةُ: الاغتِرابُ من الوَطَن. وغَرَبَ فلانٌ عَنّا يَغْرُبُ غَرْبًا، أي تَنَحّى، وأَغْرَبْتُه وغَرَّبْتُه أي نَحَّيْتُه. والغُرْبَةُ: النَّوَى البعيد، يقال: شَقَّتْ بهم غُرْبَةُ النَّوَى" [٢]، ووردت في قوله تعالى:**﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠]**

وهنا لم تتبين الحقيقة العلمية عند المفسرين القدماء التي توحي إليها هذه الآية ، ففسرت عند الطبري (ت٣١٠هـ) بأنها " مطلع الشمس ومغربها، ومطلع القمر ومغربه" [٣].

ويرى الطبراني(ت٣٦٠هـ) معنى الآية " فأقسمَ بربِّ مشارق الشّمس ومغاربها في الشّتاء والصّيف، يعني مشرق كلّ يوم في السّنة ومغربه" [٤].

ويخالفه السمرقندي (ت٤٧٥هـ) بأنّ معناها الجهة التي تشرق الشّمس منها وتغرب، فذكر" وإنما أراد به الناحية التي تطلع الشّمس، والنّاحية التي تغرب الشّمس منها ، وقال في آية أخرى : رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ يعني : مشرق الشّتاء، ومشرق الصّيف، وربّ المغربين لذلك ؛ وقال في هذا الموضع : بِرَبِّ الْمَشارِقِ يعني :

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب ،ط١، ١٤٢٩ هـ _ ٢٠٠٨ م :١/ ١١٩٢ـ ١١٩٣.

(٢) كتاب العين :٣/ ٢٧١.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن : ٢٩/ ٥٥.

(٤) التَّفْسير الكبير (تفسير القرآن العظيم) ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني (ت٣٦٠هـ) تح: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي ، دار الكتاب الثقافي ، الاردن ، ط٢ ،٢٠٠٨ : ٦/ ٣٥١.

مشرق كلّ يوم ؛ وهي ثمانون ومائة مشرق في الشّتاء ومشرق مثلها في الصّيف . وَالْمَغارِبِ يعني : مغرب كل يوم" [١].

وعند الرّازيّ (ت٦٠٦هـ) هو مشرق ومغرب كلّ يوم من السّنة أو مشرق ومغرب كلّ كوكب، أو قد تكون ظهور دعوة كل نبيّ في المشرق وبالمغرب موته [٢].

والحقيقة التي غفل عنها القدماء، أشار المحدثون إليها ، وهي تعدد المشارق والمغارب في اليوم الواحد نفسه ؛ فنوّه عنها المراغي بقوله: إنّها قسم برب الكواكب، ومشارقها، ومغاربها [٣]، وأيّده الطباطبائي بقوله" المراد بالمشارق والمغارب مشارق الشمس ومغاربها فإنّ لها في كلّ يوم من أيام السّنة الشّمسيّة مشرقًا ومغربًا لا يعود إليها إلى مثل اليوم ومن السّنة القابلة ، ومن المحتمل أنْ يكون المراد بها مشارق جميع النّجوم ومغاربها [٤] ، وهي إشارة إلى تذكير ربوبيته للمشارق والمغارب.

والذي أشار إليه السّيد الخوئيّ إلى أنّ هذه الألفاظ وردت بصيغة الجمع ، ويراد بها أجزاء الكرة الأرضيّة وهذه إشارة إلى كرويتها وأنّ طلوع الشمس على أحد أجزائها يحتم الغروب من الجزء الآخر [٥].

وزاد الدكتور منصور محمد حسب النبي على رأي السيد الخوئي بقوله " وميل المحور الوهميّ للأرض على مستوى فلكها حول الشمس يؤدي إلى تتابع الفصول من شتاء، فربيع، فصيف، فخريف على مدار السنة. ولولا ميل هذا المحور والمسار الاهليجي (البيضاوي) للأرض حول الشمس لاختفت الفصول وتساوى طول الليل والنهار في جميع بقاع الأرض"[٦].

---

(١) تفسير السمرقندي (تفسير بحر العلوم)، نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الليث السمرقندي ، تح: الشيخ علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود ،زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ،ط١ ،١٤١٣هـ –١٩٩٣م : ٣/ ٤٩٧.

(٢) يُنْظَر: مفاتح الغيب:٣٠/ ١٣٢.

(٣) يُنْظَر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة الأزهر، ط١ ، ١٣٦٥هـ _ ١٩٤٦م: ٢٩/ ٧٦.

(٤) الميزان: ٢٠/ ٢٢.

(٥) يُنْظَر: البيان في تفسير القرآن، آية الله العظمى السّيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ،انوار الهدى ، ط ٨ ، ١٤٠١هـ _١٩٨١م: ٧٤ ـ ٧٥.

(٦) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الدكتور منصور محمد حسب النبي ، دار الفكر العربي ،القاهرة ط٢ ، ١٩٩١م: ١٥٩.

وتدلُّ هذه الآية على خطوط الطول ودوائر العرض – والله أعلم – التي لم يلتفت إليها القدماء؛ بسبب افتقارهم العلمي للكونيات ، فتجدهم حمّلوها معاني تعارضت مع ما قرره العلم الحديث.

ـ عَمَدٍ

نبّه القرآن الكريم على التفكر في الجوانب العلميّة المتعلقة بالكون التي وردت فيه، ويتجلى بعضها في سورة الرعد بكلمة (عَمَد) ، التي هي جمع ومفردها " العمودُ : عمود البيت، وجمع القبَّة أعمدة ، وجمع الكثرة عَمَد وعُمُد... والعماد: الأبنية الرفيعة ... وعمدت للشيء أعمِدُهُ عمْدًا: قصدت له، أي: تَعَمَّدتُ. وهو نقيض الخطأ، وفعلت ذلك عَمدًا على عين، وعَمْدَ عينٍ "[1]، وهي من الآيات التي قالها الله في الآفاق، والتّجاذب الحركيّ ما بين النّجوم، والكواكب في قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾** [الرعد : ٢]

ويرى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أنّ (العمد)" كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك، وقيل : هي صفة لعَمَد " [2] ،ويذكر الفخر الرّازي (ت٦٠٦هـ) أنّ الأجسام العظيمة بقيت واقفة في الجوّ لوجهين:

الأول : أن الأجسام متساوية في تمام الماهية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول كل جسم في ذلك الحيز. والثاني: هو أن الخلاء لا نهاية له، ولا يجوز أن يقال إنها بقيت بسلسلة فوقها ولا عمد تحتها[3].

---

(1) مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله (ت٦٦٠هـ) ، تح : محمود دخاطربك ، مطبعة الأميرية ، القاهرة _ مصر، (د. ط) ، ١٣٣٨هـ_ ١٩٢٠م :٨٠٩.

(2) تفسير الكشاف : ٥٣٣.

(3) يُنْظَر: مفاتح الغيب: ٢٣٦/١٨.

ويلحظ أنّ هذا التَّفْسير بدائي لا يخضع لدليل قاطع ، وهكذا اذا بحثنا في سائر التفاسير، فلن نجد ما يكشف عن المراد، فمثلا ذهب ابن كثير(ت٧٧٤هـ) إلى أنّ الله يخبرنا عن كمال قدرته ؛ إذ رفع السماوات بغير عمد بإذنه [١]، من دون ان يكشف عن المراد بتلك العمد .

وفريق منهم نفى وجود الأعمدة وذهب الآخر إلى أنّ هذه الأعمدة موجودة لكن غير مرئية وقيل: إنها بأعمدة لكن لا ترونها والسماء مبنيّة على الأرض مثل القبة [٢]، وتفسير قوله ﴿بغير عمد ترونها﴾ هو فصل السماوات من الأرض وإنزال امطارها وصواعقها عليها وهي مرفوعة بغير عمد محسوس ، وهذه دلالة على أمور أخرى يجهلها الإنسان مرتبطة بالأمور السماوية (بغير العماد) ، وصف مطلق بعدم وجوده [٣].

وقد أقام العلماء المعاصرون بمسح الأرض والفضاء بواسطة الأقمار الصّناعية ولم يجدوا أثرًا لهذه الأعمدة ولا تعجب من عدم رؤيتك لها ، فالعين تبصر ولا تدرك ، فقانون السّمع وقانون الجاذبيّة وقانون الكهرباء كلها ظواهر لا يدركها الإنسان[٤].

وحديث القرآن عن الظواهر الكونية المتعلقة بالسّماء والمسائل التي يستشكلها المفسرون ممّا يدفعهم إلى الاختلاف في آرائهم غير أنّ العلم بيّن أنّ المراد من ذلك ناتج عن قوى التّجاذب التي تنظم الكون كلّه ابتداءً من الذرة وانتهاء بالمجرّة، فالشّمس تجذب الأرض إليها بقوة هائلة ، ولو انعدم جذب الشمس لها لخرجت الأرض عن مسارها واندفعت في متاهات الفضاء الكونيّ[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي (ت٧٧٤هـ) ، دار ابن الحزم ، بيروت _ لبنان، ط١ ، ١٤٢٠هـ_ ٢٠٠٠م: ٢/ ٥١٧.

(٢) يُنْظَر: الدر المنثور في التَّفْسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الفكر – بيروت: ٣٦٠/٨ـ ٣٦١.

(٣) يُنْظَر: الميزان: ٢٨٧/٦١ـ ٢٨٨.

(٤) يُنْظَر: تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي ، دار المعارف، ط٣، ١٩٩١م.

: ٧١٥٩/١٢ـ ٧١٦٠، والأمثل في كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيخ مكارم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٣٤هـ _ ٢٠١٣م: ٣٢٩/٧.

(٥) يُنْظَر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، دار ابن حجر ، ط٢، ١٤٢٤هـ _٢٠٠٣م: ٢٧٦ .

وملخص الأمر أن القدماء تأرجحوا بين الإشارة المجانبة للصواب أو تجنب الخوض في بيان المقصد الحقيقي بالعمد، وفسروا الآية تفسيرًا عابرًا، أما المحدثون فذهبوا إلى أنّ إمساك ما في الكون بلا عَمَد يعني به الجاذبية وهي أمر غير ملموس.

ـ وَأَلْوَانِكُمْ

ألوانكم على وزن (أفعال) وهي جمع كلمة (لون)، وفي المعجم دلّتْ على " لون الشيء تلوينًا جعله ذا لونٍ . ولون البشر بدا فيه أثر النضج . تلون الشيء تلونًا صار ذا لون واختلفت الوانه "[1]، ويتوضح ذلك في قوله (عزّ وجلّ) : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾ [الروم : ٢٢]

فقد دلَّت كلمة (ألوانكم) في الآية الكَرِيمة عند القدماء على أنّهم خلقوا ما بين بيض، وسود، وحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة [2]؛ لكن اختلف بعضهم في تفسيرها وقيل إنّها الألسنة، واختلاف النطق، وأشكاله حتى تراهم لا يتشابهون في الصفات من فصاحة أو نظم أو أسلوب أو في همس ولا جهر أو حدة أو رخاوة.

ولو تشابهت الصفات لتعطلت مصالح كثيرة ووقع الالتباس، فلو رأيت توأمين يتشابهان في الحلية، فيعروك الخطأ في التمييز بينهما ، فهذه حكمة الله تعالى في المخالفة بين البشر[3]، وليس هذا فقط بل زاد الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) على ذلك فقال " الاختلاف الذي بين ألوان الإنسان فأن واحدًا منهم مع كثرة عددهم وصغر حجم خدودهم وقدودهم لا يشتبه بغيره، والسموات مع كبرها، وقلة عددها متشابهات في

---

(1) محيط المحيط، بطرس البستاني(ت١٨١٩هـ) ، تح: محمد عثمان دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، (د. ط)، ١٩٧٧م: ٨٢٣ .

(2) يُنْظَر: الكشف والبيان في تفسير القرآن، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ) ، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٤م : ٣٥/٥.

(3) يُنْظَر: تفسير الكشاف: ٨٢٨.

الصورة" [١]، أما الجانب الاخر فهو الاختلاف في لغتهم؛ ليعرف احدهما عن الآخر وكذلك للتمييز بين الأشخاص وليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق[٢].

بينما لم يختلف التَّفْسير عند المحدثين كثيرًا، لكن أضفى عليه الاختلاف في تصوير الأعضاء، وهيئتها وألوانها والتمايز بين الناس وحتى أن التوأمين مع توافقهما في معظم الصفات إلا أنهما يختلفان في شيء لا محالة ، فتشتمل كلمة الالوان في الأنواع كما يقال : ألوان الطعام وألوان الحديث[٣].

ومن ناحية أخرى ، جاء عند السّيد الطباطبائي "ويمكن أن يستفاد اختلاف الألسنة من جهة النظم والاصوات، ونحو التكلم، والنطق، وباختلاف الألوان اختلاف كل فردين من أفراد الإنسان بحسب اللون لو دقق فيه النظر على ما يقول به علماء هذا الشأن، فالباحثون عن العالم الكبير يعثرون في نظام الخلق على آيات دقيقة دالة على أنّ الصّنع والإيجاد مع النّظام الجاري فيه لا يقوم الا بالله ولا ينتهي إلا إليه " [٤]، وذهب الأغلب إلى أن الاختلاف يكون في جميع الصفات النطقية أو الشكلية واختلافهم فيه[٥].

وبعد الدراسات الحديثة اكتشف أنّ لكل إنسان لونًا خاصًّا به يميزه من غيره، وعلى الرغم من وجود مليارات البشر الذين يعيشون على الأرض تحت ظروف بيئية وجوية مختلفة ، وهذا ما دفع العلماء إلى اكتشاف جهاز خاص يتعرف على هوية الإنسان الحقيقية[٦]، وأن تمايز المخلوقات البشريّة باختلاف بعضها عن بعض بكثير من السّمات والصّفات، ويرجع ذلك إلى الاختلاف في الجينات، ويعدّ هذا الاختلاف نعمةً من نعم الله التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى علينا ؛ فعلى الرغم من تعدّد هذه البشرية إلا أنّه لا يوجد تشابه في خلقهم ولونهم أو لغاتهم وثقافاتهم وهذه من عجائب خلق الله .

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٥/ ١١٢.

(٢) يُنْظَر: المصدر نفسه : ٢٥/ ١١١.

(٣) يُنْظَر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمد الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٤م : ٣٢/٢١.

(٤) الميزان: ١٦/ ١٦٧.

(٥) يُنْظَر: تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ١٣٣١- ١٣٣٢.

(٦) يُنْظَر: نهج البلاغة والطب الحديث: الدكتور صادق عبد الرضا علي، دار المؤرخ العربي ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ٢٤٠.

ـ أَمْشَاجٍ

جمع مشج ، وجاءت كلمة (مشج) في المعاجم اللغوية بمعنى الخلط " الميم والشين والجيم أصلٌ صحيح، وهو الخلط .ونطفةٌ أمشاجٌ، وذلك اختلاط الماء والدّم"(١)، وذكر ابو بكر الرازي (ت٦٦٠هـ) " بينهما خلط من باب ضرب . والشيء (مشيج) والجمع (أمشاج) كيتيم وأيتام "(٢)، إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الدهر : ٢]

وفسّر الثّعلبيّ (ت٤٢٧هـ) المشج بأنّه اختلاط بين ماء الرّجل والمرأة، فقالَ إنّ الامشاج هو " خلاط واحدها مشج ومشيج ... ، يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرّحم فيكون منها جميعًا الولد"(٣) .

ومثله ما جاء في تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ) هو أخلاط أيضا " اي أخلاط والمشج والمشيج : الشيء الخليط بعضه في بعض... (نطفة أمشاج) يعني ماء الرّجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم الأمشاج: هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة"(٤)، ويتبين لنا ممّا سبق أنّ كلمة (أمشاج) كانت لديهم تعني مجرد التقاء أو أخلاط عنصرين فقط .

ومن المحدثين من ذهب إلى أنّ أمشاج " صفة لنطفة ووصف بالجمع وهي مفردة ؛ لأنّ بها مجموع ماء الرجل والمرأة ... أو باعتبار الأجزاء المختلفة فيهما رقة، وغلظًا، وصفرة، وبياضًا، وطبيعة، وقوة وضعفًا حتى اختصّ بعضها ببعض الأعضاء على ما أراده الله تعالى بحكمته فخلقه بقدرته ... والحاصل أنه نزل الموصوف منزلة الجمع ووصف بصفة أجزائه "(٥).

وذكر الطباطبائي في تفسيره أنّ هذه الآية تدلُّ على الماء القليل؛ و " النطفة في الأصل بمعنى الماء القليل غلب استعماله في ماء الذكور من الحيوان الذي يتكون منه مثله وأمشاج جمع مشيج أو مشج بفتحين

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٣٢٦/٥.

(٢) مختار الصحاح: ٢٦١.

(٣) الكشف والبيان في تفسير القرآن : ٣٣٨/٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي (ت٧٧٤هـ) ،دار ابن الحزم ، بيروت _ لبنان، ط١ ، ١٤٢٠هـ _ ٢٠٠٠م : ١٩٤٥.

(٥) روح المعاني: ٢٩/ ١٥٢.

أو بفتح فكسر بمعنى المختلط الممتزج ووصفت بها النطفة باعتبار أجزائها المختلطة أو اختلاط ماء الذّكور والاناث" [١].

وأيدت الدراسات الحديثة ما جاء به القرآن الكَرِيم ؛ بسبب ما توصل إليه العلم فـ " النطفة المختلطة التي اختلط وامتزج فيها ماء الرجل بماء المرأة. وتهاجر البيضة الملقحة بتطوراتها العديدة عبر قناة الرحم إلى تجويفه وتأخذ شكل قطرة الماء، ولها خاصية الحركة الانسيابية كقطرات الماء تمامًا. وينتهي هذا الطّور بتعلق الكيسة الأريمية ببطانة الرّحم في نهاية الأسبوع الأول من التلقيح؛ وهي الصورة الأخيرة للنطفة الأمشاج"[٢].

وهذه الحقيقة لم تكن معلومة عند المفسرين القدماء؛ بسبب جهلهم بالمعرفة الفسيولوجية أو (علم وظائف الاعضاء) وبيّن العلم بأنّ هذا المني مشحون بعناصر مختلفة ، وليس فقط التقاء العنصرين.

ويتضح ما أشرنا إليه فنجد في سورة الدهر بيان المراحل التكوينية للجنين من النطفة إلى العلقة ومن ثمَّ المضغة ، وهذه الحقائق مختصّة (بعلم الأجنّة) الذي أصبح علمًا قائمًا بذاته، لكن القرآن أشار إليه منذ الالاف السنين .

القسم الثاني : اسم الجنس الجمعي

وهو نوع من أنواع الجموع الذي يطلق على الجمع القليل أو الكثير إذ قيل إن" اسم الجمع لا يقع على الواحد، والاثنين، بخلاف اسم الجنس" [٣]. وهو ما تضمّن معنى الجمع دالّا على الجنس، وله مفرد مميّز عنه بالتاء أو النسبة نحو: تفّاح، ومفردها تفاحة بطيخ ومفردها بطيخة، أو النسبة نحو: عرب، ترك ومفردهما عربي، وتركي، ويكثر ما يُميَّز عنه مفرده بالتاء في الأشياء المخلوقة، دون المصنوعة نحو : نخل، نخلة [٤]، ومن أمثلته:

---

(١) الميزان: ١٢١/٢٠.

(٢)الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، عبد الجواد الصاوي، دار جياد ، ط١ ، ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م : ٥١ _ ٥٢ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق : يحيى بشير مصري ، الإدارة العامة للثقافة والنّشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السّعودية ، سلسلة نشر الرّسائل الجامعية (١٥) ، ط١ ، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م : ٢/ ١٧٨.

(٤) يُنْظَر: الجموع في اللغة العربية، عبد الله محمد هنانو: ١٩.

_ بَنَانَهُ

يشير أبو بكر الرازي (ت٦٦٠هـ) إلى أنَّ البنانة هي" واحدة البنان وهي أطراف الأصابع، ويقال بنان مخضب؛ لأنّ كلّ جمع ليس بينه وبين واحده إلّا الهاء فانّه يوحّد ويذكّر" [١]، وهو اسم جنس جمعي لأنه يفرق بين جمعه ومفرده بالتاء (بنان : بنانة) ، وقد ورد في قوله تعالى: **﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة :٣-٤]**

وهنا تباينت آراء المفسرين في بيان كلمة (بنانه)، فذهبَ المفسرون إلى أنَّها أطراف الأصابع [٢]، وهي عند الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) تلميح إلى سائر الأعضاء ، فوضّحها بقوله : " إنّ تقدير الآية كنا قادرين على أنَّ نسوي بنانه في الابتداء فرحبا أن تبقى قادرين على تلك التّسوية في الانتهاء... نبّه بالبنان على بقية الأعضاء" [٣]، وعلى العكس من ذلك ما ذكره القرطبي (ت٦٧١هـ) وقال معنى البنان هو الاصابع " أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كخفّ البعير، أو كحافر الحمار، أو كظلف الخنزير، ولا يمكنه أنْ يعمل به شيئًا، ولكنّا فرّقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء ... جعل لك أصابع فأنت تبسطهن، وتقبضهنّ، ولو شاء الله لجمعهن ؛ فلم تتق الأرض إلا بكفيك " [٤]، ولكن الباحثة لا تتفق مع هذا التَّفْسير؛ فالجمع أي جمع الأصابع الذي قال به القرطبيّ لا يمكن أنْ يكون من المساواة، فالجمع شيء والمساواة شيء آخر، لقد وقع القرطبي بهذا الوهم؛ لأنّه غاب عنه المقصد الحقيقي للبنان.

وقد ذكرَ المحدثونَ منهم ابن عاشور أنّ البنان أطراف الأصابع التي في نهاية الجسد ؛ إذ يقول" والبنان أصابع اليدين، والرجلين، أو أطراف تلك الاصابع، وهو اسم جمع بنانةٍ وإذ كانت هي أصغر أعضاء الواقعة في نهاية الجسد كانت تسويتها ما قبلها كما تقول : قلعت الريح أوتاد الخيمة كناية عن قلعها الخيمة كلّها فإنه قد يكنّى بأطراف الشيء عن جميعه "[٥]، أي تابع القدماء في المضمون، بينما فصّل الطباطبائي ما تشير إليها كلمة (بنانه) فقال : "وتخصيص البنان بالذكر – لعله_ للإشارة إلى عجيب خلقها بما لها من الصور، وخصوصيات التركيب والعدد تترتب عليها فوائد جمة لا تكاد تحصى من أنواع القبض، والبسط، والأخذ، والرد، وسائر الحركات اللطيفة

---

(١) مختار الصحاح: للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله (ت٦٦٠هـ) ، تح : محمود دخاطربك ، مطبعة الأميرية ، القاهرة _ مصر، (د. ط) ، ١٣٣٨هـ_ ١٩٢٠م: ٢٧.

(٢) يُنْظَر: تفسير القمي أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(ت٣٢٩هـ)، مؤسسة الإمام المهدي، ط١ ،١٤٣٥م: ١١٨/٣.

(٣) مفاتح الغيب: ٣٠ /٢١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بم أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تصحيح: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب للطباعة والنّشر والتوزيع ، الرّياض _ المملكة العربية السّعودية ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٣م :٤٠٩/٢١.

(٥) التحرير والتنوير التحرير والتنوير، محمد الطّاهر ابن عاشور ، الدّار التّونسية للنشر ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٤م :٣٤١/٢٩.

والأعمال الدقيقة، والصنائع الظريفة التي يمتاز بها الإنسان من سائر الحيوان مضافًا إلى ما عليها من الهيئات والخطوط التي لا يزال ينكشف للإنسان منها سر بعد سر" [١]، وهو هنا يشير إلى ما يدلُّ على عدم وصول المفسرين فيما توحيه بعض الألفاظ من دلالات علميّة في الآيات القرآنية وعجزهم هذا لقلة معرفتهم في العلوم ولا سيما البايلوجية ـ ، لذلك عبّر عنها السيد الطباطبائي بـ (لا يزال ينكشف للإنسان منها سر بعد سر) .

وبعد قيام دراسات عميقة، وحديثة أثبتت إبراز جوانب الحكمة والإبداع في تكوين رؤوس الأصابع من عظام دقيقة وتركيب الأظافر فيها ووجود الأعصاب الحسّاسة وغير ذلك، وثم اكتشافها في القرن التاسع عشر الميلاديّ أثبت علم التّشريح أنّ الخطوط الدقيقة الموجودة في رؤوس الأصابع تختلف من شخص لآخر فهي تكون أقواسًا أو دوائر أو عقدًا أو على شكل مركبّات [٢]، وأثبت العلم أنّ لكل إنسان بصمة خاصّة به لا تتغير بالمرض أو بمراحل تقدم العمر، ومن هنا استعانت بها أجهزة الأمن للوصول إلى المجرمين والاستدلال على مرضى الأعصاب وفقد الذاكرة وهذا السرّ العجيب في أطراف الأصابع التي تميز شخصية صاحبها [٣]، ومن هنا ندرك التَّفْسير الشاسع بين القدماء والمحدثين، فبفضل التقدم العلميّ الهائل وتوظيف التّكنولوجيا كشف هذا الأمر بيان المقصد القرآني بصورة جلية .

ـ الْمُزْنِ

إن المزن هي السحاب والواحدة منها : مزنة، فهي اسم جنس جمعي ، والمازن: بيض النمل[٤]، وقيل تحديدًا السحابة البيضاء ، والمزنة : السحابة البيضاء والممطرة[٥]، وجاء استعمالها في قوله تعالى : **﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾** [الواقعة: ٦٩_٧٠]

وهنا فسّرت (المزن) عند القدماء بالسحاب بلا خلاف [٦]، وقيل إنها السماء والسحاب[١]، وحددت عند بعضهم بأنّها السحاب الأبيض الذي يكون ماؤه عذبًا صالحًا للشرب [٢].

---

(١) الميزان :١٠٤/٢٠.

(٢) يُنْظَر : موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد ، دار ابن حجر ، ط٢، ١٤٢٤-٢٠٠٣م: ١٧١.

(٣) يُنْظَر: الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، د. فهد خليل زايد ،دار النفائس ،لبنان، (د. ط) ، (د. ت): ٧٤.

(٤) يُنْظَر: كتاب العين: ١٣٨/٤.

(٥) يُنْظَر: مختار الصحاح: ٢٦.

(٦) يُنْظَر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) ، تح : عبد السّلام عبد الشّافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م : ٢٤٩/٥.

وبعد هذا الاختلاف في كلمة (المزن) عند القدماء جاء المحدثون ؛ ليبينوا مدلولها في أنّ المزن من السحاب الذي فوقكم إلى قرار الأرض وهو ماء عذب، تشربونه، وانزله عليكم، وفصّل القول عند ابن عاشور فذكر " جعل استدلالا منوطًا بإنزال الماء من المزن على طريقة الكناية بإنزاله، عن تكوينـــه صالحًا للشرب ؛ لأن إنزاله هو الذي يحصل منه الانتفاع به، ولذلك وصف بقوله تعالى: (الذي تشربون) ، وأعقب بقوله (لو نشاء جعلناه أجاجًا) ، فحصل بين الجملتين احتباك كأنه قيل: أانتم خلقتموه عذبًا صالحًا للشرب وأنزلتموه من المزن لو نشاء جعلناه أجاجًا، ولأمسكناهُ في سحاباته، أو أنزلناه على البحار أو الخلاء ، فلم تنتفعوا به "[٣].

وهنا تكمن أهمية الماء في حياة الإنسان وتتزايد أهميته مع مرور الزّمن وتقدم الصّناعات والمعرفة الإنسانيّة وأنّ المؤسسات الصّناعية لا تكون لها القدرة على الفاعليّة إلا حينما تكون على ضفاف الأنهار ولو أراد سبحانه أنْ يذيب الأملاح في مياه البحار، كان هذا يكون بالتبخر؛ ليشكل غيومًا بعد صعودها إلى السماء؛ لكنه لا يسمح للأملاح ولا الميكروبات أن تصعد إلى السماء من البخار؛ لذا تكون القطرات أطهر عند المطر[٤].

(١) يُنْظَر: الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تصحيح : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب للطباعة والنّشر والتوزيع ، الرّياض _ المملكة العربية السّعودية ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٣م : ٢١٤/٢٠.

(٢) يُنْظَر: البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م: ٢٧٠/٥.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطّاهر ابن عاشور ، الدّار التّونسية للنشر ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٤م : ٢٧/ ٣٢٤، و يُنْظَر: تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، ط١ ، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م: ١٤٧/٢٧.

(٤) يُنْظَر: الإعجاز العلمي، الشيخ عبد الله الغديري ، دار المحجة البيضاء ،ط١ ،١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م: ١١٦.

المَبْحَثُ الثاني : اسماء المشتقات :

المشتقات من الموضوعات المهمّة في العربية ، وقد اهتم اللغويون القدماء فيها ؛ ذلك لأنّ اللغة العربيّة لغة اشتقاقيّة، إذ تتولد فيها مواد لغوية متعددة انطلاقًا من الجذر المعين، إذ نجد الجذر الواحد تشتق منه مجموعة من الكلمات[١]، ومن ذلك قول السيوطي(ت٩١١هـ) : "محال أنْ يشتق العجمي من العربي، أو العربي منه؛ لأنّ اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى مواضعة كانت أو إلهامًا، وإنّما يشتقّ في اللغة الواحدة بعضها من بعض؛ لأنّ الاشتقاق نتاجٌ، وتوليدٌ ، ومحال أن تنتج النّوق إلا حُورانًا، وتلد المرأة إلا إنسانًا"[٢]، ومن أبرز موضوعات المشتقات التي كان للعلم الحديث أثر في الكشف عن معانيها:

القسم الاول : اسم الفاعل

ورد اسم الفاعل عند سيبويه (ت١٨٠هـ) في قوله " اسم الفاعل [الذي] جرى مَجْرَى الفِعْل المُضَارع في المفعول في المعنى فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في (يفعل) كان نكرة منونًا وذلك قولك: هذا ضاربٌ زيدًا غدًا فمعناه وعَمَلُهُ هذا يضرب زيدًا [غدًا]"[٣]

ويرى الحريري (ت٥١٦هـ) التشابه الحاصل بين اسم الفاعل والفعل المضارع؛ لاتفاقه في الحروف والحركة والعمل فقال: إن (ضَارِب) تمثل (يَضْرِبُ) في القول، فعدد حروفها أربعة أحرف وهي متحركة ما عدا الحرف الثاني، ولهذا التشابه والاتفاق أعملَ اسم الفاعل مثلما يعمل الفعل المضارع[٤].

---

(١) يُنْظَر: الاشتقاق اللغوي ، أحمد أبركان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة_ المغرب: ١١.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، شرح وتعليق: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، ١٩٨٧م: ٢٨٧.

(٣) الكتاب: ١/ ١٦٤، و يُنْظَر: شرح ملحة الاعراب، أبو محمد القاسم بن علي محمد بن محمد بن عثمان الحريري (ت٥١٦هـ) قدّم له وحققه وعلّق عليه وأعرب أبياته وشرح شواهده : د. أحمد محمد قاسم، دار الكلم الطّيب ، دمشق _ بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠٢م: ٩٨.

(٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيه بن مالك ، للمرادي المعروف بابن أم قاسم (ت٧٤٩هـ) ، تح: د. عبد الرحمن علي سّليمان ، دار الفكر العربي ، القاهرة_ مصر، ط١ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م :٢/ ١٢.

ويعرف اسم الفاعل على أنه " الصفة الدالة على فَاعِل جاريةٍ في التذكير والتأنيث على المضارع من افعالها لمعناه أو معنى الماضي" [١]. ويرى صاحب النحو الوافي أن اسم الفاعل هو "اسم مشتق من الفعل الثلاثي على وزن فاعِل ودلالته على من قام بالفعل مثل: نصر: ناصر . كتب : كاتب " [٢].

ويصاغ اسم الفاعل من الثلاثي على وزن (فاعِل) ، "وذلك يجري على كلّ فعل ما فتح عينه سواء أكان لازمًا أم متعديًا ، مثل : ذَهَبَ ذَاهِبَ وضَرَبَ ضارب ، ويجري على الفعل المكسور العين مثل : رَكِبَ رَاكِب" [٣]

ويصاغ من غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبداله حرف مضارعه ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر نحو: اخْرَجَ يَخْرُجُ مُخرِج [٤]، ومن أمثلته:

ـ الثَّاقِبُ

هو اسم فاعل من الفعل الثلاثي (ثقب) ، وهو من الأجرام السّماوية التي هي جزء من عظمة الخالق، ويرجع أصل معناها إلى " المضيء كأنّه يثقب الظّلام بضوئهِ ، فينفذ فيه وقيل المرتفع على النجوم وهو مأخوذ من قول العرب للطائر اذا لحق ببطن السماء قد ثقب الطائر ، وقيل المراد زُحَلُ ؛ لأنهُ معهود بالثقب " [٥]، والنجم الثاقب يشير إلى النجوم المضيئة والمتلألئة في السماء، وذلك يتبين في قوله تعالى: **﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا إدراك مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾** [الطارق :١_٣]

---

(١) علم النحو العربي، عبد القادر محمد مايو، تح: زهير مصطفى يازجي، دار القلم العربي:١٠

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بهاء الدّين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) ، تح : محمد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الغدير للطباعة والنّشر ، قم _ إيران ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ : ٢/ ١٣٤.

(٣) يُنْظَر: أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، محمد محيي الدين عبد المجيد، أبو محمد عبد الله جمال الدّين عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) ،تح: محمد محيي الدّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت_ لبنان، (د. ط) ، (د. ت): ٢/ ١٤٥.

(٥) القاموس المحيط : ٨٢.

فسّرت لفظة (الثاقب) بأنه المضيء المتوهج الذي يثقب[١]، والثاقب اسم للجنس، وقيل إنه الثريا وهي ظاهرة للضوء، يقال ثقب النّجم إذا أضاء، وثقبت النار، وثقبت الرّائحة اذا سطعت، ويقال للمُوْقِد اثقبْ نارَكَ أي أضئها[٢]، وعندهم النّجم الثاني هو الذي يظهر ليلًا ويختفي في النهار.

وحقيقة الثقب عند المحدثين هو خرق شيء ما، وهو استعارة لظهور النور بواسطة ظلمة الليل وشبه النجم بالمسار أو نحوه، وظهور ضوئه بظهور ما يبدو من المسمار بواسطة الجسم الذي يثقبه مثل لوح أو ثوب وأن استعارة الثقب هو لبروز شعاع النّجم في الليل؛ لأنّ الشّهاب ينقض، فيلوح كأنّه يجري في السماء كما يسير السائر إذا أدركه الليل ثم يغيب عن النّظر[٣]، تبيّن عند الطباطبائي أنّ الثقب بمعنى الخرق ، ثم صار بمعنى النيّر المضيء؛ لأنّه يثقب ظلام الليل بنوره، ويأتي أيضًا بمعنى العلو والارتفاع[٤].

ومثله ما جاء عند الشيخ مكارم الشيرازي ، فقال: الثّاقب يقصد به النّجم اللامع مع علوه الشّاهق ، وكأنّ نوره السّاطع يريد أنْ يثقب ستار الليل الحالكة، وليس كل نجم يطلق عليه (الثّاقب) ، بل النجوم التي تثقب بأنوارها ظلمة الليل[٥]، فيتضّح لدينا مما جاء به المحدثون أن النجم الثاقب هو النجم المتلألئ بضوئه اللامع اللافت لك للانظار الذي يثقب ظلام الليل لكن سرعان ما يختفي ويغيب .

ووجود كلمة (الثاقب) ما هي إلا قرائن ترجح أحد المعاني أو توسعها في دلالة اللفظ والمراد به هو ليس دليلا على أن المراد بالنجم الثاقب: الثقوب السوداء لاتفاق اللفظ معه ولو إشارة؛ لأنّ الثاقب اسم فاعل وهو يقوم بالثقب، فالنّور يثقب الظلمة أما الثقوب السّوداء فهي مثقوبة غير ثاقبة والاتجاه الآخر الذي تستدلُّ به الآية هو انطفاء الشمس دون أنْ يكون ثقبًا أسود، والثقوب السوداء هي نجوم اقترب فناؤها، ونفد وقودها، وان كبرت كتلة النجم من الكتلة الحرجة، ينكمش النجم، ويتقلص تقلصًا يسحق معه الذرات الأنوية في كثافة مريعة إلى أن تكوّن بما يسمى (الثقب الأسود) وهو جاذبية قويّة عند ذلك يكون منطقة مظلمة في الكون

---

(١) يُنْظَر: جامع البيان: ٢٤/ ٢٨٩ـ ٢٩٠.

(٢) يُنْظَر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) ، تح : عبد السّلام عبد الشّافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ _٢٠٠١م: ٤٦٤.

(٣) يُنْظَر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٩ـ ٢٦٠.

(٤) الميزان :٢٠/٢٥٨.

(٥) يُنْظَر: الأمثل : ٢٠/١٠٥.

وأول اكتشاف لها كان أوائل عام ٢٠٠١م [١]، وبما أنّ بعض المفسرين فسّر (النّجم الثّاقب) بأنّه الذي يثقب الظّلام بضوئه، ولكنه قد يكون الثّقب الأسود – مثلما ورد عند الدكتور مرهف – بدليل أنّه يثقب الفضاء الكوني في جريانه ؛ لأنّه يكنس الفضاء ويجذب إليه كل ما يصادفه فيخلف نفقًا خاليًا من المادة والطّاقة وكأنّه يثقب الفضاء الكونيّ فعلًا بمروره . وأنّ الثّقب الأسود خطير للغاية ، وكأنه طارق الهمّ الغمّ؛ لأنّه يلتهم كل ما يصادفه، ويشملنا الله بعنايته وحفظه من وقوع الأرض في مصيدة الثقب الاسود[٢]، ومن هنا ندرك لماذا عبّر القرآن عن ذلك الجرم السماوي بالثاقب، فهو ممن يقوم بالفاعلية ، ولهذا نسب اليه الاثقاب، وهذا الأمر كان للعلم الحديث أثر في تبيينه والكشف عنه.

ـ نَاصِيَتِهَا

ورد ذكر (الناصية) ومشتقاتها في أكثر من موضع في الذكر الحكيم في آيات عديدة منها : في سورة العلق، وسورة هود، وسورة الرحمن، ويرجع أصلها إلى: " نصا أو نصو الناصِيَةُ قُصاصُ الشَّعَر ، ونَصَوتُه : قَبَضْتُ على ناصيته فمدَدْتُها " [٣]، وجاءت في قوله تعالى:**﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [هود: ٥٦]

وفي هذه الآية لم يتنبه القدماء إلى ما توحيه كلمة (الناصية)، فجاء تفسيرها عند السمرقندي أن الله سبحانه قادرٌ على أن يحييها، ويميتها، ويرزقها وهي في ملكه، وسلطانه[٤]، والناصية قص الشعر وأصل الناصية الاتصال، وقوله (آخذ بناصيتها) مع أنه المالك والقادر على التصرف كيف ما يريد[٥]، وقد تناول

---

(١) التَّفْسير والإعجاز العلمي في القرآن الكَرِيم، مرهف عبد الجبار سقا، دار محمد الأمين ، دمشق_ سوريا ، ط١ ، ١٤٣١هـ _ ٢٠١٠م : ٢٣٨_ ٢٤٠.

(٢) يُنْظَر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكَرِيم ، د. منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر ، ط٢ ، ١٩٩١: ٢٧٠.

(٣) كتاب العين: ٤/ ٢٣٠.

(٤) يُنْظَر: تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ، أبو ليث بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السّمرقندي (ت٣٧٥هـ) ، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النّوتي ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م : ١٣١/٢.

(٥) يُنْظَر: التبيان في تفسير القرآن الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح ،أحمد حبيبي العاملين ، دار احياء التراث العربي، (د. ط) ، (د. ت): ٦/ ١١ـ ١٢.

الزمخشري (ت٥٣٨هـ) معنى الآية بأنه التوكل من الله باشتمال ربوبيته عليهم، وما من دابة في الأرض الا في قبضته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بنواصيها تمثيل لذلك[١].

وعند المحدثين أنّ النّاصية في الآية أعلاه هي كناية عن عظمة الله وقوته، ونهاية قدرته، وكونه تعالى على صراط مستقيم، أي سنته ثابته غير متغيرة[٢]، أي إنّ السّيطرة تكون لله سبحانه وتعالى والتّصرف فيها والهيمنة عليها، وقيل إنّ النّاصية هي مقدمة الرّأس وبها خصلة من الشّعر ، وعندما تريد أنْ تهين شخصًا تمسكه من خصله الشعر هذه (الناصية) وتشده منها[٣].

وشابه الشيخ مكارم الشيرازي ما جاء به صاحب الميزان في أن الناصية هي كناية عن التسلط والسيطرة على جميع الاشياء؛ لأن من أحكم الإمساك على شعر مقدمة الرأس سواء أكان إنسانًا أو حيوانًا فإنه يسلب منه قوته وقدرته على المقاومة عادة [٤].

ووصف أحد اساتذة التشريح الجهاز العصبي يبحث في الناصية ؛ ليبين باستقرائه لمعاني الذكر الحكيم عن وظيفة (النّاصية) أنها المسؤولة عن تكوين الشّخصية، ولها وظيفه أخرى وهي الهيمنة، والسيطرة، وقوة الشخصية، وهي تكون في مقدمة الرأس التي تقع في أعلى الجبهة، وذلك يتفق مع ما جاء في القرآن أي إنّ هذه المنطقة هي مسؤولة عن مراكز التّفكير، والتّركيز، والذّاكرة الموجهة لتصرفات الإنسان مثل: الصّدق، والكذب، والصّواب، والخطأ، ومبادئه بعمل الخير، والشّر[٥]، وهذا وصف دقيق لهذه المنطقة التي عبّر عنها عنها القرآن الكَرِيم ووجوب أنْ تؤاخذ بعنف؛ لأنّها كانت مصدرًا عن الخطأ، ومن هنا جاء بها القرآن الكَرِيم في صيغة الفاعلية كونها المركز لكثير من الاجراءات الإنسانية.

---

(١) يُنْظَر: تفسير الكشاف: ٤٨٨.

(٢) يُنْظَر: الميزان: ١٠/٣٠٢ـ ٣٠٣ .

(٣) يُنْظَر: تفسير الشعراوي:١١/٦٥١٠.

(٤) يُنْظَر: الأمثل: ٦/٥٦٧.

(٥) يُنْظَر: المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكَرِيم براهين ساطعة وأدلَّة قاطعة، علي محمد محمد الصلابي: ٢٩٨ـ ٢٩٩ .

.

ـ سَائِغًا

إنّ لفظة (سَائِغًا) هي اسم فاعل من ساغ الثلاثيّ " وزنه (فاعل) وفيه قلب حرف العلّة همزة لمجيئها بعد ألف فاعل شأن كلّ فعل معتلّ أجوف" [١]، ويرجع إلى " ساغ شرابُه في الحَلْقِ، وأَساغَه الله . وسوَّغْتُ فلانًا ما أصابَ. وهذا سَوْغُه، أي وُلِدَ على أَثَرِه" [٢]، وورد ذكر هذه اللفظة في قوله تعالى: **﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأنعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦]**

يذكر المفسرون القدماء تفسير لفظة (سائغًا) " أي مريئا لهم لا ينفرون منه، ولا يشرقون بشربه، وذلك من عجيب آيات الله ولطف تدبيره وبديع حكمته، الذي لا يقدر عليه غيره، ولا يتأتى من أحد سواه" [٣] أي: لا يغص فيه شاربه.

ويبين ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) أن سائغًا تعني " سهلا في الشرب لا يشجى به شاربه ، ولا يغصّ . وقال بعضهم : سائغًا، أي : لا تعافه النّفس وإنْ كان قد خرج من بين فرث ودم " [٤]

ويشابه ذلك التَّفْسير ما جاء عند الرازي (ت٦٠٦هـ) بقوله "جاريًا في حلوقهم لذيذًا هنيئًا . يقال : ساغ الشّراب في الحلق وأساغه صاحبه "[٥].

ونجده أيضا في التَّفْسير الكبير " أي متيسّر الجري في الحلق، لا يغصّ به شاربه . وإنما لم يقل في بطونها؛ لأنّ الأنعام والنّعيم واحد، فكأنه ردّ الكناية إلى النّعيم" [٦].

والأمر عند المحدثين يختلف، فيذكر الشيخ مكارم الشيرازي قضية مهمة وعلمية فقد " أن اللبن يترشح من غدد خاصّة داخل ثدي الإناث ، ومادته الأصلية تؤخذ من الدم والغدد الدهنية .

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي ، دار الرشيد –مؤسسة الإيمان ، ط٣، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م : ١٤/ ٣٤٨.

(٢) كتاب العين: ٢/ ٢٩٤

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٤٠٠.

(٤) زاد المسير في علم التَّفْسير : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ط ١، ١٤٢٢ هـ: ٣٣٨.

(٥) مفاتيح الغيب :٢٣٤/٢٠.

(٦) التَّفْسير الكبير (تفسير القرآن العظيم) : ٤/ ٧٢.

فهذه المادة الناصعة البياض ذات القوّة الغذائية العالية تنتج من الأغذية المهضومة المخلوطة بالفضلات، ومن الدم والعجب يكمن في استخلاص هذا النتاج الخالص الرائع من عين ملوّثة "[١]، فالخالص والسائغ بمعنى (لذيذ) وسريع الهضم لشاربه.

وجعل بعض العلماء مفردة (سائغًا) تحمل دلالة على وجود سكر اللبن فيها، وهو محتمل من أنه يعطي حلاوة للبن، فيجعله مستساغًا للشرب، وتعطي مفردة (سائغًا) معنى أعم من كونه مستطابًا أو ينحدر إلى الحلق بسهولة أو يستطيب النّاس طعمه، وحلاوته لما يحتويه من أساسيات الغذاء الضّرورية للجسم ولا ندري ما ستكشفه الأبحاث والتّحاليل من خصائص اللبن كسهولة انحداره عند تناوله، فلا يغصّ شاربه، وسريانه في الجسم لا تجد جسمًا يرفض تقبل اللبن، وهضم ما فيه[٢].

ـ مُوسِعُونَ

إنّ كلمة (موسعون) بالأصل هي اسم فاعل من(أوسع) فهو(موسِع) ، وهي نقيض الضيق ، فقال ابن منظور(ت٧١١هـ) و"السعة: نقيض الضيق وقد وسَعِهَ يَسَعُه ويَسِعهُ سَعَةً ...واستوسع الشيء: وجده واسعًا وطلبه واسعًا وأسعه وسعه: صيره واسعًا ... أراد جعلنا بينها وبين الأرض سعة. جعل أوسع بمعنى وسع "[٣]، ومنه ما جاء في قوله تعالى:**﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾** [الذاريات :٤٧]

عبّر المفسرون القدماء عن معنى (موسعون) بمعنى وسعنا أرجاءها، وإنا قادرون على توسيعها كما نريد[٤]، ويختلف الأمر عند الطّبرسيّ (ت٥٤٨هـ) بأنّه يرى في تفسير كلمة (موسعون) هو أنّ الله قادر على خلق ما أعظم من السّماء، وقيل فيها أيضا الوسع في الرزق في المطر، وإنا لذو سعة لخلقنا ورزقهم رزقا لا نعجز عنه[٥]، مثلما في تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ) إذ قال " قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد عمد حتى استقلت كما هي "[٦].

---

(١) الأمثل: ٩٤/٧.

(٢) يُنْظَر: التَّفْسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا، دار محمد الامين ،دمشق _سوريا ،ط١,١٤٣١هـ –٢٠١٠م: ٥٩١.

(٣) لسان العرب ، أبو الفضل الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، نشر : أدب الحوزة ، قم _ إيران، ١٤٠٥هـ : ٤٨٣٥.

(٤) يُنْظَر: بحر العلوم:٣/ ٢٨٠.

(٥) يُنْظَر: مجمع البيان: ٣/ ٢٨٠.

(٦) يُنْظَر: تفسير القرآن العظيم : ٢٠٤/٩ـ ٢٠٥.

وقف العلماء القدماء حائرين أمام توسعة السّماء لكونها خارجة عن إدراكهم ولكن بمجيء العلم الحديث، والتطور العلميّ تبينت التّوسعة في الكون على وفق ما يعرف بالانفجار الكونيّ، اذ أخذ الكون بالتوسّع ، وهذا ما أشار إليه صاحب تفسير الوسيط بقوله " إنّ التوسعة مستمرة على الزّمن وهذا ما أثبته العلم الحديث وعرف بنظرية التمدد التي أصبحت حقيقة علمية في أوائل هذا القرن"[١]، وتوافق مع السّيد المراغي في تفسيره وقال: "أي التوسعة الممتدة"[٢].

والعلم الحديث وضح كيف " أن الانفجار الكبير للكون هو بداية تشكله وأخذ يتوسع باستمرار كما أقرت الآية المباركة وتشير إلى حقيقة مبهرة وهي أن منظر السماء في الليل يبين لنا أنّ الكون ساكن لا حركة فيه ؛ لكن النجوم تنتقل بسرعة قد تبلغ مئات الكيلو مترات والعلماء أكدوا أن أقرب نجم يبعد عنا ٥٦ مليار سنة ضوئية"[٣]

ومنذ زمنٍ بعيد هزّ هذا الموضوع علماء الجغرافيا هزًّا عميقًا ، وكان هذا الموضوع محصورًا بالنظر في تجمع الأرض ، ولقد وصل كثير من الباحثين المحدثين بوسائل مختلفة من مقاس الابعاد إلى نتائج كادت تقترب إلى حجم الأرض الطبيعي آنذاك، وذهب بعض العلماء إلى معتقد ثابت في كروية الأرض، قضى بأن سُبْع الأرض فقط كانت تغشاه المياه، فإن المحيط الواقع في غربي أوربا وشرق آسيا، لا يمكن أن يكون بهذا الاتساع، وامتداد اليابسة فوق الكرة الأرضية لا بد أن تكون الأرض أصغر بكثير ممّا قدّر لها [٤].

وعرفت هذه الحقيقة العلمية في القرن العشرين ، التي تنص على أن الكرة السماوية ليست ثابتة وأن الكون يتسع بالتسلسل الدائم المتصل اللانهائي ، وهذا الاتساع لا يتوقف بل يبقى مستمرًّا في النمو في كل لحظة [٥]، وجاءت (موسعون) اسم فاعل مجموعًا جمع مذكر سالمًا ؛ للدلالة على الحاضر والمستقبل [١]،

---

(١) التَّفْسير الوسيط ، محمد السيد الطنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، ط١ ١٤٠٤ هـ -١٩٨٤م : ١١٠٥/٨.

(٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة الأزهر، ط١ ، ١٣٦٥هـ _ ١٩٤٦م: ٨/٢.

(٣) القرآن والعلم الحديث، ذاكر عبد الكَرِيم ،ترجمة فاتن الزلباني : ٩

(٤) يُنْظَر: المصدر نفسه: ٩.

(٥) يُنْظَر: الإعجاز العلمي للقرآن الكَرِيم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية ، أحمد المرسي حسين جوهر، ط١ ،١٤٢١هـ_٢٠٠٠م : ١١.

وما يفهم من دلالتها بأننا وسعناها وسنستمر في توسعتها مستقبلًا وأن حقيقة الاتساع جاء بها القرآن منذ مئات السنين وأيدها وبينها العلماء والمختصون في هذا المجال .

القسم الثاني : اسم المفعول

هو الاسم المشتق الدالّ على المعنى المجرد غير الدّائم ويدلُّ أيضًا على من وقع عليه هذا المعنى ولا يصحّ إلا إذا دلَّ على الأمرين في آن واحد ، وهما المجرد ومن وقع عليه المعنى، فعند القول (العادل محفوظ برعاية ربه) فإن كلمة (محفوظ) تدلُّ على المعنى المجرد، ويقصد به الحفظ ، ويدلُّ على من وقع عليه الحفظ[٢].

ويصاغ من الفعل الثلاثي على وزن (مفعول) نحو : (مقتول) [٣] ، ويصاغ من غير الثلاثي على لفظ مضارعه المبني للمجهول مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، نحو: استمع/ يستمِع/ مُستمَع ، استَخرِج/ يستخرج/ مُستخرَج[٤]، ومن أمثلة ذلك ما جاء في القرآن الكَرِيم :

ـ مَوْزُونٍ

كلمة (موزون) هي من الوزن " كالوعد... وموزون، كمقعد، والوزين : الحنظل المطحون . ووزن نفسه على كذا: وطنها عليه، كأوزانها "[٥]، وورد في قوله تعالى:**﴿وَالأرض مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾** [الحجر: ١٩]

فسرت كلمة (موزون) عند القدماء بمعنى بحدٍّ معلومٍ أو من كلِّ شيء مقدورٍ [٦]، وذكر القمي (ت٣٢٩هـ) أن معناها أنّا قدرنا معلومًا لكل ضرب من الحيوان، وقيل إنّ كل شيء عندنا خزائنه وما ننزله

---

(١) يُنْظَر: اسم الفاعل صوغه وعمله، د. محمد عبدالله سعادة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس عشر ، شعبان١٤١٦هـ:١٣٤.

(٢) يُنْظَر: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللّغوية المتجددة ، عباس حسن، دار المعارف ، القاهرة _ مصر ، ط ٢٦، (د. ت): ٣/ ١٩٥.

(٣) يُنْظَر: شرح شذور الذهب ، ابن هشام ، تح: محمد محي الدين، دار الفكر ، بيروت_ لبنان: ٣٧٠

(٤) اسما الفاعل والمفعول في القرآن الكريم دراسة نحوية صرفية وصفية دلالية ،خديجة السر محمد علي ، تح: محمد غالب عبد الرحمن ، (رسالة ماجستير) دار النشر جامعة ام درمان الإسلامية ، السودان ،ط١ ١٤٣١هـ _٢٠١٠م

(٥) القاموس المحيط : ١٥٧١ .

(٦) يُنْظَر: جامع البيان: ١٤/ ٣٤ـ ٣٦.

إلا بقدر معلوم [١]، وسار بعضهم على أن كل ما يخرج من الجبال سواء أكانت حديدًا أو رصاصًا أو فضة أو ذهبًا فهو مقدر ومقسوم[٢].

يتبين التَّفْسير عند المحدثين بأنّه مقدر ومعلوم، وكلّ ما هو نافع متقوّم يضطر إليه العباد من نخيل وأعناب، وأصناف الأشجار، وأنواع النّباتات، والمعادن[٣]، وقيل في (موزون) هو "المستعار المقدر المضبوط "[٤]، وفصّل المعنى عند الطّباطبائي ، فقال :"هو تقدير الأجسام من جهة ، ثم عمّم لكل تقدير لكلّ ما يمكن أنْ يتقدر بوجه كتقدير الطّول بالشّبر والذّراع ونحو ذلك، وتقدير الحجم، وتقدير الحرارة، والنور والقدرة وغيرها ... فالمراد _والله أعلم _ إنبات كل أمر موزون ذي ثقل ماديّ يمكن أنْ يزيد وينقص من الاجسام النباتية و الأرضية . ولا مانع على هذا من أخذ الموزون بكل من معنييه الحقيقي والكنائي "[٥]

ويشير ذلك الى النظام العجيب والحساب الدقيق والتناسق في التقدير في شؤون النباتات، كلّ جزء منها خاضع لحساب معيّن لا يقبل التّخلخل من السّاق، الغصن، الورقة، الزّهرة حتى الثّمرة، ومفهوم الانبات تستعمل في اللغة العربية لإحداث المعادن ويشمل جميع المخلوقات في الأرض أيضا[٦].

ودلالة هذه الآية المباركة على أنّ كل ما ينبت في الأرض له وزنه الخاصّ وثبت أنّ لكل نوع من أنواع النباتات مركبًا من أجزاء خاصّة على وزن مخصوص، بحيث لو زُيِدَ أو نقص في أجزائه لكان مركبًا آخر. وأنّ نسبة بعض الأجزاء إلى بعض من الدقّة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقًا بأدقّ الموازين المعروفة للبشر[٧]، يكفي أنْ نرى اليوم لكل عنصر عددًا ذريًّا خاصًّا به، ونرى العناصر الموجودة بالكون بمقاييس محددة، وهذا من الإعجاز العلميّ الذي اختصّ به القرآن الكَرِيم.

---

(١) يُنْظَر: تفسير القمي : ١/ ٣٧٤ـ ٣٧٥.

(٢) يُنْظَر: بحر العلوم: ٢١٧/٢.

(٣) يُنْظَر: تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان : ٨٦٠.

(٤) التحرير والتنوير: ١٤/ ٣٥.

(٥) الميزان: ١٢/ ١٣٧ـ ١٣٨.

(٦) يُنْظَر: الأمثل: ٦٠٢/٦.

(٧) يُنْظَر: البيان في تفسير القرآن، آية الله العظمى السّيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ،انوار الهدى ، ط ٨ ، ١٤٠١هـ _١٩٨١م : : ٧١.

القسم الثالث: اسم التفضيل

ـ أَوْهَنَ

أوهن هو من صيغ التفضيل على وزن (أفعل) ، وهو من الضعف يقول ابن منظور(ت٧١١هـ) : إن الوهن هو "الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم" [١] وورد في قوله (عز وجل):﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [**العنكبوت: ٤١]**

وقد بيّن المفسرون القدماء منهم القمي(ت٣٢٩هـ) أن الوهن هنا يكون في بيت العنكبوت من الناحية التكونية [٢].

وعند ابن كثير (ت٧٧٤هـ) جاء تفسيره بالضعف بقوله :"إنّ الوهن هو الضعف إي إن أضعف البيوت هو بيت العنكبوت " [٣] .

وعبّر بعضهم عن الضعف هذا بالضّعف المعنوي مبينًا :" أن الضعف هنا ضعف معنوي ؛ لأنّه لا يحميهم من الحيوانات المفترسة وغيرها" [٤].

ومن هنا ندرك دوران التفاسير في بيان أن الوهن هنا هو ضعف ، وذلك يتجلى بعدم استطاعة بيت العنكبوت مقاومة الاضرار الخارجية .

وكشف بعض المفسرين المحدثين عن "أن خطأ العنكبوت ليس في اتخاذ البيت ، بل في اتخاذه هذه الخيوط الواهية بيتًا له فهي ريح قادرة على الإحاطة به" [٥] أي: إنّ الوهن الذي يقصد به ليس الوهن الشكلي.

ووضّح السيد الطباطبائيّ ما تشير إليه هذه الآية توضيحًا دقيقًا ؛ إذ يؤول المعنى إلى صفة المشركين في اتخاذهم من دون الله أولياء كصفة العنكبوت في اتخاذه بيتًا له وهو وصف يدلُّ عليه تنكير (بيتا) والبيت هنا بيان لصفة بيت العنكبوت ، ولم يقل: إنّ أوهن البيوت لبيتها ، أي إنّ هنا المقصود بالبيت ليس

---

(١) لسان العرب :٤٩٣٤.

(٢) يُنْظَر :تفسير القمي: ٣٧٧/٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم: ١٤٣٦/٦.

(٤) تفسير الوسيط: ٤٠٦/١٨.

(٥) تفسير الشعراوي: ١١١٣٧.

البيت الشكلي المتكون من الخيوط الرفيعة ؛ بل الضعف معنوي ، وهو الحرمان من المودة، والرحمة، واتخاذهم من دون الله اولياء كاتخاذ العنكبوت بيتًا وهو أوهن البيوت إذ ليس من آثار البيت إلا اسمه لا يدفع حرًّا ولا بردًا [1]

ولكن العلم الحديث قد أثبت أن خيط العنكبوت اقوى من مثيله من الصلب بثلاث مرات، وأقوى من خيط الحرير وأكثر مرونة والحقيقة الثانية التي كشفها العلم مؤخرًا أن أنثى العنكبوت هي من تقوم بنسيج بيتها وليس للذكر علاقة في هذا الأمر وتاء التأنيث الموجودة في الفعل (اتخذت) هي دلالة على إدارتها، واتخاذها مسؤوليته.

وكذلك الضعف هو دلالة اجتماعية وليست مادية والسر البايلوجي الذي كشفه لنا العلم هو أنه أبعد البيوت عن وصفه بالأمان، والاطمئنان، والسكينة، فالأنثى تقتل ذكرها بعد التلقيح، وتأكله، والأبناء يأكل بعضهم بعضهم الآخر بعد الخروج من البيض[2].

وبسبب التقدم العلمي في القضايا البايلوجية تبين التَّفْسير الصحيح الذي ثبت علميًّا بأن القضية تبين ان الوهن هنا وهن اجتماعي؛ فالأسرة العنكبوتية ضعيفة جدًّا ؛ بسبب افتقاد الوئام والمودة فيما بينها مثلما مر، وهو الامر مثله مع المشركين الذين يفضلون الاهواء والملذات على التعايش بسلام .

---

(1) يُنْظَر: الميزان: ١٦/١٣٠-١٣١.

(2) يُنْظَر: الإعجاز العلمي إلى أين، مساعد بن سليمان ناصر الطيار ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ط٢ ١٤٣٣هـ :٧٠-٧١.

المبحث الثالث : الاسم الجامد:

إن الأصل في (جامد) هو من " جَمَدَ الماء يَجْمُدُ جُمُودًا . ويقال: لكَ جَامِدُ هذا المالِ وذائبُه . والذائبُ: الظّاهِرُ. والجَامِدُ: الغائِبُ الباطِنُ ويقال: ذاب لفلانٍ عليك حقٌ أي: وَجَبَ وظَهَرَ. ومُخَّةٌ جامدةٌ، أي صُلْبةٌ...وعينٌ جمادٌ لا دَمْعَ فيها. والجَمَدُ: الماءُ الجَامِدُ

"[1]. **وهذا في اللغة أما اصطلاحًا** فقد أشار الدكتور محمود عكاشه إلى أنَّ الاسم الجامد " هو ما لم يؤخذ من غيره ودلَّ على الذات، أو المعنى ، ولا يصحّ الوصف به لجموده" [2]، وله أنواع منها ما يـــــدلُّ على : ذات [3]، أو حَدَث [4]، ومن أمثلته:

- **بَرَدٍ**

جاءت لفظة (بَرَدٍ) في المعاجم العربية بمعنى الشيء الذي ضد الحرارة " برد–(البَرْدُ) ضد الحر و(البُرُودةُ) ضد الحرارة وقد (بَرُدَ) الشيء من باب سهل و(بَرَدَهُ) غيره من باب نصر، فهو (مبرود) و(برده) يرد من باب نصر فهو (مبْرودٌ) و(بَردهُ) أيضا (تبريدًا) ولا يقال أبرده إلا في لغة رديئة وقولهم: لا (تُبَرِدْ) عن فلان أي إنْ ظلمك، فلا تشتمه، فتنقص من إثمه... و(البَرَدُ) حب الغمام " [5]، وورد ذكره في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ** ﴾ **[النور:٤٣]**

اختلف المفسرون في توضيح معنى لفظة (برد)؛ إذ قال بعضهم: " السماء من جبال فيها من برد أي: من السماء من برد يجعل الجبال من برد في السماء، ويجعل الانزال منها ... ويقول : المعنى وينزل

---

(1) كتاب العين: ١/ ٢٥٧.

(2) البناء الصرفي في الخطاب المعاصر، محمود عكاشة ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة_ مصر، (د. ط) ،٢٠٠٩م: ١٥.

(3) يُنْظَر: ظاهرة التعويض في العربية، عبد الفتاح الحموز، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م: ١٢٦.

(4) يُنْظَر: الكافية في النّحو والشافية في علمي التصريف والخط ، جمال الدين عثمان بن عنر بن أبي بكر ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، تح: صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت) :١٩١/٢

(٥) مختار الصحاح : ١٩

من السماء من أمثال جبال بردا " [١]، ونجد ذلك عند البيضاوي (ت٦٨٥هـ) [٢]، وعند صاحب البرهان [٣]، وأشار أبو حيان (ت٧٤٥هـ) في تفسيره فيما يتعلق بشدة ظلمة الليل وضوء القمر [٤].

أما المحدثون فذكروا حقيقة مهمّة لم يبينها القدماء فيفسّرها جواد مغنيه ذاكرًا " يرسل سبحانه الرياح ، فتثير سحابًا يسوقه من بلد إلى بلد، ثم يجمع بعضه فوق بعض على هيئة الجبال، وفي هذا السحاب ماء سائل، ومتجمد في قطع ثلجية تسمى بردًا يخرج من السحاب ... يتصرف سبحانه في البرد على موجب حكمته، فان اقتضت إهلاك زرع أو أي شيء أرسل عليه البرد ، والا صرفه عنه "[٥]، أي إنّ هذا البرد جعله الله سبحانه وتعالى على شكل جزيئات صغيرة الحجم؛ كي لا يهلك ما يوجد على الأرض.

ولقد أثبت العلم الحديث أن الهواء الذي يحيط بنا أو الجو يحتوي على نسبة من الماء ومعظم البخار المائي يأتي من محيطات أو بحيرات أو أنهار ويمكن للهواء الحار أنْ يحمل البخار المائي أكثر مما يحمله الهواء البارد؛ لذا تتكون الغيوم في التقاء الهواء الدافئ بالرّطب أشدّ منه برودة ، ويرى أصحاب العلم أن سحب البرد دائما ثقال جدًّا. فقد سجلت الأرصاد في بعض المناطق المعتدلَة سحابة برد بلغ سمكها عشرة كيلومترات [٦].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ) ،تصحيح ،أحمد حبيبي العاملين ، دار احياء التراث العربي :٣/ ٤٤٢

(٢) يُنْظَر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيخ مكارم الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ) ، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق و د. محمود أحمد الأطرش ، دار الرّشيد ، دمشق _ سوريا ، ط١ ، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م :١١٠/٤

(٣) يُنْظَر: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، ايران_ قم ، (د. ط)، (د. ت): ١/ ٥١٩.

(٤) يُنْظَر: البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النّوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م: ٨/ ٥٨ـ ٥٩

(٥) التفسير الكاشف : ٤٣٠/٥.

(٦) يُنْظَر: العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه ،عبد الله عبد الرحيم العبادي، دار الثقافة، الدوحة _ قطر، ط١، ١٤٠٥هـ_ ١٩٨٥م: ٨٧ـ ٨٨.

ـ حِجْرًا

الحجر تعني " حطيم مكّة ، وهو المدارُ بالبيت كأنه حُجْرَةٌ مما يلى المثعب [1]. وحجْر: موضعٌ كان لثمود ينزلونه . وقصبة اليمامة : حَجْرٌ...والحَجْر: أن تحجُرَ على إنسان مالَه فَتَمنَعَه أن يفسدَه . والحَجْر : قد يكون مصدرًا للحُجرة التي يتحجرُها الرجل وحِجارُها: حائطها المحيط بها"[2] وورد في قوله تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣]**

لقد فسر القدماء مبدئيًّا الحجر المذكور في الآية الكريمة بأنه مما لا يراه أي أحد ؛ فـ "حجارًا لا يراه أحد لا يختلط العذب بالبحر... ﴿وحجرًا محجورًا﴾ جعل الله بين البحرين حجرًا يقول: حاجزًا أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه "[3].

وعند الطبرسي (ت٥٤٨هـ) المراد بالبحرين هو بحر السماء وبحر الأرض، وأنّ في السماء بحرًا يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر، فيلتقيان في كل سنة، وبينهما حاجزًا يمنع بحر السماء من النزول، وبحر الأرض من الصعود، وقيل إنه بحر فارس، وبحر الروم[4].

ومن زاوية أخرى نجد المحدثين جاءوا بحقيقة علمية لم يعرف بها القدماء من قبل، فذكر المراغي في تفسيره أنّ البحرين متجاوران وتتماس سطوحهما لا فصل بينهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالاختلاط والممازجة ، فلا الملح يطغى على العذب فيجعله ملحًا ، ولا العذب يجعل البحر الملح مثله ، فقد حجر بينهما ربهما بحاجز من قدرته أو بحاجز من الأجرام الأرضية ، فترى نهر النيل بمصر يخرج من جبال الحبشة ، ويجري شمالًا حتى يصب في البحر الابيض المتوسط ولا يبغي أحدهما على الآخر"[5] .

ولقد أثبتت الاكتشافات الحديثة ظاهرة (التّواتر السّطحيّ) ، وملخصها أنّ كلًّا من العذب والمالح نظرًا لاختلاف كثافتهما لا يختلط أحدهما مع الآخر، وإنما تترع جزيئات الماء في كل منهما إلى الانكماش والتّجاذب محدثة تواترًا في سطح كل منهما ؛ فإذا التقى نهر بمحيط فإن ماء أحدهما لا يدخل في الآخر

---

(1) الثَّعْبُ: مَسِيلُ الماء ، يُنْظَر: معجم مختار الصحاح ، مادة ثَعَبَ :٣٦

(2) كتاب العين: ١/ ٢٨٧ـ ٢٨٨.

(3) جامع البيان: ١٧/ ٤٧٤ـ ٤٧٥.

(4) يُنْظَر: مجمع البيان: ٩ /٢٥٧.

(5) تفسير المراغي: ٢٧/ ١١٢-١١٣ .

لكن الإنسان لم يكتشف قانون هذه الظّاهرة إلا منذ مدة قريبة، أما القرآن فقد ذكرها منذ أكثر من ١٤٠٠ عامًا[١].

ولقد توصل علماء البحار بعد تقدم العلوم في عصرنا إلى اكتشاف الحاجز بين البحرين ، فوجدوا أنّ هنالك برزخًا يفصل بين كلّ من البحرين ويتحرك بينهما ويسميه علماء البحار (الجبهة) تشبيهًا له بالجبهة التي تفصل بين جيشين، وبوجود هذا البرزخ يحافظ كل بحر على خصائصه ويكون مناسبًا لما فيه من كائنات حية تعيش فيه ، وقد تدرج العلم البشري في معرفة حقائق اختلاف مياه البحار وما بينهما من حواجز، واستقرت على اكتشاف حواجز مائية تفصل بين البحار الملتقية، وتحافظ على الخصائص التي يتميز بها كل بحر من حيث الكثافة، والملوحة، والأحياء المائية، والحرارة، وقابلية ذوبان الاوكسجين في الماء وتمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار المالحة، وتظهر بألوان مختلفة لاختلافها في درجة الحرارة [٢].

ويذكر الدكتور مصطفى (قانون المط السطحي) فيقول : " إن هذه النظرة كانت معروفة لدى الإنسان القديم ولكننا لم نكتشف قانونها إلّا منذ بضع عشرات من السنين ، وقد أكدت التجارب أنّ هنالك قانونًا ضابطًا للأشياء السائلة ويسمى (قانون المط السطحي) فهو يفصل بين السواحل ؛ لأن تجارب الجزيئات يختلف من سائل إلى آخر ، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في محالِّه " [٣].

وإنه بفضل اكتشاف قانون المط السطحي، تبين لنا كيف يحافظ كل سائل على خصائصه سواء أكانت ملوحة، أم عذوبة، أم كثافة، أم الحرارة التي يتميز بها كل سائل عن غيره ، وتبين لنا كيف نشأ ذلك الحاجز الذي ذكره القرآن الكريم ، ليكون الامر من باب إعجاز على إعجاز ، إعجاز القرآن بإخباره عن ظاهرة حيرت العقول ، وإعجاز قدرة الله في خلقه وما تحتويه البحار من أسرار .

---

(١) يُنْظَر: الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، الدكتور عبد الحليم، دار غار حراء، ط١ ،١٤٢١-٢٠٠٠م: ٥٠.

(٢) يُنْظَر: المعجزة الخالدة ، علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة، ط١،(د. ت): ١٧٥- ١٧٦.

(٣) وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ ، مكتبة المنار ،الزرقاء – الاردن ، ط١، ١٩٨٢م : ١٢٦.

ـ الذرّة والاصغر منها

تفسّر الذرّة عند القدماء بصغار النّمل، وكذلك تدلُّ على الانتشار، وحب نبات، يؤكل، ويطحن[١]، أي إنّها تدلّ على الشيء الصغير جدًّا أو الشيء الذي يُنشَرُ ؛ بسبب خفته، ومن هنا فقد تفهمها المسلمون الأوائل عندما سمعوا قوله تعالى: **﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأرض وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾** [سبأ: ٣] ولكنهم لم يدركوا أن وراء هذه اللفظة سرًّا آخر، وذهبوا يفسرونها بما يدلُّ على الشيء الصّغير، ويمكن القول إنّهم فسروها تفسيرًا سطحيًّا بعيدًا عن الحقيقة التي تكمن فيها ، فقيل فيها : " لا يغيبُ عنه شيءٌ، مِن زِنَةِ ذرَّةٍ فما فوقَها وما دونَها، أين كان ذلك؛ في السماواتِ، ولا في الأرض "[٢]، وفي تفسير مجمع البيان، فسرت هذه الآية بأنّ الله يعلم كل شيء أي لا يفوته ما يحدث ، وعالم بجميع ما يجري في السماوات والأرض ، لا يفوته شيء[٣]، ولم يشيروا إلى ما تتضمنه هذه الآية من حقائق علمية.

وفسّرها المحدثون بأنّ الله عالم بما يدور في هذا الكون وقيل "ولا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين فإنّه لا يعزب عنه فيه ، وقيل: يعزب بمعنى يظهر، ويذهب، والعطف على ما سمعت، والمعنى لم يظهر شيء عن الله تعالى بعد خلقه له إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ " [٤].

أما السّيد الطباطبائي فأبان أنه " تعميم لعلمه لكل شيء وفيه مع ذلك إشارة إلى أنّ الأشياء كائنة ما كانت ثبوتًا في كتاب مبين، لا تتغير، ولا تتبدل وإنْ زالت رسومها عن صفحة الكون"[٥].

إنّ القرآن الكَرِيم لا يتناقض مع الحقائق العلميّة الثابتة حتى يومنا هذا ، ونحن في عصر التقدم، والكشوفات العلمية وهي بإمكان الذرة أن تتجزأ إلى جزيئات أصغر منها. أي إنه أشار إلى الذرة والى ما هو أصغر منها في وقت لم تكن هناك أجهزة مكبرة ولا مجهرات ولا تقدم الكترونيّ .

---

(١) يُنْظَر: معجم مقاييس اللغة، ٢ /٣٤٣، ومختار الصحاح: ٩٣.

(٢) جامع البيان : ٢١١/١٩ .

(٣) يُنْظَر: مجمع البيان : ١/٨

(٤) روح المعاني: ٢١ـ ٢٨١/٢٢ .

(٥) الميزان : ٣٥٧/١٦ .

ولقد كان اكتشاف "الذرة في النّصف الأول من القرن العشرين، وقد زعم العلماء أول اكتشافها أنّها أصغر أجزاء المادة التي لا تنشق عن جزئيات أصغر منها ، فهي أصغر شيء في الوجود من الموجودات ... وقد ثبت هذا علميًّا عندما اكتشف الباحثون أنّ الذرات تتكون من دقائق أصغر منها هي البروتونات، والالكترونات، والنيوترونات، والبروتونات موجبة الشّحنة الكهربية، ولكن الالكترونات سالبة الشّحنة الكهربية بينما النيترونات متعادلة الشّحنة، وهذا يدلُّ على حتمية التّوازن بين طبائع الموجودات ؛ إذ لا بد للموجب أنْ يقابل سالبًا، وحتمًا للسّالب أنْ يواجهه موجب، وبين هذا وذاك يوجد المتعادل المتزن الشّحنة المستقرّ التّكوين غير المجذوب وغير الجاذب لغيره "[1].

ومن عجائب القرآن أنّه تحدث عن جميع ما يرتبط بالفيزياء في لفظة (ذرّة) والتي ورد ذكرها ستّ مرات، تسبقها كلمة (مثقال) دلالة على أنّ للذرة وزنًا أو ثقلًا ومنها يتحدد (ثقلًا) أو ما يسمى بالوزن الذري ولعدها نجد إشارة إلى أجزاء أصغر منها وهي ما تسمى الفيزياء النووية [2] .

ـ سَقْفًا

جاء معنى (سقف) في المعاجم العربيّة كلّ ما علا وارتفع " سقف يسقف سقفًا، فهو ساقف، والمفعول مسقوف، سقف البيت: ونحوه عمل له سقفًا.

أسقف يسقف إسقافًا، فهو مسقف، المفعول مسقف... تسقف الشخص: مطاوع السقف: صار أسقفًا؛ أي فوق القسيس ودون المطران، وهي مرتبة دينية عند النّصارى... السّقف: السّماء " [3] ، وجاء في حالة المذكر على وزن (فَعْل) في قوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا** ﴾ [الأنبياء: ٣٢]

فسرت اللفظة عند القدماء تفسيرًا مبدئيًّا بمعنى السقف الحافظ " وقوله(محفوظًا) يقول: حفظناها من كل شيطان رجيم... وسقفًا مرفوعًا وموجًا مكفوفًا"[4].

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن، السّيد الجميلي ، دار ومكتبة الهلال للنشر والتوزيع ،بيروت _لبنان ط٢ ،١٩٩٢، ٢ : ٤٢ـ ٤٣؟

(٢) أسرار أعجاز العلمي الذرة في القرآن الكريم موقع متخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل: http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-23-00-02/727-2013-01-04-14-21-31.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب ،ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م : ١٠٧٩ـ ١٠٨٠

(٤) جامع البيان: ١٦ /٢٦٣.

وأشار ابن كثير (ت٧٧٤هـ) إليها قائلًا : "أي على الأرض وهي كالقبّة عليها "[١] ، وكان التَّفْسير لديهم بمعنى السقف الحافظ من سقوط.

أما عند المفسِّرين المحدثين فجاء تفسيرها عند المراغي " إنّه تعالى نظم السماء، وجعلها كالسقف المحفوظ من الاختلال، وعدم النظام، فقد حفظت الشّموس، والكواكب في مداراتها بحيث لا يختلط بعضها ببعض ولا يختبط بعضها في بعض ، جعلت في أماكنها الخاصة بها بقوة الجاذبية. فالشمس والقمر والكواكب الاخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لا تخرج عنها ، وإلا اختلّ نظام هذا العالم ، وبهذا الحفظ ونظام الدّوران كان الليل والنهار الحادثين من جَرْي الأرض حول الشّمس" [٢]

يمكن القول إنّ القدماء فسّروها بالسّقف الحافظ فقط، أما تفسيرها عند المحدثين والمعاصرين، فكان في توضيح الطّريقة التي يتمّ بها حفظ البشر.

فوصفت السّماء بالسّقف إشارة الى أنّها درع، لحماية البشر ، ومن ذلك ما نشره الموقع العلميّ عن اكتشاف مجموعة من العلماء من جامعة (كولورادو) لغطاء طبيعيّ وصف بأنّه درع، وتم اكتشاف الدّرع على أنّه غير مرئيّ على بعد حوالي ٧٢٠٠ ميل فوق الأرض يحجب ما يسمى بـ (الالكترونات القاتلة) التي تتجول حول الكوكب بسرعة قريبة من سرعة الضّوء وقد عرف عنها أنّها تهدد رواد الفضاء الذين يحاولون الوصول إليها، وتفسد الأقمار الصناعية، وأنظمة الفضاء في العواصف الشمسية الشديدة[٣].

ويتكون هذا السقف من قشرة جوية وهي في الكرة الأرضية في الطبقات المتألفة دون خليط من الغازات بنسبة ٧٨٪ نيتروجين، ٢١٪ أوكسجين مع قليل من الأرجون وبخار الماء وثاني أكسيد الكربون بنسبة ١٪ ويلاحظ وجود الأوزون على أرتفاع ٢٥ كم ، وله أهمية بالغة لحماية الحياة على الأرض ، فلولا الأوزون لاحترقت جلودنا وعميت أبصارنا ؛ لوصول الأشعة فوق البنفسجية بكميات خطيرة لكنه يمتصّ الأشعّة عالية الطّاقة ممّا يؤدّي إلى ارتفاع في درجات الحرارة [٤].

---

(١) التَّفْسير الكبير (تفسير القرآن العظيم): ٥/٣٤٠.

(٢) تفسير المراغي: ١٧ /٢٧-٢٨.

(٣) يُنْظَر: العلم وحقائقه، سامي عامري العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، سامي عامري، تقديم: محمد العوضي، عبد الرحمن الشهري، منقذ السقار، الرواسخ، الكويت، ط٤، ١٤٤٢هـ_ ٢٠٢١م : ٢٥٤.

(٤) يُنْظَر: القرآن الكَرِيم والعلم الحديث ، منصور محمد حسب النبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د. ط)، ١٤١٢هـ _١٩٩١م: ١٦٧ـ ١٦٨.

وفي دراسة أخرى أثبتت أنّ " السّماء حفظت الكرة الأرضية من عوامل عديدة يمكن أنْ تخربها أو تخرب وسائل العيش فيها أو تقتل الإنسان، وجعل بها قوانين تحفظها من الزّوال والخراب، وكانت هذه الأسباب ووسائل الحفظ آيات، ومعجزات عمليّة لم يستطع الإنسان اكتشافها إلّا في العصر الحديث مع تقدم العلم، ووسائله المتعددة من أقمار صناعيّة، ومختبرات، ودراسات، وغيرها، وهنا تتجلّى لنا عظمة هذه الآية الكَرِيمة في إعجازها العلميّ وبتطابقها مع ما أثبته العلم من أنّ السّماء سقف من تحته الأرض من عوامل الفناء، والخراب التي يمكن أنْ تصيبها علمًا أنّ هذا السّقف يعمل باتجاهين النّازل من السماء، والصّاعد من الأرض، فتبارك الله تعالى أحسن الخالقين" [1]، ومن هنا يتبين أنّ القدماء قد فهموا أنّ السّقف بمعنى الحافظ وربّما أخذوا ذلك مما رسخ في قرارتهم من أنّ سقف البيت يحمي صاحب البيت من الأمطار والأنواء الجوية والبرودة والحرّ ولكنهم لم يفسروا كيف تكون السّماء مثل ذلك السّقف ، وكأنّهم حملوه على المجاز أمّا المحدثون وبفضل الإفادة من معطيات العلم الحديث بيّنوا أنّ السّماء عبارة عن سقف على الحقيقة على وفق ما يعرف بالغلاف الجوي.

ـ طَبَقًا

قال الفراهيدي (ت١٧٠هـ) إن "الطَّبَقُ: كلُّ غِطاءٍ لازمٍ... والطَّبَقَةُ: الحال، ويقال: كانَ فلانٌ على طَبَقاتٍ شَتَّى من الدنيا، أي حالاتٍ وقوله تعالى:﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩] أي حالًا عن حال يوم القيامة" [2].

وجاء تعريفه عند الدكتور أحمد مختار عمر بأنّه "منزلة بعد منزلة ، وحالًا بعد حال، كالموت بعد الحياة ثم البعث"[3] ، ومن هنا قال تعالى : **﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩]**

ذكر الطّبري (ت٣١٠هـ) طبقًا بأنّها " حالًا بعد حال"[4]، ويضيف الطّبراني (ت٣٦٠هـ) قائلًا " أيّها الناس لتركبُنّ يوم القيامة حالًا بعد حال، وشدّة بعد شدة ، تقول العرب : وقع في بنات طبق، تريد الدّواهي العظام .

---

(١) الإعجاز الجغرافي في القرآن الكَرِيم، حاتم ابراهيم عيسى ، دار الغسق للنشر والتوزيع (د. ط)، (د. ت): ٥٦.

(٢) كتاب العين: ٣/ ٣٦.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ١٣٨٧.

(٤) جامع البيان: ٣٠/ ٧٨.

ويقال: أراد بالآية تغيّر الأحوال من حال النّطفة إلى حال العلقة ، ومن العلقة إلى المضغة، ومن المضغة إلى الصّغر، ومن الصّغر إلى الشّباب، ومن الشّباب إلى الكهولة، ومن الكهولة إلى الكبر، ومن الكبر إلى الموت، ومن الموت إلى البعث، ومن البعث إلى الحساب، ومن الحساب إلى الصّراط، ومن الصّراط إلى موضع الجزاء، إمّا إلى الجنّة أو إلى النار" [١].

وقد ورد هذا المعنى عند السّمرقندي (ت٣٧٥هـ) بقوله " طبقًا عن طبق يعني حالًا بعد حال يعني الموت ثم الحياة " [٢] ، ويبدو من الآراء السابقة أنّ معنى(طبقًا) تقارب عندهم، وقد حدّدوه بمراحل زمنيّة معينة .

أما المتأخرون فقد فسّروها " أطوارًا متعددة وأحوالًا متباينة من النّطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الرّوح . ثم يكون وليدًا وطفلًا ومميزًا ، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازى بأعماله . فهذه الطّبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده، بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير، عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم . ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون" [٣].

وأشار العبيدي إشارة علمية بقوله " ولو كان المراد من كلمة (اتسق) يعني أصبح بدرًا، لأصبح من الصعب تفسير معنى طبق عن طبق الواردة بعدها . واللطيف أنّ القمر هو أول جسم كوني وصله الإنسان واكتشفه وهذا ما ربطته الآية المباركة . ومن المعلوم أن سرعة الانفلات من الأرض تساوي ٢ ، ١١ كم / ثا . وبالإشارة إلى ما حققته النسبية العامة في العام ١٩١٦ م وإثباتها عمليًّا عام ١٩١٩ م من قبل البعثة الملكية البريطانية عند حدوث الكسوف الكلي للشمس، وكيف يتم التعامل بالتلسكوبات عند تصميمها بوضع معامل انحراف لها. فالآية الكريمة استخدمت التعبير (عن)، و(عن) تستخدم للمجاوزة ولم تستخدم معنى (على) فالإشارة إلى مراحل الصاروخ الثلاث يشكل خللًا لغويًّا في المعنى " [٤].

---

(١) التَّفْسير الكبير (تفسير القرآن العظيم):٦/ ٤٦٨.

(٢) تفسير السمرقندي: ٣/ ٥٤٠.

(٣) تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ٩١٧.

(٤) ومضات إعجازية من القرآن و السنة النبوية، خالد فائق العبيدي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٤م: ٣/ ٧١.

ومما قيل: إنه طبقة الغلاف الجوي فـ " أقسم المولى بالشفق والليل والقمر بأنّ الإنسان سيركب طبقًا عن طبق . ولقد ظلّ الإنسان يحلم بالطّيران والانتقال من طبق الأرض إلى أطباق السّماوات منذ القدم إلى أن تحقق حلمه هذا منذ القرن الثامن عشر " [١].

ـ مَهْدًا

لو تأمّلنا أصل صيغتها في المعاجم اللغوية لوجدنا أنّها من المهد، وكلمة (مهد) تدلُّ في لغة العرب – مثلما يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): " على التوطئة والتسهيل للشّيء، في إشارة إلى الرّاحة، والاستقرار، والسهـولة" [٢]، أو هي ما يتهيَّأ للصّبي، والمهد والمهاد المكان الممهّد الموطأ، ومهدت لك كذا هيأته وسويته[٣] ، ومثله عند ابن منظور(ت٧١١هـ) [٤]، ووردت في قوله تعالى :**﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرض مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾** [طه: ٥٣]

لم يتمكن القدماء من بيان معنى (مهدًا) في الآية اعلاه، فكان تفسيرهم يتراوح ما بين فراشًا [٥]، والمهد الذي يمهد للصبي [٦]، و(مهدًا) مصدرٌ سمّي به أي: كالمهد تتمهدونها ، وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد[٧]، وجعلها الله سبحانه وتعالى مهدًا لكي يتصرفوا عليها في جميع أحوالهم، ومنافعهم، ولسهولة العيش فيها حتى لا تتعذر عليها مصالحهم[٨]، فاختلافهم في تفسير هذه الآية يعود إلى قلّة معرفتهم بالعلوم بالعلوم الطّبيعية، فكان تفسيرهم على وفق ما لديهم من معلومات، وإشارات عابرة تكاد تصيب، أو تخيب.

---

(١) من علم الفلك القرآني، عدنان الشريف دار العلم للملايين ، ط١ ،١٩٩١م : ١٢٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٢٨٠/٥ .

(٣) يُنْظَر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب الأصفهاني) (ت٥٠٢هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، (د. ط)، (د. ط) : ٤٧٦.

(٤) يُنْظَر: لسان العرب: ٤١٠/٣.

(٥) يُنْظَر: الكشف والبيان : ٢١٠/٤ـ٢١١.

(٦) يُنْظَر: تفسير الكشاف: : ٦٥٨ ، مجمع البيان: ٧/ ٢٠ـ٢١.

(٧) يُنْظَر: انوار التنزيل وأسرار التأويل :٣٠/٤.

(٨) يُنْظَر: البحر المحيط : ٢٣٤/٦.

وقد تناولَ المحدثون القضيةَ من جانب علميّ وجعل الأرض للعالمين كالمهد تستقرون فيها ، وتقيمون أعمالكم عليها، وتنامون، وتسافرون على ظهرها[١]، وذكر الطّباطبائي أنّ " الله سبحانه أقرّ الإنسان في الأرض يحيي فيها حياة أرضية ؛ ليتخذ منها زادًا لحياته العلوية السّماوية كالصّبي يقرّ في المهد ويربّى لحياة هي أشرف منه وأرقى، وجعل للإنسان فيها سبلًا لينتبه بذلك أنّ بينه وبين غايته وهو التقرب منه تعالى والدخول في حظيرة الكرامة سبيلًا يجب أنْ يسلكها كما يسلك السّبل الأرضية لمآربه الحيوية، وأنزل من السّماء ماء وهو ماء الأمطار ، ومنه ماء عيون الأرض ... ، ففي ذلك آيات تدلّ أرباب العقول الى هدايته وربوبيته "[٢]، ومثله عند الشعراوي [٣] .

إنّ هذه الآية تدلُّ على دحو الأرض وليست بصدد الحديث أساسًا عن كروية الأرض أو عدم كرويّتها، وإنّما تحكي عن مفهوم بسيط يستوعبه الإنسان بصورة واضحة، وهو في الوقت نفسه مفهوم حقيقيّ، فالأرض من تحتنا مبسوطة مسهّلة ممهّدة لنا مفروشة، لكن لا يعني أنّها مسطّحة مقابل الكرويّة في الفهم العلمي الدقيق ، بل بمعنى أنّها سهلة [٤] أي إنّها: مدحيّة ، وتتميز بسهولة العيش فيها.

ويشبه الدكتور العبيدي المهد بالفراش وأن أي إخلال في الصيغة أو استبدالها بكلمة أخرى لا يؤدي إلى المعنى ذاته ، فلاحظ دقة اختيار الألفاظ في القرآن الكريم ، فيقول "والمهد : أي كالفراش الذي يوطأ للطفل... أما دليلنا أن معنى المهد هو فراش الطفل الذي ينام فيه ، فمن اللغة والقرآن : فبالرغم من الوجه البلاغي في الاستعارة التي يستخدمها القرآن الكريم لذلك ، فإذا أردنا أنْ نترجمها إلى لغات أخرى لا يسعنا إلا أنْ نقول إنّ المعنى هنا لكلمة (المهد) هو ليس فقط السّكنى، والاستقرار، وكونه مستقرًّا للمعيشة وإنّما هو فعلا فراشًا للنوم بسبب حركة الأرض الاهتزازية التي ذكرنا " [٥].

ويمكن القول إن تشبيه حركة الأرض بالمهد انما لأجل بيان استراحة الإنسان، و " نتأمل كيف تشير الآية إلى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتضح إلّا بعد قرون ، وكيف تستعير للأرض لفظ (المهد) الذي

---

(١) يُنْظَر: تفسير المراغي: ١١٩.

(٢) الميزان: ١٤/١٧١.

(٣) يُنْظَر: تفسير الشعراوي : ٩٢٩٧.

(٤) يُنْظَر: إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، حيدر حب الله تحقيق بحوث في فرقة الاقتصاد (تقريرات الشهيد محمد باقر الصدر)، مركز البحوث المعاصرة ،بيروت –لبنان ، ط١ ،٢٠١٣-٢٠١٤م ٣:٢٠/ ١٦٢.

(٥) ومضات إعجازية من القرآن و السنة النبوية، خالد فائق العبيدي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٤م :٣/ ٩

يعمل للرّضيع . يهتزّ بنعومة لينام فيه مستريحًا هادئًا ؟ وكذلك الأرض (مهد) للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعية والانتقالية ، وكما أنّ تحرك المهد لغاية تربية الطفل واستراحته . فكذلك الأرض ، فانّ حركتها اليوميّة والسنويّة لغاية تربية الإنسان بل وجميع ما عليها من الحيوان والجماد والنّبات ... ، ولم تصرح بها ؛ لأنّها نزلت في زمان أجمعت عقول البشر فيه على سكونها ، حتى أنّه كان يعد من الضّروريات التي لا تقبل التشكيك" [1] ، فكلّ ما يحتاجه الإنسان في حياته حركة المهد التي تكون حركة خفيفة وبسيطة ومريحة لنوم الطفل هادئًا ، فهي تشبه حركة الأرض.

ويؤيد ذلك السّبحانيّ في معناه لحركة الأرض من جانب ورعاية الله بالعباد من جانب آخر[2].

أعطى القرآن الكريم وصفًا للأرض بأنّها مهدٌ أي فراش، من حيث تذليل الصعوبات وشق طرق يسهل على الإنسان وطأها، وإيجاد محل راحته فيها، فتلحظ الطفل كم له من المقبولية ، وكم يُكنُّ الوالدان له من المحبة والحنان، فيعمدون إلى توفير أفضل وسائل الراحة والأمان كونه صغيرًا مستضعفًا لا يملك قوة لمواجهة المصاعب، وهل هناك أرحم من الباري (عزّ وجلّ) ، فسبحانه وتعالى خلق الإنسان ، وذلّل له الأرض ليسكن فيها؛ وقد انسجم التّعبير الذي يطلق على مهد الطّفل الصّغير مع الأرض التي هي مهد الخلق أجمعين، فالمدار حركة الأرض فضلًا عن سهوله العيش وأهمّ سماته الليونة؛ وإن كان الاهتزاز صفة لصيقة به إلا أنّها لا تعد وسيلة طمأنينة وراحة ؛ لأنّ فقد الأساس وهو الفراش وكذلك الأرض إن لم تكن مهيأة للراحة وسهولة الاستخدام كأن تكون صلبة ... فاين الراحة في حركتها واين الطمأنينة فيها؟

وبعد الدراسات أكدت أبحاث علمية أنّ هذه الآية تشير إلى حركة الأرض التي اتضحت بعد العديد من القرون، وكيف استعار القرآن الكريم لفظة (المهد) التي تهيء الراحة التامة للرضيع من جهة حركتها الانتقالية الهادئة كما المهد لتربية الطفل كذلك الأرض، فإن حركتها اليومية، والسنوية تكون الغاية منها تربية الإنسان، وسائر الكائنات من الحيوانات، والنباتات، وحتى الجماد[3]، فالآية الكريمة شبهت الأرض

---

(1) علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، مؤسسة بوستان ،ط٢، ١٤٢٨هـ:٢/ ٥٣٧

(2) يُنْظَر: الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، الشيخ السبحاني ،المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، قم –إيران ، ط١ ،١٤٠٩-١٩٨٩م :٣/ ٤٢٦

(3) يُنْظَر: البيان في تفسير القرآن : ٧٣

بمهد الصبي وحركة اهتزازه الهادئة بحركة الأرض في دورانها ، فكانت من الآيات التي أوحت بحركة الأرض بصورة ايحائية لا تصريحية مباشرة .

ـ النُطْفَةٍ

جاء معنى (النطف) في المعاجم اللغوية "الماء الصّافي قلّ أو كثُرُ والجمعُ (نطافٌ) ...و(نطَفان) بفتح الطّاء سيلانه "[1]، ووردت هذه المفردة في سياقات مختلفة في القرآن الكَرِيم ، وتكرر ورودها اثنتي عشرة مرة [2] ، منها ما جـــــاء في قوله تعالى :﴿**وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى** ﴾ [النجم ٤٥_٤٦]

وهنا لم يتطرق المفسرون القدماء في تفسيرهم لهذه الآية إلى الحقائق المخفية وراء كلمة (النّطفة) ؛ إذ ذكر الرّازيّ (ت٦٠٦هـ) في تفسيره بأنّها قطعة من الماء "وقوله تعالى :﴿من نطفةٍ﴾ أي قطعة من الماء وقوله تعالى (إذا تمنى) من أمن المني إذا نزل أو مني يمنى إذا قدر وقوله تعالى : ﴿من نطفة﴾ تنبيه على كمال القدرة ؛ لأنّ النّطفة جسم متناسب الأجزاء ، ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة متباينة وخلق الذّكر والأنثى منها أعجب ما يكون على ما بينّا "[3]، وزعم القرطبيّ(ت٦٧١هـ) أنّ الجنين يتكون من ماء الرّجل فقط وحده[4] .

وذكر الآلوسي في تفسيره: "من نوع الإنسان وغيره من أنواع الحيوانات ولم يذكر الضّمير على طراز ما تقدم ؛ لأنّه لا يتوهم نسبة خلق الزّوجين إلى غيره (عز وجل) (من نطفة اذا تمنى) أي تدفق في الرحم

---

(١) مختار الصحاح: ٢٢٧.

(٢) منها : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر: ١١] ، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧]، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [عبس: ١٩]، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢] ، ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون :١٤].

(٣) مفاتح الغيب :٢٨١/٢٩.

(٤) يُنْظَر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦ /٣٤٣.

يقال: أمنى الرجل ...والمنية هي الاجل المقدر للحيوان"[١]، وكذلك فسّرها المراغي " أنّه خلق الذّكر والأنثى من الإنسان وغيره من الحيوان ومن المني الذي يدفق في الأرحام"[٢].

ووضّح العلم الحديث الحقيقة المبهمة لهذه الآية الكَرِيمة، وأثبتت الدّراسات الحديثة أنّ تحديد الجنس يرجع إلى مني الرّجل الذي يحمل الكروموسوم (y) المسيطرة و الموجودة في الثروة الوراثية عند الرجل بالحيوان المنوي للرجل، يحتوى على الجنسين الذكر والأنثى ؛ لأنه يحمل الكروموسومات (xy) وأما بويضة المرأة فلا تحتوى سوى على جنس الأنثى دائمًا؛ لأنها تحمل الكروموسوم (x) فقط [٣]، فإذا أراد الله أن تلقح بحيوان منوي يحمل الكروموسوم (x)، فيصبح الجنين انثى أما أذا اتحدت بويضة المرأة (x) مع حيوان يحمل الكروموسوم (y) التي يحملها الرجل فسيكون الجنين ذكرًا [٤]، وأنّ رحم الزوجة لم يؤثر في تحديد جنس الجنين، فجاء السّياق من حرف الجر الذي أفاد ابتداء الغاية أي إن الأمر يبدأ من الزوج [٥]. وأن الله عز وجل يجعل (النطفة) هي مصدر المولود ولم يقل (من نطفة) مثلا فذلك يلقي المسؤولية على الرجل في تحديد جنس الجنين وليس للأنثى علاقى في ذلك مثلما يعتقده المجتمع وأن هذا التفكير السّقيم ناتج عن تخلف الأقوام والعلم الحديث رفع هذا الغبن الذي وقع على عاتق المرأة [٦].

وجاء القرآن ليصحح هذه النّظرة البدائيّة ، فيصف الجنين من نطفة أمشاج ، أي من نطفة الرجل ونطفة المرأة ونطفة أمشاج عند كل المفسرين هي خليط ، فيأتي الجنين من سلالة ، أي ليس من كل الماء كما يتخيل ارسطو بل من ماء يسيرٍ جدًّا، وهو الذي يطلق عليه مؤخرًا (بالماء المنوي) أي إنّ الجنين يبدأ بالتخلق وليس المقصود أنّ

---

(١) روح المعاني: ٦٨/٢٧.

(٢) تفسير المراغي: ٢٧/ ٦٧.

(٣) يُنْظَر: الموسوعة العلمية في الإعجاز العلمي القرآني، الدكتور سمير عبد الحليم ، دار غار حراء ط١ ،١٤٢١-٢٠٠٠م : ٧٢.

(٤) من المسؤول عن تحديد نوع الجنين .. الرجل أم المرأة ؟ بحث متاح على الرّابط: https://ar-ar.facebook.com/omamhospitalegypt/photos/a.528586660533937/1326142210778374/?type=3&av

(٥) يُنْظَر: علم اللغة البنية والنص_ رؤية القاضي عياض، أحمد قاسم كسار الجنابي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد_ الأردن، ط١، ٢٠١٥م :٢٧٠.

(٦) يُنْظَر: التمكين الاجتماعي للمرأة في التعبير القرآني دراسة في التراكيب والسياق (رسالة ماجستير)، اعداد: اعداد: علاء يسر عصمان، إشراف: د. عباس إسماعيل سيلان، جامعة ميسان_ كلية التربية ،١٤٤٤هـ_ ٢٠٢٢م: ١٩٦.

جنينا قزمًا مختبئًا في ماء الرّجل كما كان تصور ابو الطبّ جيلين في ذلك العصر ، ثم بعدها يدخل في مراحل مختلفة نطفة ثمّ علقة ثم مضغة ثم بعد ذلك تظهر الأعضاء [1] .

والنّطفة تعدُ أول مرحلة من المراحل التي يتكون منها الجنين ، والتي يشترك فيها الذكر والأنثى في تكوينه، ويقدم القرآن لنا مصطلحات ومسميات قبل معطيات العلم والتقنيات التي تفحص الجنين داخل الرحم.

(1)سلسلة محاضرات الدكتور ذاكر النايك، في تحديد جنس الجنين، متاحة على الرابط : https://youtu.be/3IZoYSiVBN8.

المبحث الرابع : المصادر

ـ مفهوم المصدر

قال ابن منظور (ت٧١١هـ) "صَدرَ يصْدُرُ صَدْرًا: شَكَا صَدْرَهُ ... الْمَصْدَرُ، أَصلُ الْكَلِمَةِ الَّتِي عَنْهَا صَوَادِرُ الْأَفْعَالِ، وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الْمَصَادِرَ كَانَتْ أَوَّلَ الْكَلَامِ"[١] ، ويعرف بأنه " صَدَر/ صَدَر إلى / صَدَر عن / صَدَر في / صدر من يصدرُ، صدورًا . وصدرًا ، فهو صادِر ، والمفعول مصدور (للمتعدي)، صدر الكتاب . ظهر" [٢]

أما في الاصطلاح: فعرفه الجرجاني(ت٤٧١هـ) بأنه: "مَا دلَّ عَلَى الْحَدَثِ لاَ غَيْرُ"[٣] ، وقيل إنه " هو الاسم المأخوذ منه الفعل"[٤]، ويستنتج من هذين التعريفين أنّ المصدر حدث غير مقترن بزمن أو مكان معين.

والمصادر الثلاثية تكون على وزن " فَعْل وفِعْل وفُعْل، وفَعُول أو فَعَال، وفُعال وفِعَال، وفَعُول وفَعَل، وفِعَل وفُعَل، وفعْلال، وفِعْلان، فَعِيل، وفَعَلان، وفَعَالة، وفِعَالة، وفُعُولة، فَعْلة، وفعلة وفعيلة، وقد تأتي المصادر قليلًا على فَعْلى وفُعْلى"[٥]، ومن المصادر التي هي محل فكرة البحث:

ـ أَذًى

الأذى هو" كلُّ ما تأذّيت به، ورجل أذيٌّ، أي شديد التَّأَذِّي ، وأذِي يَأْذى أَذًى"[٦]، وهو عند البستاني (ت١٣٠٠هـ) : مكروه يصاب به صاحبه ، فيشير بقوله " أذى الرّجلُ بهِ يأذى (يائيٌّ) لحقهُ منهُ أذًى ، أي مكروهٌ ... آذى فعل الاذى، وآذَى صاحبهُ أذى، وأذَاةً وأذِيّة الحق بهِ أذّى ...الأذي البعير لا يقرّ في مكان بلا وجع ولا مرض بل خلقةً "[٧] ، وجاء في قوله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا**

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٤٤.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة : ١٢٧٧.

(٣) المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح :علي توفيق الحمد، دار الأمل، إربد _عَمّان، ط١، ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م: ١/ ٥٢.

(٤) البسيط في شرح جمل الزجاجي ، ابن أبي الربيع عبيد الله بن احمد بن عبيد الله القريشي الاشبيلي السبتي (٥٩٩-٦٨٨)، تح: د. عياد بن عبيد الشبيتي، دار الغرب الاسلامي ،بيروت_ لبنان ،ط١ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٦م: ١٦٨ .

(٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر السيوطي(٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان : ٢/ ١٠٠.

(٦) كتاب العين: ٦٣/١.

(٧) محيط المحيط: ٦.

النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة :٢٢٢]

وقد اختلف أهل التّأويل في بيان كلمة (أذى) ، قال بعضهم : هو قذر، وقيل الآخر : هو الدّم ، وقال آخرون : بل الذي أمر الله تعالى ذكره باعتزاله منهنّ موضع الأذى، وذلك موضع مخرج الدّم[١].

وينقل الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ) " أنّ أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ... وقيل: إنّ النّصارى يجامعوهن ولا يبالون بالحيض، واليهود كانوا يعتزلوهنّ في كلّ شيء، فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين"[٢]، وذكر القميّ (ت٣٢٩هـ) بالنّهي عن اتيانهنّ حتى يغتسلن[٣].

ومن هنا ندرك أنّ القدماء كانت تفسيراتهم تدور في ركاب أنّ المحيض هو : الأذى دون أنْ يكون هناك تفسير واضح لهذا الأذى وسببه .

على أن الامر عند المحدثين كان هو الأفضل في بيان المعنى وتوضيح الدلالة ، فقد نظروا للأذى بصورة علمية، فالمراد بالنّهي عن القرب هو النّهي عن الوقاع ، أي يجب على الرجال ترك غشيان نسائهم في هذا الوقت ؛ لأنّ غشيانهنّ سبب الأذى والضّرر لاشتغال أعضاء النّسل بإفراز الدّم . وقد أكّدت هذه الآية الكريمة الحكم باعتزال النّساء في زمن المحيض، وهو كناية عن ترك غشيانهنّ فيه ، ثم حددت مدّة الاعتزال والحكمة منه هو الحد من الإيذاء[٤].

وأشار الدكتور محمد وصفي إلى أنَّه لم يجد كلمة تقوم مقام كلمة (أذى) في وصف المحيض، وبين أنّ مقاومة المرأة للأمراض تكون في أثناء الحيض في أضعف مراحلها، وأنّه سبب للالتهابات وانتقال البكتيريا والأمراض، وقد يؤدي إلى العقم، وتعفن الرّحم[٥]، لهذا أمر الله اعتزال النّساء عند الحيض؛ لأنّ خلاف ذلك ذلك يسبب أضرارًا كبيرة للمرأة ؛ لأنّها في هذه المدة تقاوم أمراضًا مختلفة مثلما وضّحته الدّراسات.

---

(١) يُنْظَر: جامع البيان: ٣ /٧٢٢-٧٣١.

(٢) تفسير الكشاف: ١٢٩.

(٣) يُنْظَر: تفسير القمي: ١١٢/١، الدر المنثور في التَّفْسير بالمأثور: ٥٧٤/٢-٥٨٢.

(٤) يُنْظَر: تفسير المنار(تفسير القرآن الكريم)، محمد رشيد رضا ، دار النوادر ، ط٢ ،١٣٦٦هـ-١٩٤٧م : ٢ /٣٥٩-٣٦٠.

(٥) يُنْظَر: التَّفْسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: عادل بن علي الشدّي ، مدار الوطن للنشر ، ط١ ،١٤٣١هـ -٢٠١٠م : ٩٧.

ـ حَثِيثًا

إنّ أصل (حثيثًا) في المعاجم اللغوية هو من "ح ث ث (حثّه) على الشّيء من باب ردّ و(استحثه) ، أي حضّه (فاحثث) وحثثه (تحثيثا) و(حثحثه) بمعنى . وولى (حثيثًا) أي مسرعًا حريصًا و(تحاثوا) تحاضّوا "[1]، وجاءت في قوله تعالى:**﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [الاعراف : ٥٤]

فسّر القدماء كلمة (حثيثًا) بالسّرعة ، فجاء عند الطّوسيّ (ت٤٦٠هـ) في تفسيره " (يطلبه حثيثًا) أي يتلوه فيدركه سريعًا ، وهذا توسع يريد أنْ يأتي في إثره عما يأتي الشّيء في إثر الشّيء طالبًا له "[2]، ويوافقه البيضاوي (ت٦٩١هـ) بقوله :" يعقبه سريعًا كالطّالب له لا يفصل بينهما شيء"[3] ، أي إنّ القدماء تباينت عندهم تعاقبية الليل والنهار.

واتضحت رؤية علمية عند المفسرين المحدثين، وبيّنوا مجيء الأول من بين النهار والليل ، فجاء في تفسير الآلوسي "أي محمولًا على السرعة فـ (فعيل) بمعنى (مفعول) أوفق بهذا الوجه فإن الطلب من النهار أظهر، وقد قالوا : إنّ ضوء النّهار هو الهاجم على ظلمة الليل" [4]، ومنهم من وفّق أكثر إلى هذه الحقيقة وذهب إلى ظاهرة تعاقب الليل والنهار ؛ إذ يكون نصف منها مضيئًا والنّصف الآخر مظلمًا دائمًا بفعل دوران الأرض على محورها تحت الشّمس[5].

لقد أشار القرآن الى هذه الحقيقة العلمية في اختيار دقة اللفظ المؤدي للمعنى " أي يطلبه بسرعة طلبًا سريعًا بدون إبطاء أو فتور وانظر إلى سرعة دوران الأرض حول الشّمس، وسرعة دوران الأرض حول نفيرها هل تغير ؟

---

(1) معجم الصحاح:٥٢.

(2) مجمع البيان: ٢٠٢/٤.

(3) انوار التنزيل واسرار التأويل: ١٦/٣.

(4) روح المعاني: ٧-٣٧٦/٨.

(5) يُنْظَر: تفسير المنار:٤٥٤/٨.

إنّ إثبات هذه السّرعة يعطينا الحالة التي عليها الكرة الأرضيّة من ثبات في طلب الليل، والنّهار، والليلة لا يختلفان في الطّلب ، ولا يغيران في المجيء ، الواحد تلو الآخر و دخول الليل في النّهار أو النّهار في الليل ، فتبارك الله أحسن الخالقين" [١].

والآية الكَرِيمة تبين للإنسان سرّ مجيء الليل بعد النّهار، ولكنها تشير إلى دوران الأرض حول نفسها، وهو الدّوران الذي يعد سبب مجيء الليل والنّهار، وهذا ما أيّدته الدّراسات الحديثة .

ومن بين المشاهدات التي أدلى بها رجل الفضاء الرّوسيّ جاجارين، بعد دورانه في الفضاء حول الأرض : أنه شاهد تعاقبًا سريعًا للظّلام والنّور على سطح الأرض؛ بسبب دورانها المحوريّ حـول الشّمس[٢] ، ومن هنا ندرك العظمة القرآنية التي كشفت عن حركة سريعة تعاقبية بين الليل والنّهار، جسّدها اللفظ (حثيثا) ، والقدماء وإن أدركوا (حثيثا) جاء بمعنى (سريعًا) ألا أنّهم ذكروا هذا عابرًا، أو راحوا يؤولون بما لا يتناسب مع الواقع ، إلى أنْ جاء العلم الحديث ليقرّر دلالة السّرعة ، وليبيِّن أن (حثيثا) جاء بمعناه (حثيثا) لا مثل ما فسره بعض القدماء بمحثوث .

ـ حُسْبَانٍ

الحُسبان من (حسب) ويرد بمعنى (العدّ) تقول: حسبت الشّيء، أحسبه، حسبًا، وحسبانًا... ، ومن قياس الباب الحسبان : الظّنّ، وذلك أنّه فرّق بينه وبين العدّ بتغيير الحركة والتّصريف، والمعنى واحد؛ لأنّه إذا قال حسبتُهُ كذا فكأنّه قال: هو الذي أكّده من الأمور الكائنة... ، وفلان حسن الحسبة بالأمر؛ إذا كان حسن التّدبير، وليس من احتساب الأجر وهذا أيضًا من الباب؛ لأنّه إذا كان حسن التّدبير للأمر كان عالمًا بعداد كلّ شيء وموضعه من الرّأي، والصّواب" [٣]، وورد في سورة الرحمن في قوله (عز وجل): **﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾** [الرحمن: ٥]

---

(١) الإعجاز الجغرافي في القرآن الكَرِيم:٥٠.

(٢) يُنْظَر: الإسلام يتحدى_ مدخل علمي إلى الإيمان ، وحيد الدّين خان ، تعريب : د. ظفر الإسلام خان ، مراجعة وتحقيق : د. عبد الصّبور شاهين ، مكتبة الرّسالة ، بيروت _ لبنان : ١٤٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٢/ ٥٩ـ ٦٠.

وفسّرَ الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ذلك (بحساب معلوم) [١]، وإلى المعنى مثله بيّن صاحب الدّر المنثور أنه يعني : بحساب ومنازل يرسلان... ، وكذلك يجريان بحساب، ويدوران في مثل قطب الرّحى[٢] .

ولم يختلف التَّفْسير عند بعض المحدثين فالجريان يكون بعدد، وحساب، ومنازل[٣]، ويتبين تفسيرها أوسع عند السيد السبزواري : " أي يسيران بحسب منازل مقدَّرةٍ لا يتعدّيانها ، فيدلّان بذلك على الأيّام والشهور والأعوام ؛ لأنّهما يجريان على وتيرةٍ واحدةٍ أجراهما عليها الخالق (عزّ وعلا) ، فلا يقـــع فيها تفاوت ولا خلل ؛ فيتوفّر نورهما للناس نهارًا وليلًا ، وينتج من ذلك منافع لا تُعد ولا تُحصى "[٤].

وذكر ابن عاشور في تفسيره: "وجيء بهذه الجملة اسمية للتهويل بالابتداء باسم الشمس والقمر، وللدلالة على أنّ حسبانهما ثابت لا يتغير منذ بدء الخلق مؤذن بحكمة الخالق، واستغني بجعل اسم الشّمس والقمر مسندًا إليهما عن تفكيك المسند إلى مسندين: أحدهما يدلُّ على الاستدلال، والآخر يدلُّ على الامتنان... والتقدير كائنان بحسبان، أي بملابسة حسبان، أي لحساب الناس مواقع سيرهما "[٥].

ويفسرها الشيرازي تفسيرًا علميًّا ذاكرًا حقيقة الحركة الكونية للشمس والأرض " فإن ثبات الانتظام لهاتين الحركتين (حركة القمر حول الأرض وحركة الأرض حول الشمس) هو السّبب في الظّهور المنتظم لليل، والنّهار، والسّنين، والشهور، والفصول المختلفة، وبالتالي فإنه سبب أساسي لانتظام الحياة الإنسانية، وبرمجة الأمور التجارية والصناعيّة والزّراعية، وإن فقد الانتظام فيها فسوف تضطرب حياة البشريّة، وتختلّ الكثير من مرتكزاتها ، وليس لحركة هذين الكوكبين نظام دقيق جدًّا فحسب، بل إن مقدار كثافة وجاذبية ومسافة كل منهما عن الأرض هي الأخرى محسوبة بدقة وحساب (حسبان)" [٦].

ملخص الأمر أن الحسبان عند القدماء هو حساب معلوم وتدبير الهي، أما المحدثونَ فبعضهم لم يختلف تفسيرهم عن القدماء وبعضهم فسرها تفسيرًا علميًّا كاشفًا عن الدقّة في ظاهرتي الليل والنهار وما

---

(١) تفسير الكشاف: ٥٥.

(٢) يُنْظَر : الدر المنثور: ٧/ ٦٩١.

(٣) يُنْظَر: توفيق الرحمن في دروس القرآن ، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي ، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة دار العيان، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م: ٤ / ١٩١.

(٤) الجديد في تفسير القرآن المجيد ، الشيخ محمد بن حبيب الله السبزواري ، دار التعارف للمطبوعات، (د. ط)،١٩٨٢م : ٧/ ٦٩.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٣٤.

(٦) الأمثل: ١٧/ ٣٦٧ـ ٣٦٨.

ينجم عنهما من أمور ، وكذلك بينوا حركة الأرض حول الشّمس وحركة القمر حول الأرض ، وبينوا أنّها حركة دقيقة خاضعة لحساب محدد ، بل حتى الحجم للشّمس والقمر تحدد بحساب محدّد أيضًا ..

وبعد توظيف البحوث العلميّة والدّراسات المعاصرة الخاصّة بالتّقدم المعرفيّ تبيّن أنّ الحسبان هو ميزان إلهيّ محسوب (بحسبان)، ولولا التوازن بين قوة الجاذبية والقوة الصّادرة المركزية لوقعت السّماء على الأرض، وهذا التّوازن هو أساس الحسابات الرّياضيّة التي تستعمل في إطلاق الأقمار الصّناعيّة في مدار معين، ممّا يكشف عن عظمة الإعجاز العلميّ للقرآن الذي ينبئ عن التقاء علم الطّبيعة، مع آيات القرآن الكريم، ممّا يدل على أن الكون والقرآن من عند الله تعالى[1] .

ومن هنا ندرك أن الحسبان؛ بسبب الاكتشافات العلمية والتجارب المتقنة تبين أنّ الحسبان أشبه بمعادلة كونية تتحكم في هذا الكون بين قوتي الجذب، والطّرد، فاذا اختلَّ بعض الإعدادات فيها، انتهت الحياة على الأرض .

ـ الرَّتْق

لبيان دقة المعاني وزيادة ضبطها نفتح المعاجم اللغوية لمعرفة المقاصد التي يشير اليها القرآن الكَرِيم من حيث اصلها واشتقاقها، فيذكر ابن منظور(ت٧١١هـ) أن كلمة الرتق هي " الحام الفتق وإصلاحه رتقه يرتقه ويرتقه رتقا فارتتق أي التأم" [2]، قال تعالى :﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٠]

ذكر المفسرون القدماء آراء متعددة في كلمة (الرتق) على النّحو ممّا نجده عند الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ) " الرّتق صالح أنْ يقع موقع مرتوقتين ؛ لأنّه مصدر فما بال الرتق ؟ قُلْتُ : هو على تقدير موصوف ، أي : كانتا شيئًا رتقًا ومعنى ذلك : أنّ السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ، أو كانت السّماوات متلاصقات وكذلك الأرضون لا فرج بينهما ففتقها الله وفرّج بينها" [3]، وبيَّن ابن

---

(١) يُنْظَر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي: ٦٣.

(٢) لسان العرب : ١٥٧٧.

(٣) تفسيرالكشاف: ٦٧٧.

كثير(ت٧٧٤هـ) في تفسيره : أنَّ السماء كانت واحدة، وجعل منها سبع سماوات، والأرض كذلك كانت واحدة وجعل منها سبع أرضين [١] .

أما المفسرون المحدثون فإنهم ركزوا في فهم ما توحي إليه كلمة (رتق)، ففسروها تفسيرًا علميًّا، وذكر الشيخ مكارم الشيرازي ظاهرة نشوء الكون، ووضحها، قائلًا: " إنّ رتق السّماء والأرض إشارة إلى بداية الخلقة ، حيث يرى العلماء أنّ كلّ هذا العالم كان كتلة واحدة عظيمة من البخار المحترق، وتجزّأ تدريجيًّا نتيجة الانفجارات الداخليّة والحركة، فتولدت الكواكب والنّجوم، ومن جملتها المنظومة الشّمسية والكرة الأرضيّة ، ولا يزال العالم في توسّع دائب"[٢].

وخلاصة القول إنّ السماء والأرض كانت متلاصقة وفتقها الله سبع سماوات وسبع أرضين أو أن السماوات كانت رتقًا لا تمطر ففتقها بالأمطار والأرض كانت رتقا لا تنبت ففتقها بالإنبات، أو أنها شديدة الظلام ففتق النور فيها أو ما يقصد بالرتق العدم فأوجدها بالفتق.

وجاء العلم ليوضح ما اختلف فيه المفسرون القدماء وأيده المحدثون بما توصلت إليه الدراسات العلمية الحديثة في أن هذه " الآية تشير إلى أن السماوات والأرض أي الكون وما بث في أرجائه من النجوم ومجرات، وكواكب، وشموس، وأقمار كان شيئًا واحدًا كان مادة واحدة، كتلة واحدة ثم انشطرت هذه المادة وفتقت، وتفجرت فانفصلت السماوات عن الأرض، وتباعدت أجزاؤها، وأصبحت عالمًا عظيمًا مترامي الاطراف بعيد المدى واسع الرحاب" [٣]، والرتق من الاسماء التي وضّحت ظاهرة من الظواهر الكونية ، وهنا تبيّنت الدقة والحكمة من التعبير القرآني .

ـ الصَّدْعِ

هو مصدر للفعل (صَدَعَ) ولو نظرنا الى أصل (صدع) فسنجده يعني الكسر أو التّشقق " والصَّدْعُ: شقّ في شَيْء له صلابة "[٤]، بمعنى شق الأرض ليخرج منها النبات[١]، وجاء في قوله تعالى: **﴿وَالأرض ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [الطارق :١٢]**

---

(١) يُنْظَر: تفسير القرآن العظيم: ١٢٦٣/٥.

(٢) الأمثل:٨/ ٢٥٤

(٣) الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث ، مروان وحيد شعبان التفتازني ، دار المعرفة ، بيروت_ لبنان، (د. ط)، ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م :٩٥.

(٤) كتاب العين:٢/ ٣٨٤

وذكرَ المفسرون القدماء أكثر من رأي في توضيحهم لمعنى (الصدع)، إذ أبان القمي (ت٣٢٩هـ) في تفسيره أنّ المراد بالأرض ذات الصّدع الأرض ذات النّبات[٢]، ولمثله ذهب الزّمخشري (ت٥٣٨هـ) بقوله " ما يتصدع عنه الأرض من النبات "[٣]، وإلى جانب ذلك زَادَ ابن كثير(ت٧٧٤هـ) في تفسيره أنّ الصدع " هو انصداعها عن النبات"[٤]، وقد أشارَ إلى ذلك الطبرسي (ت٥٤٨هـ)[٥] وتأثر بعض المفسرين المحدثين بالقدماء في تفسيرهم هذه الآية المباركة ، يقول ابن عاشور إنّه الشقّ الذي يخرج منه النّبات ، وهو إشارة إلى إحياء النّاس للبعث بعد موتها[٦]، وقيل إنّها الأرض التي تتصدع بالنّبات، والأشجار، والثّمار [٧].

لقد تطرق العلم الحديث إلى حقيقة مهمة لم يتطرق إليها المفسرون القدماء ولا المحدثون، فالتصدع في وصف الدكتور سمير عبد الحليم بقوله " عندما تقع البذرة في التربة، وترويها بالماء يزداد حجم التربة فتتشق وتفسح الطريق لخروج النبتة ولولا هذه الظّاهرة لم يحصل نبات على الأرض، فالصّدوع هي وسيلة من وسائل تهوية التّربة وتجديد خصوبتها، قال علماء الجيولوجيا : إنّ الكرة الأرضيّة كانت في الأزمنة القديمة الأولى مؤلفة من قطعة واحدة ومع مرور ملايين السّنين، وبفعل الضّغط الهائل في باطن الأرض تشققت قشرة الأرض وتصدعت وهي لا تزال حتى الآن تنقسم: إلى قطع أرضية، فتكونت القارات، والمحيطات المعروفة ... ويقول العلماء أنّ ٩٠% من البراكين وأكثر الزلازل تنشأ وتتمركز حول هذه الصدوع"[٨]، ونوه إلى ذلك عبد الجواد الصاوي [٩]، أي إنَّ العلم الحديث هنا وضّحَ حقيقة مهمة وهي أن صدع الأرض هو الذي جعل الأرض صالحة للعيش، والانبات وهذه حقيقة مهمة اثبتتها الدراسات، والعلوم الجغرافية .

---

(١) يُنْظَر: معجم اللغة العربية المعاصرة :١٢٨٠/١.

(٢) يُنْظَر :تفسير القمي : ١١٤٧/٣.

(٣) تفسير الكشاف : ٣٠ / ١١٩٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٨ / ٣٧٦.

(٥) يُنْظَر :مجمع البيان :٢٥٠/١٠.

(٦) يُنْظَر: التحرير والتنوير:٢٦٦/٣٠.

(٧) يُنْظَر: تفسير المراغي : ١١٧/٣٠، والميزان :٢٩٢/٢٠.

(٨) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، الدكتور سمير عبد الحليم، دار غار حراء، ط١ ،١٤٢١-٢٠٠٠م: ٣٩٠ .

(٩) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، عبد الجواد الصاوي ، دار جياد للنشر والتوزيع، جدة_ السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م : ٢٠٠ .

ـ خير الصّيام

الخير بصورة عامة في المعاجم العربية كقولك : رجل خيّر، وامرأة خيّرة أي فاضلة في صلاحها ، وجمعها خيار وأخيار[١]، والصوم ترك الأكل والكلام وقيل أيضا إنه قيام بلا عمل [٢]، وجاء في القرآن الكَريم في بيان فضائل الصيام وأجره :﴿ **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٤]

لقد كانت قضية الصّيام عند القدماء تختلف عمّا توصل إليه العلم وفضيلته التي أنعم بها الله علينا ففسّرت كلمة (خير) عندهم صيامه أفضل من أن تفطروا وتفدوه[٣]، ومثله ما جاء عند النيسابوري (ت٤٠٥هـ) الذي ذكر أن الصيامَ خيرٌ من الافطار والفدية [٤]، وشابه ذلك الرأي ما جاء عند الأندلسي (ت٧٤٥هـ) [٥].

وجاء عند المحدثين ما فيه توسيع لدلالة (خير الصيام) فعندهم موجه لطائفة معينة " أي إيها المطيقون المقيمون الأصحّاء، أو المطوقون من الشيوخ والعجائز أو المرخصون في الإفطار من الطائفتين ، والمرضى والمسافرين، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب جبرًا لكلفة الصّوم بلذة المخاطبة... (والصّيام) (خير لكم) من الفدية أو تطوع الخير على الأولين، أو منهما ومن التأخير للقضاء على الأخير ... ، وعليه تكون الجملة تأكيدًا لخيرية الصوم " [٦]، وقد ثبت أن للصيام خيرًا كثيرًا من رياضة الجسد والنفس وتربية الإرادة وتغذية الإيمان بالتقوى وتقويته بمراقبة الله تعالى[٧].

---

(١) يُنْظَر: كتاب العين: ١/ ٤٥٥.

(٢) يُنْظَر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٢٣.

(٣) يُنْظَر: جامع البيان: ١٨٦/٣.

(٤) يُنْظَر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت٤٦٨هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيرة وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن عويس ، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ_ ١٩٩٤م: ٢٧٥/١.

(٥) يُنْظَر: البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النّوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م: ٤٥/٢.

(٦) روح المعاني: ٤٥٦/٢ـ ٤٥٧.

(٧) يُنْظَر: تفسير المنار(تفسير القرآن الكريم) : ١٥٨/٢ .

وأثبتت الدراسات الطبية أن أخطر ما يصيب الإنسان في حياته هو الإسراف في الطعام، وإرهاقه لأجهزة الهضم، وما ينجم عنه من مخاطر وأضرار بما يضفي من مجهود على القلب، والشرايين، وارتفاع ضغط الدم، وزيادة الوزن تؤدي إلى مرض السكر. وأكد العلماء بشكل قاطع أن الصوم وقاية وعلاج لأخطر الأمراض، فضلا عن أنه يجدد الأنسجة؛ لأنه يؤدي إلى تآكل المواد الضارة التي لا يحتاجها الجسم.

وأن للصيام فرصة للجهاز الهضمي لتهدأ حركات المعدة، والأمعاء لشفاء القروح، والجروح بالأغشية المخاطية، وكذلك يفيد الأمراض الجلدية وبامتناع الإنسان عن الطعام يؤدي إلى تقليل الماء في الجسم والدم وهذا بدوره يقلله في الجلد، ومن ثمَّ يقلل من الامراض الالتهابية الحادة والمنتشرة في الجلد[١]. فضلا عن فوائد نفسية ساعدت الإنسان على التخلص من القلق والاكتئاب، لأنه يؤدي إلى الاستقرار النفسي ومن هنا ندرك كيف أن العلم الحديث قد بيّن سعة المعنى في كلمة (خير) بسبب التقدم في المجال الطبي والنفسي .

ـ يَنْعِهِ

أشار القرآن الكَرِيم إلى حقيقة علمية مهمة تخص (علم النبات) بكلمة (ينعه) وهو مصدر (يِنع) بكسر النون، فهي مكسورة في الماضي مفتوحة في المضارع، أي نضج، واستوى [٢]، ويرجع معناه في المعاجم اللغوية إلى "يَنَعَ الثَّمَرُ أي نَضجَ ... و(يُنْعًا) أيضا بضمِّ الياءِ وضمها وهو مثل النَّضجِ والنُّضْجِ " [٣]، وورد وورد في قوله تبارك وتعالى: **﴿انظروا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾** [الأنعام :٩٩]

فسّرت لفظة (وينعه) في التفاسير القديمة بـ (نضجه) [٤]، ومما زاد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)على ذلك بقوله " انظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئًا جامعًا لمنافع وملاذ، نظر اعتبار واستبصار

(١) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في القرآن الكَرِيم والسنة النبوية المطهرة، ربيع عبد الرؤوف الزواوي ، دار الفاروق القاهرة ،٢٠٠٨ .

(٢) يُنْظَر: اعراب القرآن الكَرِيم وبيانه، محيي الدين الدرويش الناشر اليمامة دار ابن كثير دار الإرشاد ، ط٣ ١٤١٢هـ -١٩٩٢م : ٣ /١٨٣.

(٣) مختار الصحاح :٣١١.

(٤) يُنْظَر :جامع البيان : ٩/٤٥١ـ ٤٥٢.

واستدلَّال على قدرة مقدرة ومدبرة وناقله من حال إلى حال" [١]، وهنالك من فسرها بمرحلة خروج الثمار إلى انتهائها وكيف يتحول طعم الثمر وتتغير الرائحة واللون والصغر والكبر وهذا في خلق الثمار[٢].

بينما فسّرها المحدثون بتتابع مراحل نمو الثمر ونضجه ، وهذا ما ذهب إليه الآلوسي :"هو راعوه بالمراقبة عند السلوك وبدء الحال (وينعه) ، وهو كماله عند الوصول بالحضور " [٣]، ويصف الطباطبائي خلق الثمار بقوله "والخضر هو الاخضر وكأنه مخفف الخاضر، وتراكب الحب انعقاد بعضه فوق بعض كما في السنبلة ، والطلع أول ما يبدو من ثمر النخل، والقنوات جمع قنو وهو العذق بالكسر وهو من التمر كالعنقود من العنب والمشتبه وغير المتشابه المشاكل وغير المشاكل من النوع والشكل وغيرها. وينع البكر نضجه" [٤]، ويتبعه في القول الشيخ محمد رضا [٥].

وعند النظر إلى ما يثبته العلم الحديث تتكشف دقة الألفاظ التي يختارها القرآن، والتي تغمض على ما جاء به المفسرون القدماء، فاللفظة (وينعه) توضّح لنا الحقيقة العلمية في انبات الثمر ونضجه" هذه المصانع الخضراء تخرج من النبات عند بدء ثمره، والنبات يخرجه الماء من بذوره، وأصوله، ويخرج من النبات هذه الأوراق أو المصانع الخضراء التي منها تخرج المواد الغذائية التي تتكون منها الحبوب والثمار، بل وسائر أجزاء النبات" [٦] ، ممّا سبق يتبين أن العلم الحديث ، وإن كان محل اعتراض من قبل بعض العلماء في توظيفه لفهم القرآن إلا أنّ الحقيقة أثبتت أن به فائدة عظيمة لتفسير كثير من آياته.

---

(١) تفسير الكشاف: ٣٣٩.

(٢) يُنْظَر :مجمع البيان :٩٤/٤.

(٣) روح المعاني: ٢٤٢/٧ .

(٤) الميزان: ٢٨٩/٧.

(٥) يُنْظَر : تفسير المنار : ٦٤٣/٧.

(٦)الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : ٩٥.

المبحث الخامس : بقية الاسماء

ثمّة مجموعة من الاسماء، لا يمكن أن ندرجها فيما سبق، وكان للعلم الحديث أثر في تبيينها:

ـ دُخَانٌ

مثلما هو معروف أن كلمة (دخان) هي ما تخلفه الوقود كما قيل : " الدال والخاء والنون أصل واحد وهو الذي يكون من الوقود ثم يشبه به كل شيء يشبه من عداوة، ونظيرها . فالدخان معروف وجمعه دواخن على غير قياس ... ويقال : دخن الغبار: ارتفع "[١]، وترى الباحثة أنه يمكن أن يجمع على (أدْخنة) ، وورد ذكره في القرآن بحادثة غريبة وهي أنّ السماء كانت دخانًا في قوله تعالى:**﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت :١١]**

فسّر القدماء هذه الآية الكَرِيمة بأن الله سبحانه وتعالى خلق السماء من الدخان المرتفع؛ إذ عبّر عن نشأة الكون قبل خلقه للسماوات والأرض كان على الماء، ففتقها وارتفع الدخان فوقًا من الماء وبعدها جعل الأرض يابسة [٢].

وتابعهم قسم من المفسرين المحدثين بأنّ الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء قبل خلق السماوات والأرض فأحدث الله سبحانه سخونة فيه وارتفع الزبد والدخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء وأحدث فيه اليبوسة وارتفع الدخان إلى الأعلى ومنه خلقت السماوات [٣]، وأفاد بعض المحدثين المفسرين افادوا من معطيات العلم الحديث ، فذهب المراغي في تفسيره إلى القول :" أي دعا داعي الحكمة إلى خلق السماء وهي مادة غازية أشبه بالدخان أو السحاب أو السديم ، وتسمى في العلم الحديث(عالم السديم) ، وقد شاهدوا من تلك العوالم اليوم عوالم كثيرة في عالم سديم آخذة من البروز كما برزت شمسًا وسياراتها وأرضها وكانت في الأصل دخانًا" [٤].

ووجدت الباحثة أنه بعد التخبط في النظريات في خلق الكون جاء العلم ليثبت ما توحي إليه الآية القرآنية بما يسميه العلماء (الهيولي الذرية) وهو سائلٌ عبر عنه بالماء ويتألف من الجسيمات العنصرية

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣٣٦/٢.

(٢) يُنْظَر: تفسير الكشاف : ٩٦٥.

(٣) يُنْظَر: روح المعاني: ٣٥٥/٢٤.

(٤) تفسير المراغي ٢٤:/١١١ـ ١١٢.

(كالبروتون والنترون والالكترون) التي صنعت العناصر فيما بعد كالهيدرجين والهليوم والليثوم والكاربون " وهذه الجسيمات ثقيلة جدًّا لا بد من ريح قوية لتحملها في الفضاء فسماها الامام علي "عليه السلام" بالريح العاصفة فتجمعها وبعدها تأتي ريح أخرى ، فسماها ريح العقيم فتلعب من سطحها فقط ، ومن هذه الحركة نشأت الأجرام السماوية والكواكب التي شكلت المجموعات والمجرات(١).

أي إنّ للقرآن سبقًا في العلوم الحديثة في تبيين مراحل تكوين السّماء ، وتثبت أن السماء كانت دخانًا وحينما تتأمل وتنظر إلى السماء ترى أثر الدخان فيها على هيئة نجوم وكواكب ومجرات ...الخ.

ـ مَرْعَاهَا

هذا اللفظ هو اسم مكان من الرعي، ويرجع معناه إلى الحفظ، والرعاية يقول الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) : " الرِّعْيُ، بالكسر: الكلأ، أرْعاءٌ، بالفتح: المَصْدَرُ. والمَرْعَى: الرِّعْيُ، والمَصْدَرُ، والمَوْضِعُ، كالمَرْعِاة. والرَّاعِي كُلُّ مَنْ ولِيَ أمْرَ قَوْم، رُعاةٌ ورُعْيانٌ ورُعاءٌ... والأرض: كثُرَ فيها المَرْعَى. واسْتَرْعاهُ إيَّاهُمْ: اسْتَحْفَظَهُ. والرعية: الماشية الرَّاعِيَةُ، والمَرْعِيَّةُ، ورَعَتِ الماشِيَةُ تَرْعَى رَعْيًا ورِعايَةً، وارْتَعَتْ وتَرَعَّتْ، ورَعاها وأرْعاها... وأرْعاهُ المَكانَ: جَعَلَهُ له مَرْعًى، و- الأرض: كثُرَ رِعْيُها. والرَّعايا والرَّعاوِيَةُ: الماشِيَةُ المَرْعِيَّةُ لكُلِّ مَن كان "(٢)، وجاءت في القرآن الكَرِيم بصيغة المصدر المضاف إلى الضمير (ها)، في قوله تعالى:**﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات:٣١]** وقد نظرَ بعض المفسرين القدماء إلى تفسير مفردة (مرعاها) على أنّها: "ما ترعاه النّعم من الشّجر، والعشب" (٣) ، وهذا ما أراد أن يثبته العلامة ابو اسحاق أحمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ) في رأيه: " انظر كيف دلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا ومتاعًا للأنعام من العشب، والشجر، والحبّ، والتمر، والعصف، والحطب، واللباس، والنار، والملح؛ لأن النار من العيدان، والملح من الماء " (٤)، وطابقه في الرأي ما جاء في الإتقان (٥).

---

(١) يُنْظَر: الإعجاز العلمي عند الامام علي (عليه السلام)، لبيب بيضون: ٢٠ـ ٢١.

(٢) القاموس المحيط:٦٥١ـ ٦٥٢.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١١٧١/٢.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن :١٠/ ١٢٨.

(٥) يُنْظَر: الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرّحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدّين الخضيري السّيوطي (ت٩١١هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدّعوة والإرشاد _ المملكة العربية السعودية : ٢/ ٧٧.

وقد ركز المفسرون والباحثون في الوقت المعاصر على معناها مستفيدين من التقدم العلمي الحاصل على جميع المستويات ، فجاء معناها أدق، يقول السّيد الطباطبائي : " المرعى يطلق على الرعي بالكسر فالسكون وهو الكلأ كما يجيء مصدرًا ميميًّا، واسم زمان، ومكان، والمراد بإخراج مائها منها تفجير العيون وإجراء الأنهار عليها، وإخراج المرعى إنبات النبات عليها مما يتغذى به الحيوان والإنسان فالظاهر أنّ المراد بالمرعى مطلق النبات الذي يتغذى به الحيوان والإنسان كما يشعر به قوله : ﴿متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ لا ما يختص بالحيوان كما هو الغالب في استعماله " [١]، ومثله عند الجزائري [٢].

أما المحدثون فقد تابعوا القضية علميًّا واستنتجوا بعد جهد من الأبحاث أنّ المرعى هو أول النباتات التي خرجت من الأرض ، فمن كلام طويل بيّنوا فيه قضية انفجار غاز ثاني أوكسيد الكاربون كان هـذا سببًا ؛ لأن يكون المرعى الذي يأخذ هذا الغاز منتجا للأوكسجين في بادىء الأمر، واتّحد مع الميثان ما يريده يعني أنّ هذين المنتوجين (الماء + المرعى) ، فإختلف القول فيهما بين القدماء والمحدثين بما يوضح أن كلام المحدثين كشف عن التطور الدّلاليّ من جهة، وابان كيفية تكون الماء والمرعى في هذا الكوكب (الأرض)، فالقرآن دقيق كل الدقة بدليل أن العلم الحديث قد انسجم مع ما جاء فيه.

لهذا كان لابد من نشأة النبات على الأرض أولا على هيئة نباتات أولية لكي يتكون الجو الحالي وأن الأوكسجين تولد أيضا في الجو الحالي من تحلل بخار الماء بواسطة الاشعاع الشمسيّ ، ويعتقد العلماء أن جزءًا من الاوكسجين اتحد مع غازي (النوشادر والميثان) المتصاعد من البراكين لكي يتكون غاز النيتروجين وثاني آكسيد الكربون والماء، ونستنتج من ذلك أن تصاعد الغازات المستمر، والأبخرة من باطن الأرض عبر الاحقاب المختلفة من الزمن كان السبب في تراكم الماء بهذا القدر في كوكب الأرض في بحيرات وأنهار، وبحار، ومحيطات، وكذلك كان سببًا في تراكم الغلاف الجوي لكوكب الأرض لمساعده النباتات[٣]، وليكون ذلك المنتوج (المرعى)، فاختيار القرآن الكَرِيم للماء والمرعى لم يكن من فراغ، بل جاء مطابقًا لأصل مهم، حدث في هذه الأرض ، وقد عاضد العلم الحديث في الكشف عن تلك البداية .

---

(١) تفسير الميزان: ٢٠٨/٢٩

(٢) يُنْظَر: ايسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م : ٥/ ٥١٣.

(٣) يُنْظَر: القرآن الكَرِيم والعلم الحديث: ٩٩.

ـ شَرَابٌ

جاء أصلها في المعاجم اللغوية من " شَرِبَ شَرْبًا، وشُرْيًا، والشَّرْبُ: وقت الشُّرْب. والشَّرَبُ: الوحهُ الذي يُشْرب منه، ويكون مَوْضِعًا ومصدرًا... والشّرّابُ : الكثيرُ الشُّربِ الشَّديدُهُ "[١]، وورد ذكرها في قوله تعالى: **﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٩]**

تباين المفسرون القدماء في بيان كلمة (شراب) في الآية أعلاه ؛ إذ فسرها القمي (ت٣٢٩هـ) على أنه : " العلم الذي يخرج منها إليكم" [٢] . وقيل " يخرج من بطون النحل شرابٌ وهو العسل مختلف ألوانه؛ لأنّ فيه أبيض، وأحمر، وأسمر، وغير ذلك من الألوان" [٣]، وفسرها بعضهم على أنها شفاء للناس من الأمراض وجاء في تفسير القرآن العظيم " في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم"[٤] .

وللمفسرين المحدثين تفسيرٌ آخر "وهو أنه يخرج من بطونها أي بطون النحل" الشراب" وهو العسل (مختلف الوانه) بالبياض، والصفرة، والحمرة الناصعة، وما يميل إلى السواد (فيه شفاء للناس) من غالب الأمراض[٥]. ويبين الشعراوي أنّ السبب في كون العسل فيه شفاء للناس هو أكل النحل من كل الثمرات ؛ لأنّ تنوعها يجعل العسل غنيًّا بالمواد والعناصر المفيدة للجسم فيكون له شفاء، ولذا تجد اختلافًا في اسعار عسل النحل واضحًا تبعًا لنوعه وجودته ومطابقته للطّبيعة التي جاء بها القرآن الكَرِيم[٦] .

خلاصة القول أنّ تفسير لفظة (شراب) عند القدماء هو ما قصد به العسل فقط أما عند المحدثين فهو ذو مدلّولات كثيرة فتكون اللفظة أعمّ وأشمل ويدلُّ أيضا على أنواعه المختلفة ؛ لأنّ العسل ما هو إلا نتاج جمع رحيق الازهار، والثمرات، وحبوب اللقاح وهذا ما يتدخل في تركيب بعض مكونات العسل .

---

(١) كتاب العين: ٢/ ٣١٧.

(٢) تفسير القمي: ٢ /١٥٦ .

(٣) جامع البيان: ١٤ /٢٨٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١٠٦٧.

(٥) الميزان: ١٢/ ٢٩٣.

(٦) يُنْظَر: تفسير الشعراوي: ٨٠٥٣ـ ٨٠٥٤.

وبالإفادة من معطيات العلم الحديث ، ذكر بعض الباحثين الجهة التي يخرج منها العسل ، فقال: "والعسل عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل، وإنما تنقله بأفواهها من مساقطه ومواقعه من أوراق الأشجار وأضعاف النبات ؛ لأنه يسقط كسقوط الندى في أماكن مخصوصة وعلى أوصاف معلومة، والنحل ملهمة تتبع تلك المساقط، وتعهد تلك المواضع، فتنقل العسل بأفواهها إلى كوارتها، والمواضع المعدة لها، فقال سبحانه: (يخرج من بطونها) والمراد من جهة بطونها أفواهها "[1].

وكان كثير من الناس لا يعرف منتجات النحل سوى العسل فقط، ولذلك انصرف فهمهم لهذه الجزئية من الآية إلى العسل وقالوا بأن (شراب) المقصود هنا هو العسل ولكن العلم الحديث يوضح أن هنالك أنواعًا وانماطًا من الشراب فضلًا عن العسل ، والقارئ للآية القرآنية بلغتها العربية يعرف أن لفظة (شراب) جاءت نكرة أي غير معرفة ب (ال) ويدلُّ هذا على إطلاق المعنى مثلما هو معروف في اللغة العربية على كل ما هو شراب أو سائل يخرج من النحل إذن فاللفظة الواردة في هذه الآية ذات مدلولات كثيرة وليست مدلولها واحد .

وقد فهم الناس قديمًا الألوان المختلفة هنا الألوان العسل ، وهذا فهم صائب ولكن اللغة العربية غنية بمكوناتها ومفرداتها ومن هذه المكونات المعاني المجازية للفظ الألوان في اللغة العربية، إذ قد تعني الأنماط والأشكال وذلك زيادة على المعنى الصريح المباشر[2].

ـ لُجِّيٍّ

هو في الأصل اسم منسوب إلى (لُجَّةُ) ووردت لفظة (لجي) " ولُجَّةُ الماء بالضَّمِّ مُعْظَمُهُ وكذا (اللُّجُّ) ومنهُ بَحْرٌ (لُجّيٌّ)" [3] ، بمعنى البحر العميق الكثير الماء الشديد الظلمة [4] ، ومن الأسرار التي أشار إليها القرآن هو ظلمات البحر، وعمقه، وأمواجه ، فيصفه سبحانه وصفًا دقيقًا يناسب منسوب البحر وحركته، في قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾ [النور:٤٠] ، والقارئ في كتب التَّفْسير يجد أن القدماء لم يبينوا معنى ما وراء ظلمة (البحر

(١) العلم وحقائقه، سامي عامري: ٥٥٧.

(٢) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد الصاوي، الناشر الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ،ط١ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ١٤٠ـ ١٤١.

(٣) مختار الصحاح:٢٤٧.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة :١ /١٩٩٥.

اللجي) وأعطوا تفسيرًا مبدئيًّا لهذه الآية المباركة ، وقيل إنه : البحر المظلم ؛ بسبب عمقه وتراكم المياه فيه[١] ، وذكر ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في تفسيره " أنّ البحر العميق يكون شديد الظّلام في قعره المظلم "[٢]، ونلاحظ مما سبق أنّ معنى (البحر اللجي) عند القدماء هو: عمق البحر، وظلامه .

ولقد اختلف التَّفْسير عند المحدثين وأكدوا حقيقة مهمة، فيقول السّيد أحمد المراغي في تفسيره " إنّ البحر يكون مظلمًا؛ بسبب غمور الماء في أسفله "[٣]، وبيّن السّيد الشعراوي معنى البحر اللجي في تفسيره " البحر اللجي : الواسع الكبير الذي تتلاطم فيه الأمواج بعضها فوق بعض، وفوق هذا كله سحاب إذن : فالظلام مطبق؛ لأنّه طبقات متتالية، وفي أعماق بعيدة، وقد بلغت هذه حدًّا لا يرى الإنسان معها حتى يده التي هي جزء منه " [٤]، وكشفت الدراسات العلمية السبب وراء ظلمة البحار ، التي لم يذكرها القدماء ؛ فـ " لم تبدأ الدراسات المتصلة بعلوم البحار وأعماقها على وجه التحديد إلا في بداية القرن الثامن عشر عندما توفرت الأجهزة المناسبة والتقنيات وصولًا إلى ابتكار الغواصات المتطورة، وبعد عام ١٩٥٨م أي بعد ثلاثة قرون من البحوث، والدراسات العلمية وعلى أيدي أجيال متعاقبة من علماء البحار توصل الإنسان الى حقائق مدهشة منها: ينقسم البحر إلى قسمين كبيرين هما: البحر السطحي الذي تدخله طاقة الشمس وأشعتها، والبحر العميق الذي تتلاشى فيه طاقة الشمس وأشعتها، ويختلف البحر العميق عن البحر السطحي في الحرارة والكثافة والضغط ودرجة الإضاءة الشمسية، والكائنات التي تعيش في كل منهما، ويفصل بينهما موج داخلي، وتغطي الامواج الداخلية البحر العميق، والبحر السطحي وتمثل حدًّا فاصلًا بين البحر العميق والبحر السطحيّ، ولم تكتشف الأمواج الداخلية إلا في عام ١٩٠٤ م " [٥].

لقد أثبت علم البحار والمحيطات أن هنالك موجًا يعلو أحدهما على الآخر موج البحر اللجي، والموج الثاني فوق البحر القريب؛ وذلك أنّ البحر ينقسم إلى قسمين بحر سطحي، وبحر عميق، وبحر فاصل أو حاجز بينهما وعند هذا الحاجز ينشأ موج، هذا الموج يغطي البحر العميق، وفوق هذا الموج البحر السطحيّ يغطيه موج آخر فوقه، ولعل الموج الذي تحته البحر السّطحي سبب منشئه هو الموج السّطحي بفعل

---

(١) يُنْظَر: تفسير الكشاف : ٥٦٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦ / ١٣٤٠.

(٣) تفسير المراغي: ١٨/ ١١٤.

(٤) تفسير الشعراوي : ١٠٢٨٧.

(٥) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : ٢١٨ ـ ٢١٩.

التجارب لاتصال المياه بعضها ببعض[1]، من هنا يتبين أنّ (اللجي) صفة للبحر وهي وصف دقيق لبيان عمقه وظلماته وهذه الحقيقة لم تعرف إلا بعد اكتشاف عالم البحار، والمحيطات .

ـ مِثْلَهُنَّ

لفظة (مِثْلَهُنَّ) مثلما في المعاجم العربية جاءت من " مثل الرجل بين يديه يمثُل مُثُوْلًا قام منتصبًا ... ومَثَّلَ زيدٌ زال عن موضعه. ومثَّل الرجل فلانًا بفلانٍ شبهه به. ومثَّل فلانٌ فلانًا صار مثلهُ "[2] وقد ذُكِرَت في قوله تعالى: **﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأرض مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]**

اختلف المفسرون القدماء في تفسير كلمة (مِثْلَهُنَّ) مع اتفاقهم في أنّ السماوات سبع ، وهذا أمر لا جدال فيه وإنما الخلاف في عدد الأرضين ، فيذكر ذلك الرّأي ابن عطية (ت٥٤٦هـ) " لا خلاف بين العلماء أنّ السماوات سبع؛ لأنّ اللّه تعالى قال : (سبعا طِباقًا) [الملك : ٣ ، نوح : ١٥] ... وروي عن قوم من العلماء أنهم قالوا : الأرض واحدة، وهي مماثلة لكل سماء بانفرادها في ارتفاع جرمها "[3] ، وورد في البرهان " فما تحتنا إلا أرض واحدة "[4] والمتفق هنا أن الأرض واحدة فقط .

وذكرَ الطنطاوي عطف (مِثْلَهُنَّ) على الكلام الذي قبله، والعطف في العربية يفيد المشاركة بين صفات المعطوف والمعطوف عليه فتابعه هنا في عددها وصفاتها فيقول إن " اللّه الذي خلق سبع سماوات مبتدأ وخبر(ومِنَ الأرض مِثْلَهُنَّ) أي :وخلق من الأرض مثلهن، على أن (مِثْلَهُنَّ) مفعول لفعل محذوف، والجملة معطوفة على الجملة قبلها والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الأوصاف، فقال الجمهور : هي هنا في كونها سبعًا وكونها طباقًا بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سكان من خلق اللّه، لا يعلم حقيقتهم أحد إلا اللّه – تعالى – .

وقيل : المثلية في الخلق لا في العدد ولا في غيره ، فهي أرض واحدة مخلوقة كالسّماوات السبع ... والذي نراه أن كون المثلية في العد، هو المعول عليه، لورود الأحاديث الصحيحة التي صرحت بأنّ الأرضين

---

(1) يُنْظَر: العلم الحديث حجة الإنسان أم عليه ،عبد الله الرحيم العبادي ، دار الثقافة ، ط١ ١٤٠٥-١٩٨٥م ،: ٦٥ـ ٦٦.

(2) محيط المحيط : ٨٣٨.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٣٢٧ـ ٣٢٨.

(4) يُنْظَر: البرهان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٢٤.

سبع، فعلينا أنْ نؤمن بذلك، وأنْ نرد كيفية تكوينها، وهيئاتها، وأبعادها، ومساحاتها، وخصائصها . . إلى علم اللَّه – تعالى – "[1].

وإن المختصين في علم الجيولوجيا يرون أنّ داخل الأرض أو نواتها كرة صلبة من معدني النيكل والحديد، ويضغط بعضها على بعض بقوة من جميع الجهات بحيث إنّ القلب أو النّواة الداخلية تقع تحت ضغط شديد، ولا يعرف ما يحدث لداخل هذا المعدن الشديد الحرارة، والمعرض لمثل هذا الضغط الشديد ولكن المقترح هو أنّ قلب الأرض لا بد أنْ يكون شديد الصّلابة مع الثقل الشّديد ويقولون إنّ الجزء الخارجيّ منه ذائب، لذلك هو متحرك كما يقولون إنّ حول هذه النّواة طبقات من مواد مختلفة تتكون منها الصّخور وبعض هذه الطّبقات صلب، وبعضها كالمعدن الذائب والقشرة نفسها كذلك تتكون من طبقات المواد مختلفة وفوقها جميعًا تقع الطبقة الخارجيّة التي يعيش عليها البشر[2]، وهذا يثبت أنّ الأرض تتكون من طبقات وهذا التَّفْسير عند المحدثين وهو الأقرب إلى الصّواب ، وليس أرضًا واحدة مثلما زعم القدماء .

ـ وَرْدَةً كَالدِّهانِ

روى الفراهيدي (ت١٧٠هـ) أن " الوَرْدُ اسْمُ نَوْرٍ ، ويقال : وَرَّدَتِ الشَّجَرةُ أي خَرَجَ نَورُها ، ... والوَرْدُ لونٌ يضربُ إلى صُفرةٍ حَسَنَةٍ من اللون الدَّوابِّ وكلِّ شيءٍ والأُنثَى وردةٌ وقد وَرُدَ وُرْدةً، وقيلَ : إيرادّ يَوْاردّ في لغة ، على قياس إدهامَّ . ويَصيرُ لونُ السماء يوم القيامةِ وَرْدَةً كالدهان"[3]، وجاءت في قوله تعالى: **﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]**

يذكر النّحاس (ت٣٣٨هـ) أنّ المقصود بالوردة : هي اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء، وزاد غيره وهي من حديد . والدِّهانِ جمع دهن أي صافية ملساء[4] .

والكون تتلون كما تتلون الدّهان ، فيتلون في الشّتاء لونه بخلاف لونه في الصّيف، وكذلك في الفصول وتصير السّماء حمراء. والوردة واحدة الورد ، وإنما تصير السّماء كالوردة في الاحمرار ثمّ تجري كالدّهان،

---

(1) التَّفْسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٤/ ٤٦٢.

(2) يُنْظَر: العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه : ٤٢.

(3) كتاب العين: ٤/ ٣٦٣.

(4) يُنْظَر: اعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش الناشر اليمامة دار ابن كثير دار الإرشاد ، ط٣، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م : ٤/ ٢١٠.

وهو جمع (دهن) كقولك : قرط وقراط عند انقضاء الأمر وتناهي المدة، والمقصود هي بالدهان أي: كالدهن الذي يصبّ بعضه على بعض بألوان مختلفة، وقال بعضهم : إنّ السّماء تذوب يوم القيامة من حرّ نار جهنم ، فكان تشبيهها بلون الوردة ، والأقوال التي ذكرناها : أنّ الدهان هو الأديم الأحمر[١].

ويذكر القرطبي(ت٦٧١هـ) ما اختلف فيه المفسرون ، فبعضهم ذهب إلى أنّ المعنى يكمن في حمرة الورد وجريان الدّهن، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم، وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها .

ويرى بعضهم أنّها تصبح حمراء كالأديم لشدّة حرّ النّار والفرس الورد ، في الربيع كُمَيت أصفر، وفي أول الشتاء كميت أحمر، فإذا اشتد الشتاء كان كميتًا أغبر . ويراد بالفرس الوردية، تكون في الربيع وردة مائلة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل . وقيل كالدهان إي إنّها تصير كعكر الزيت، وأنها تمر وتجيء . وعبّر عنها : بأنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر. وزعمَ المتقدمون أنّ أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة نراها بهذا اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل زرقاء، فإنْ كان هذا صحيحًا فإن السّماء لقربها من النّواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء، لأنّه أصل لونها والله أعلم [٢].

ويشير الزركشي (ت٧٩٤هـ) إلى أنَّها " بمعنى حصلت منها [سماء] وردة، قال : وهو من التجريد " [٣].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ السماء بعد انشقاقها تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة ، فصارت وردة كالدهان، وتصير السماء كالمهل والجبال كالعهن.

فكانت وردة يقول حمراء مثل الدهان . قال : هو الأديم الأحمر . وروى ابن جرير عنه قال : كالدّهان يقول تغير لونها لصفاء الدّهن . وروي : أنّ لون السّماء كلون دهن الورد في الصفرة [٤].

---

(١) يُنْظَر: التبيان : ٩/ ٤٧٦.

(٢) يُنْظَر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ١٧٣.

(٣) البرهان: ٣/ ٤٤٩.

(٤) يُنْظَر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، مرتضى الزبيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى ، المطبعة الميمنية ،بيروت –لبنان ،١٤١٤هـ ١٩٩٤م: ١٤/ ٤٣٧.

وبطبيعة الحال أنّ السّماء تذوب بما فيها من كواكب كما يذوب الدّهن على النّار، ويصبح لون السائل كحمرة الورد ... والغرض من هذا التّشبيه هو الإشارة إلى خراب الكون ودماره يوم تقوم الساعة [١].

وقد أبان الطنطاوي المراد من هذه الآية بقوله " فإذا انشقت السّماء، فصارت حين انشقاقها وتصدعها، كالوردة الحمراء في لونها، وكالدهان الذي يدهن به الشيء في ذوبانها وسيلانها، رأيت ما يفزع القلوب، ويزلزل النفوس من شدة الهول "[٢].

ونتيجة لتلك العوامل يُفاد من مجموع آيات وصف أهوال يوم القيامة هو أنّ النظام الحالي للعالم سوف يتغير ويضطرب عمّا هو عليه وتقع حوادث مرعبة جدًّا، وتتغير الكواكب والسيارات والأرض والسماء، وتحصل تغيرات يصعب تصورها، ومن أهمها انشقاق وتناثر الكرات السماوية، حيث يصبح لونها أحمر بصورة مذابة كالدهن مثلما أشار إليها الشيرازي وقرنها بـ (الخيل الحمر) إذ يقول " وبما أن لونها يتغير في فصول السنة حين يكون في الربيع مائلا إلى الصفرة، وفي الشتاء يحمر، ويقتم لونها في البرد الشديد، فتشبيه السماء يوم القيامة بها هو بلحاظ التغيرات التي تحصل في ألوانها فتارة يكون لونها كالشعلة الوهاجة أحمر حارقا ، وأحيانا أصفر، وأخرى أسود قاتم ومعتم .

و(دهان) على وزن (كتاب)، بمعنى الدهن المذاب، وتطلق أحيانا على الرسوبات المتخلفة للمادة الدهنية ، وغالبًا ما تكون لها ألوان متعددة، ومن هنا ورد هذا التشبيه حيث يصبح لون السماء كالدهن المذاب بلون الورد الأحمر، أو إشارة إلى ذوبان الكرات السماوية أو اختلاف لونها . وفسر البعض (الدهان) بمعنى الجلد أو اللون الأحمر، وعلى كل حال فإن هذه التشبيهات تجسد لنا صورة من مشهد ذلك اليوم العظيم" [٣] .

ولو تأملنا العمق اللغوي لكلمة (ورد) يتضح لنا النفاذ أو الوصول والورود إلى شيء معين ، ويتطابق ذلك المعنى مع السماء؛ لأنها محكمة البناء تربط أجرامها بإحكام ويصعب النفاذ إليها فتصبح فيها بعد أبواب ومنافذ يسهل النفاذ منها ، وذلك ينطبق مع معناها اللغويّ وتصوير الجرم في السّماء وهو ينفجر فيكون مشابهًا للوردة الحمراء الطبيعيّة حيث تتمدد السنة اللهب الحمراء وتنساب في لحظة انفجارها كأنها

---

(١) يُنْظَر: التَّفْسير الكاشف: ٧/ ٢١٢.

(٢) التَّفْسير الوسيط للقرآن الكريم:١٤/ ١٤٤.

(٣) الأمثل :١٧/٤١٢.

وردة حمراء تنفتح وهذا يعطينا لمحة عن سر تسمية الوردة وعلاقتها بالسماء واشتقاق اسمها في اللغة العربية لارتباطه بحقيقة كونية أزلية لم يتطرق إليها العرب في زمن نزول القرآن[1].

وما تم ذكره في هذا الفصل من الاسماء التي ذكرت في القرآن الكريم، يمكن أن نجمله بالاتي :

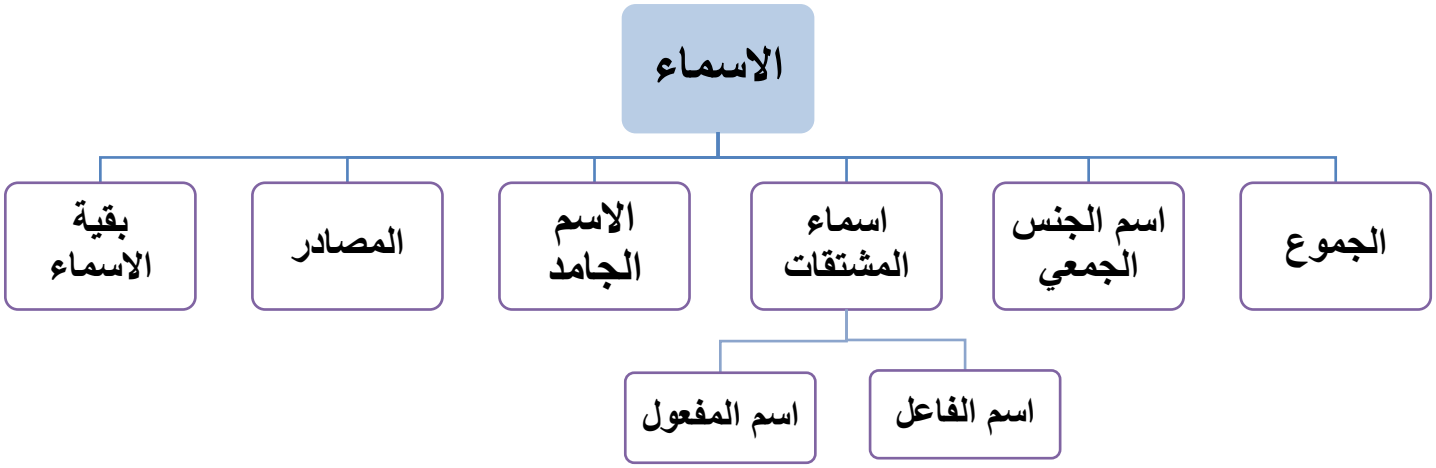

(1) يُنْظَر: الآيات الكونية، عبد المجيد بن محمد الوعلان إشراف: د. عبد الكريم بن محمد الحميدي، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢_١٤٣٣هـ : ٢٢٨.

الفَصْل الثَّانِي

أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التَّفسير الدَّلاليّ للأفعال في القرآن الكريم

_ المَبْحَثُ الأوّل: ـ الجملة الفعلية المبدوءة بالماضي.

_ المَبْحَثُ الثّاني: ـ الجملة الفعلية المبدوءة بالمضارع.

أثر العلم الحديث في الكشف عن مستجدات التَّفسير الدَّلاليّ للأفعال في القرآن الكريم

توطئة:

اهتم العلماء المحدثون اهتمامًا بالغًا في تقصي أثر معاني الأفعال ولغتها، ومدلولاتها في تفسير الخطاب القرآني بما ينتجه من معانٍ، تسهم في إثراء المعنى المفسَّر وصولًا إلى أتم الغايات، والمقاصد، من هذا المنطلق نطرح في هذا المَبْحَثُ إمكانية استثمار الاتجاهات الحديثة ونظرياتها في الكشف عن أهمية الأفعال في استنتاج المعاني، وترجمتها مع ما يتناسب مع الخطاب القرآني، واتصاله بالعلم الحديث بما يعطيه من قوى مقامية لها أهمية قصوى في فهم مدلولات التَّفسير الحديث، وتوجهًا من أن المعنى ليس شيئًا متصلًا في الأفعال وحدها، على أنّ هذه الإشارة قد تطرق إليها بعض علمائنا القدماء مثلما في مورد (معنى المعنى) الذي أشار إليه الجرجاني (ت٤٧١هـ)، إذ قال "وهكذا يكون الأمر أبدًا ، كلما زدت شيئًا ، وجدت المعنى قد صار غير الذي كان . ومن أجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد، إذا أتى به مطلقًا في الشرط ، ومُعَدّى إلى شيء في الجزاء، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة الإسراء: ٧] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [سورة الشعراء : ١٣٠]، مع العلم بأن الشرط ينبغي أن يكون غير الجزاء، من حيث كان الشرط سببًا والجزاء مسببًا ، وأنه محال أن يكون الشيء سببًا لنفسه . فلولا أن المعنى في (أَحْسَنْتُمْ) الثانية، غير المعنى في الأولى، وأنها في حكم فعل ثان، لما ساغ ذلك، كما لا يسوغ أن تقول: (إن قمت قمت ، وإن خرجت خرجت)، ومثله من الكلام قوله : (المرء بأصغريه، إن قال قال ببيان ، وإن صال صال بجنان)، ويُجْرى ذلك في الفعلين قد عُديا جميعًا، إلا أن الثاني منهما قد تعدى إلى شيء زائد على ما تعدى إليه الأول "[1]، وصناعة التَّفسير الحديث، وارتباطه بالمدلولات العلمية يتمثل في تناول اللغة بجميع جوانبها، لاسيما معاني الأفعال، وأثرها في تبيان أي سياق في التَّفسير على عد أن الأفعال تعطي اللغة قوة فاعلة مؤثرة في الخطاب بالنظر إلى البعد الذي يحققهُ معنى الفعل في الكلام، ولما كان القرآن

(1) كتاب دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن الرّحمن بن محمد الجرجاني النّحوي (ت٤٧١هـ) ، تح: محمود محمد شاكر، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان، ط١، ، القاهرة _ مصر١٩٩٥م : ٥٣٤.

الكَرِيم معجزًا بأسلوبه وطريقة نظمه، وأن اللغة فيها ما هو مكتوب، وما هو شفوي فيكون استعمال الظروف قد يؤثر في المعنى وما يتركب من الصيغ تركيبًا إضافيًّا أو مزجيًّا، وهذا يؤدي إلى تقوية المعنى، فاللفظ يعتمد على ظواهر تقتضيها علاقات السياق وهي الاثبات، والتصريح والتلميح، والرمز، والايحاء، والاقتضاء والاستنتاج وضروب الانتقال من أسلوب إلى أسلوب وايراد هذه التعابير بطرق مختلفة هو جهة الدَّلالة [1].

ومما اطلعنا عليه في دراستنا لآراء العلماء القدماء نجدها أنها لم تتسم بالمحدودية ؛ بل بتعدد الاحتمالات وكثرة الآراء في تفسير المعنى العام على العكس من كثير من المفسرين المعاصرين ؛ إذ وجدنا التَّفسير الحديث كان قد أجاد في تبيان معاني كثير من الأفعال، إذ لقيت حظًّا كبيرًا من العناية والمعالجة العلمية عند المحدثين حتى بدأوا بها بمنهجية عالية تنصب على دراسة أبعاد الفعل، وما يعطيه من معطيات مقامية أو سياقية تستدعي إجراء ممارسة ذهنية أو دلالية في تبيان معنى الكلام المفسر في تبيان معنى الفعل تحت دراسة وقواعد معيارية علمية خدمةً لتفسير النص القرآني، التي استنتجوها بواسطة التمعن الدقيق في معنى الفعل لغويًّا، ونحويًّا، ودلاليًّا، وبلاغيًّا، وهذا أمر أدى إلى إبراز إشارات تحليلية حديثة لبيان بنية بعض النصوص؛ لتجديد وجهتها التَّفسيرية، وتفسير دلالاتها، وأغراضها الثانوية التي يؤديها الفعل، ويعد الفعل من الأقسام الأساسية التي تتكون منها الجملة العربية ويعرفه سيبويه (ت١٨٠هـ) بقوله " وأما الفعل فأمثلة أخذتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.

فأما بناء ما مضى فَذَهَبَ وسَمِعَ ومَكُثَ وحُمِدَ. وأما بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمِرًا : اذهَب واقتُلْ، اضرِبْ، ومخبرًا : [يَقْتُلُ]، يَذهَبُ ويَضرِبُ، ويُقْتَلُ ويُضرَبُ"[2]، أي إنَّ لكل فعل دلالة زمنية معينة بشرط توافر الاسناد فيه .

وكان القرآن وما يزال مصب اهتمام الدارسين، والمفسرين، والفلاسفة، وكان لكل منهم وجهات نظر مختلفة وانعكس هذا على الإعجاز القرآني فكانت له أوجه متجددة، وقد جاء العلم الحديث ليوَضِّحَ

(١) يُنْظَر: نظرية الأفعال الكلام العامة، اوستن، ترجمة: عبد القادر قيقيني، إفريقيا الشرق،(د. ط)، ١٩٩١م :٩٢ـ ١١٠.
(٢) الكتاب: ١/ ١٢.

القضايا العلمية بما جهله القدماء من سوء فهم للأفعال الواردة في القرآن الكريم ويقول الدكتور مرهف " ونحن عندما نبحث في التفاسير بحثًا مقارنًا ونوازن بين أقوال المفسرين في تفسير آية، نقوم بترجيح رأي على رأي، وبتخطئة قول وتصويب آخر ؛ وفقًا لأصول التَّفسير، واللغة، والقرائن العلمية، ولا نقول بإثم صاحب القول المخطئ أو المرجوح ولا يكون خطأ المفسر مدخلًا للطعن في كتاب الله تعالى؛ لأن التَّفسير اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب، والاستعانة في تفسير آية قرآنية بالنظريات الراجحة للتوسع في مدلول الآية التي تدل عليها، مع احتمال الآية لها هو من هذا القبيل" [١]، على أن تفسير القرآن يحتاج إلى مفسرين مختصين في العلوم شتى، كي لا يؤول بحسب الفروض، والنظريات الناقصة ؛ لأنها قابلة للتصحيح، والتجدد في فهم الآية في غير الزمان الذي فسرت فيه.

ومن المفيد أن نؤكد أن للفعل دلالات زمنية مختلفة فمنها ما يدلُّ على الزمن الماضي ومنها ما يدل على الحاضر ومنها ما يدل على المستقبل ، وفي بعض الأحيان تأتي الأفعال بصيغة الماضي تخرج تعبيرًا عن المستقبل إلى زمن ما.

وعلاوة على ذلك أن الأفعال الواردة المضارعة تخرج إلى مقاصد في زمن الماضي ، وهذا مما سيبان لاحقًا. ومن المعلوم أن نؤكد أن الاسم يدلُّ على الثبات، والاستمرار، والفعل يدلُّ على التجدد والحركة[٢] .

ومن ذلك يستنتج أن الفعل يقسم على اقسام من حيث مبناه الصرفي إلى فعل ماضٍ، ومضارع وأمر ويتم إبراز جانبها العلمي عند القدماء، والمحدثين وأثر الدراسات الحديثة في توضيحها، لهذا قسمت هذا الدراسة على النحو الآتي:

---

(١) التَّفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم : ٣١٦.

(٢) يُنْظَر: شرح مائة المعاني والبيان، أبن الشَّحْنَة الحنفيِّ، تح : أحمد بن عمر الحازمي، دار النصيحة، (د. ط)، (د. ت):٧/ ١١.

المَبْحَثُ الاول : الجملة الفعلية المبدوءة بالماضي

إن الفعل الماضي عند الاسترابادي (ت٦٨٦هـ) هو "ما دلَّ على زمان قبل زمانك" [١]، وقيل: هو ما دلَّ على حدث وقع قبل زمن المتكلم، فإذا كنت تقول لصديقك ذهبتُ إلى الجامعة أمس دلَّ الفعل ذهب. على حدث في الزمان الماضي وهو الذهاب [٢].

لكن هذا التعريف لا يكون مطلقًا لكل دلالة زمنية بالنسبة للفعل الماضي وسنلاحظ ذلك فيما بعد دالة على الحاضر والاستقبال لكنها تأتي بصيغة الفعل الماضي. ومن أمثله الفعل الماضي في القرآن الذي كان للعلم الحديث أثر في الكشف عن دلالته :

_ بَنَيْنَاهَا

بنيناها : هو فعل ماض أسند إلى فاعل وهو (نا) المتكلمين وإلى مفعول به وهو الضمير (الهاء) لكن ؛ بسبب البعد الشاسع للسماء عن الأرض يتبادر سؤال إلى الذهن هل السماء تبنى ؟ وهل هي كالبناء المعهود كي تجري عليها عملية البناء ؟ لأجل ذلك تابعت الباحثة آراء العلماء في دلالة هذا الفعل عندما يقع على السماء بين القدماء والمحدثين ورأت أنه مما وقع فيه الخلاف كثيرًا وما ذلك إلا لقصور العقل البشري عن إدراك المقصد القرآني ، وكونه يبقى عاجزًا عن الوصول إلى مرامي القرآن ولبيان ذلك نبدأ ببيان معنى الفعل (بنى) فهو من " بنى البيت يبنيه بنيًا، وبناء، وبنيانًا، وبنيةً، وبناية ... نقيض هدمه والأرض بنى فيها دارًا أو نحوها ...بنَّاهُ تَبْنِيَةً بمعنى بناهُ شُدِّدِ للكثرة، وأبناهُ أعطاهُ بناء أو ما يبني بهِ دارًا وجعلهُ يبني بيتًا" [٣]، ويتبين ذلك في قوله تعالى :**﴿أَفَلَمْ يُنْظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾** [ق:٦]

---

(١) شرح الرضي على الكافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستر ابادي(ت٦٨٧هـ) ، دراسة وتحقيق : يحيى بشير مصري ، الإدارة العامة للثقافة والنّشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السّعودية ، سلسلة نشر الرّسائل الجامعية (١٥) ، ط١ ، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م : ٨٠١.

(٢) يُنْظَر: الصرف التعليمي، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الاسلامية، الكويت ط١، ١٩٩٩: ٦١- ٦٢.

(٣) محيط المحيط: ٥٦.

دلَّت هذه الآية عند القدماء على التفكر، والتأمل في بناء السماء، وعظمتها، وتصوير المبدع في ترتيبها، وانتظامها بغير عماد، وتزيّنها بالكواكب السيارة [١] ، وذهب بعضهم إلى أن (البناء) هو رفعها بلا عمد دلالة على قدرته تعالى في خلق العالم[٢].

ومما يتبين عند المحدثين أن الله سبحانه وتعالى قيّد السماوات ؛ لكونها فوقهم للدلالة على أنها موجودة ولا تغيب عن أنظارهم.

والواضح من زينتها أنه خلق النجوم اللامعة فيها بما لها من جمال ، فبناء هذا الخلق البديع من غير شقوق، وفتوق أصدق شاهد على قدرته، وعظمته المحيطة بجميع ما خلق[٣]، ومما جاء عند الشيخ مكارم الشيرازي: "المراد بالنظر هنا هو النظر المقترن بالتفكير الذي يدعو صاحبه لمعرفة عظمة الخالق الذي خلق السماء الواسعة وما فيها من عجائب مذهلة، وتناسق، وجمال، واستحكام، ونظم، ودقة"[٤].

إن خلق السماوات والأرض غاية في الابداع لِما عليه من الاتساع والامتداد على أكمل ما يكون عليه الاتساق، والانسجام، والتوازن وأن هذه الاجرام الفضائية يضمنها نظام دقيق ومنضبط لا يعرف العشوائية أو الخلل، فكان بناؤها منسجمًا لا يستند إلى عمد يمسكها وقدّر لها دوراتها وحركتها واستمرارها وجاء القرآن الكريم بهذه الحقيقة العلمية قبل أن يكتشفها رواد العلم بقرون عديدة ويرجع الفضل في اكتشافها إلى (إسحاق نيوتن) باكتشافه قانون الجاذبية[٥]، وهذا الإعجاز يتجلى في قدرة الله وعظمته وقد ربط العلماء تلك الآيات ببعض النظريات والاكتشافات ؛ لأن القرآن يبقى الأساس الرصين لكل علم.

---

(١) يُنْظَر: مجمع البيان: ٩/٨٠.
(٢) يُنْظَر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٤٠.
(٣) يُنْظَر : الميزان: ١٨/٣٤٠.
(٤) الأمثل: ١٧/١٥.
(٥) يُنْظَر: الإعجاز العلمي: ١٣٩ .

_ خُلِقَتْ

جاء أصله من خلق " الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء...

ومن الباب رجل مختلق: تام الخلق. والخلق: خلق الكذب، وهو اختلاقه، واختراعه، وتقديره في النفس" [1] وورد في سورة الغاشية على صيغة الفعل الماضي لما يُسمَّ فاعله المسند إلى نائب الفاعل الذي هو هنا ضمير مستتر جوازًا تقديره (هي) في قوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية:١٧]**

لقد نبه القرآن الكريم إلى جوانب كثيرة، ومختلفة ودعا فيها إلى التأمل، والتفكر فيما يتعلق بخلق الكون وما فيه من مخلوقات، وكائنات حية، وهذا ما فسره القدماء، فقال الطبراني (ت٣٦٠هـ) " فيه تنبيه على قدرة اللّه تعالى، يقول : أفلا يرون إلى الإبل مع عظمها، وشدّتها كيف تبرك إذا أريد ركوبها فتحمل عليها وتركب، ثم تقوم فيقودها الصغير، وينخّيها، ويحمل عليها الحمل الثقيل، وهي باركة " [2]، وفسرت عند الزمخشري (ت٥٣٨هـ) " كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة قُلْتُ : قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم، وبواديهم، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم. ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبل في أسماء السحاب كالغمام، والمزن، والرباب، والغيم، والغين ، وغير ذلك ، وإنما رأى السحاب مشبهًا بالإبل كثيرًا في أشعارهم فجوّز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه، والمجاز" [3].

ويذكر القرطبي (ت٦٧١هـ) فضل الأبل في قوله " إنما خصها الله بالذكر لأنها تأكل النوى، والقت ، وتخرج اللبن . وسئل الحسن أيضًا عنها، وقالوا : الفيل أعظم في الأعجوبة : فقال : العرب بعيدة

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢/٢١٣ـ ٢١٤.

(٢) التَّفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم): ٦/٤٨٨.

(٣) تفسير الكشاف: ١١٩٨

العهد بالفيل، ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه، ولا يركب ظهره ، ولا يحلب"[١]، وذهب السيوطي (ت٩١١هـ) إلى أن الإبل كانت عيشًا من عيش العرب وخولا من خولهم [٢].

ويشير النص القرآني إلى التأمل في خلق هذا الكائن، وأعضائه المتناسقة، فيلاحظ تفسيرها عند المحدثين " ومن التكوين الخلقي، ما يجعلها تؤدى وظيفتها النافعة لبني آدم، على أكمل وجه، فمن لبنها يشربون، ومن لحمها يأكلون، وعلى ظهرها يسافرون ، وأثقالهم عليها يحملون .

وخص – سبحانه – الإبل بالذكر من بين سائر الحيوانات؛ لأنّها أعز الأموال عند العرب، وأقربها إلى مألوفهم وحاجتهم، وأبدعها خلقا وهيئة وتكوينا " [٣].

وفضلا عن ذلك " فإنها على شدتها تنقاد للضعيف، ثم في تركيبها ما أعد لحمل الأثقال، وهي تبرك لتحمل، ثم تنهض بما تحمل مع الصبر على السير، والعطش، والجوع، وفيها غير ذلك ما لا يماثلها حيوان آخر" [٤].

إن العلماء في عالمنا المعاصر قد توصلوا الى بعض الخصائص التي تمتاز بها الأبل عن سائر الحيوانات وهي اختلاف كريات الدم الحمراء، ومن الخصائص التي يتميز بها هي أن لعابه يعد من أقوى المضادات الحيوانية التي عرفتها البشرية لقتل الميكروبات وأن لأبوال الأبل قدرة عجيبة لمعالجة سرطان الجهاز الهضمي، وسرطان الدم وله خاصية على إزاله القشرة، ومنع تساقط الشعر، ويعد من المطهرات لغسل الجروح، والقروح [٥]، من هنا ندرك أن القدماء فسروا خلق الإبل بقدرتها على التحمل وفوائدها في السفر، والأكل أما المحدثون، فوجدوا اسرارًا في خلق الإبل وبعضها أسرار صحية لبني البشر فضلا عمّا ذكره القدماء ، ليكون ما ذكره العلم الحديث متمما لما ذكره القدماء وزيادة فائدة ؛ فقد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٣٥

(٢) يُنْظَر: الدر المنثور في التَّفسير بالمأثور: ٦/ ٣٤٣

(٣) التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٥/ ٣٧٧.

(٤) التَّفسير الكاشف: ٧/ ٥٥٧.

(٥) يُنْظَر: المعجزة الخالدة: ٢٢٩ـ٢٣٣.

حار القدماء لماذا هذا التركيز على الابل ؟ وبمجيء العلم الحديث وتوظيفه كشف الأمر عن عظمة الله في خلقه .

_ دَحَاهَا

الفعل (دحاها) هو فعل ماض أصله (دحا) وهو عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) من جذر (دح) إي إنّ الدال والحاء أصلٌ واحد يدلُّ على السعة، والانبساط[١]، وورد في قوله تعالى:﴿ **وَالأرض بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾ [النازعات : ٣٠]

وقد أعطى المفسرون القدماء تفسيرًا أوليًّا لـ (دحو الأرض)، ففسرها القمي (ت٣٢٩هـ) بقوله " أي : بسطها "[٢]، وقيل الدحو: البسط ، وأن الله سبحانه وتعالى دحا الأرض بعد السماء[٣]، ويرى ابن كثير(ت٧٧٤هـ) " أن الله خلق الأرض قبل السماء وأخرج منها بالقوة إلى الفعل أي : جعلها ثابتة، وأودع فيها منافعها "[٤].

ولقد اختلف التَّفسير عند المحدثين، وبينوا حقيقة مهمة، وظاهرة من أروع الظواهر الجغرافية، إذ قال صاحب تفسير المراغي" أن الدحو معناه التمهيد، والتيسير ليسير الناس عليها" [٥]، وبعضهم أعطى تفسيرًا جديدًا يبيِّن الحقيقة العلمية، وهي أن الأرض كانت مغطاة بمياه الأمطار التي انهمرت عليها منذ حقبة زمنية طويلة ثم استقرت المياه في منخفضاتها وأصبحت بعد ذلك بحارًا ومحيطات[٦]، والعلم الحديث أكد هذه الظاهرة الرائعة إذ بين المقصود بالدحو، ووجه الإعجاز هنا أنها تتحدث عن الأرض، وتهيئتها لتكون صالحة للعيش ما بين المد، والسطح وأنها أعمال تتم عبر مراحل، ومتدرجة من الزمن عملية بعد أخرى، وأن النظريات العلمية تتفق كلها أن الأرض كانت كرة متوهجة أو العكس كانت باردة، وثم سخنت بفعل انصهار داخليّ، ثم أخذت تبرد تباعًا من السطح وتغطى بقشرة مؤلفة من

---

(١) يُنْظَر: مقاييس اللغة: ٢٦٥/٢.
(٢) تفسير القمي :٣٠ / ١١٣٠.
(٣) يُنْظَر :مجمع البيان: ٢٠١/١.
(٤) تفسير القرآن العظيم : ٨ / ١٩٥٨ .
(٥) تفسير المراغي : ٣٠ / ٣١.
(٦) يُنْظَر: الأمثل: ٣٩٢/١٩.

العناصر الأخف وزنًا وهذه القشرة رقيقة تمتد وتتمزق بتأثير الغازات والابخرة ، والمقصود بالدحو هنا المد من كلا الجانبين، وعلى ذلك أصبح من المقبول أن النشاط البركاني صاحب تكوين الغلاف الصخري والمائي والبراكين هو ثروة مهمة للأرض للحصول على الماء، وتغيير التركيب الكيميائي لغلافها الغازي[١]، ويدلُّ الفعل (دحا) على معنيين هما : البسط مع الاتساع، والتكوير في التكوين، وهذه روعة في التعبير على أن الأرض التي نراها أمامنا في الظاهر مبسوطة فسيحة الأرجاء هي في واقع الأمر مستديرة كالبيضة [٢].

وهنا صور القرآن لنا أروع الظواهر الجغرافية التي لم يتطرق لها القدماء في تفاسيرهم وأنه إعجاز واضح كيف دحت ومدت الأرض ؟ لجعلها المكان الأمثل للعيش .

ـ زُلْزِلَتِ

الفعل (زلزِل) هو فعل ماض رباعي مبني لما يُسمَّ فاعله، وأصله من "الزَّلْزَلة : تحريكُ الشَّيء [والزلِّزال أيضًا] . والزَّلزالُ : كلمة مُشتَقّة ، جُعِلَت اسمًا للزَّلزلة. والزَّلازل: البلايا " [٣]، وجاء في قوله تعالى:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]

يفسّر الطبراني (ت٣٦٠هـ) الزلزلة بشدة حركة الأرض فقال " أي زلزلت الأرض، ورجّعت، وتحرّكت حركة شديدة حتى ينهدم كلّ بناء على وجه الأرض" [٤].

ويرى الطوسي (ت٤٦٠هـ) أن الزلزلة هي شدة الاضطراب وما ينجم عنها من هدم البنيان ، فكأنه مكرر (زل ، يزل) للتكثير والتعظيم ، والزلزال – بكسر الزاي – المصدر، وبالفتح الاسم . وقيل إن الزلزلة، والرجة، والرجفة بمعنى واحد[١] .

---

(١) يُنْظَر: الإعجاز الجغرافي : ١٠٤.

(٢) يُنْظَر: القرآن وإعجازه العلمي ، محمد إسماعيل إبراهيم ، دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة : ٨٤.

(٣) كتاب العين : ١٩١/٢.

(٤) التَّفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم): ٦/ ١٨٥.

ومما ورد أن معناه تحركت بعنف [٢]، ونجد ذلك عند السيوطي (ت٩١١هـ) بقوله " تحركت من أسفلها وأخرجت الأرض أثقالها" [٣]، وبعد عرض آراء القدماء تبين أن مسألة حركة الأرض، والهدم في الزلزال مسألة اتفاقية بين المفسرين.

وقيل إنها تخويف من أهوال يوم القيامة إذ تضطرب فيه الأرض، وتهتز اهتزازًا شديدًا[٤]، ويضيف الحجازي على ما سبق قائلًا " الاهتزاز والاضطراب الشديدان . أَثْقَالَها : جمع ثقل، وهو في الأصل متاع البيت ، والمراد به هنا : ما في جوف الأرض من دفائن ...

المعنى : حينما يريد اللّه انقضاء الدنيا ، وقيام الساعة، يأمر الأرض فتتزلزل، وتهتز، اهتزازا عنيفًا لم يكن مألوفا، وتخرج دفائنها، وأثقالها من نار، ومياه، ومعادن، وما بقي من جثث " [٥]، أي إنّ المقصود في هذا هو الزلزال الناتج عن قيام الساعة.

ويذكر الشيخ الوائلي (رحمه الله) أن الزلزال عبارة عن تحرك، واضطراب، ويحدث الزلزال في الأرض عندما يتسرب الماء إلى باطن الأرض، وباطنها توجد فيها حرارة عالية تصخر الحجر لما يصل الماء إليها يتبخر، ثم يتمدد بقوة، فيضغط على القشرة الأرضية، فتتمزق ومنه يحدث الزلزال، وأحيانًا يبتلع قطعة من الأرض أو مدينة بأكملها يدمرها، وهو نوع من أنواع العذاب الذي يرسله الله تعالى إلى قوم [٦]، وهذا مثل الذي رأيناه في تركيا قبل مدة عندما عمدت إلى اقامة السدود وخزن المياه، إذ حدثت فيها زلازل مدمرة ، ويؤيد ذلك بلفظة (خَازِنِينَ) في قوله تعالى في سورة الحجر ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)﴾

---

(١) يُنْظَر: التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٩٣.

(٢) يُنْظَر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٥/ ٥١٠.

(٣) الدر المنثور في التَّفسير بالمأثور:٦/ ٣٨٠.

(٤) يُنْظَر: التَّفسير الكاشف:٧/ ٥٩٧.

(٥) التَّفسير الواضح:٣/ ٨٩٢

(٦) سلسلة محاضرات الشيخ د. أحمد الوائلي . اسباب حدوث الزلازل في الأرض على الرابط الالكتروني:
https://youtu.be/xJFrNsQHDnQ

ويذكر الخبير الجيولوجي اللبناني طوني نمر أن علاقة سدود، وخزن المياه هي سبب لحصول الزلازل، فيبين أنّ السدود يمكن أن تحدث هزات عند تجميع الماء ، فالماء يتسرب في الأرض فيحدث انكسار في قشرة الأرض وحين وضع الماء، فيعمل على طري الحركة كأنما وضع زيت له، فيؤدي أثرًا كبيرًا في ترطيب المكان، فستسهل الحركة عليه وأن الحركة طبيعية ، فإذا زِيد له الماء ، فيمكن الحركة تبدأ بزلازل صغيرة وبعدها تسرع، ويطلق الزلزال الكبير ، وهذا ممكن أن يكون سببًا في حدوثه وجود السدود الكثيرة ؛ لكنه لم يكن متأكدًا من هذه المعلومة، والأمر يحتاج إلى دراسة ومع ذلك يجب أن لا يفرغ الماء الذي في السدود وبعد تغير مساء الضغوطات من بعد التحرك لا يمكن أن نزيد عليها ضغوطات أخرى ؛لأن ذلك يزيد من تحركه مرة أخرى[١] .

ـ اتَّسَقَ

إن الفعل (اتَّسَقَ) من " الوَسْقُ: جمْعُ المُتَفَرِّق. يقالُ: وَسَقْتُ الشيءَ : إذا جَمعْت... والْاِتِّساقُ : الاجْتماعُ، والأطِّرَادُ" [٢] ورد ذكره في قوله تعالى:**﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق: ١٨]** ، وتشير الآية المباركة إلى حقيقة كونية ؛ لم تكن معلومةً عند القدماء لذا يجب علينا أن نبين أهم ما جاء به المفسرون ومنهم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)إذ قال: " يعني إذا استوى، وتم إلى ثلاث عشرة ليلة ويقال (اتسق) تم، وتكامل"[٣] وفيما يتعلق بذلك زاد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) أن : " اتساقه : واجتماعه، واستواؤه ليلة ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، إلى ست عشرة "[٤]

وذكر ابن كثير(ت٧٧٤هـ) معنى الفعل (اتسق) بقوله: " إذا اجتمع واستوى ... إذا اجتمع، إذا امتلأ ، إذا استدار ومعنى كلامهم: أنه إذا تكامل نوره وأبدر، جعله مقابلا لليل وما وسق " [٥] ، فاختلافهم بين استوائه واكتماله دال على عدم معرفتهم بالظواهر التي تصيب القمر؛ لافتقارهم للأجهزة الحديثة.

---

(١) خبير جيولوجي يشرح خطر سدود المياه في حصول الزلازل متاح على الرابط: https://youtu.be/LBQqiA-IFuM.

(٢) معجم المفردات: ٨٧١

(٣) تفسير السمرقندي(تفسير بحر العلوم): ٣/ ٥٣٩.

(٤) زاد المسير في علم التَّفسير: ٨/ ٢١٢.

(٥) يُنْظَر: تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٣٥٩.

ولا بد من التأكيد على هذه المعاني عند المحدثين ؛ إذ ورد في تفسير الشوكاني " ويقال أمر فلان متسق : أي مجتمع منتظم ، ويقال اتسق الشيء : إذا تتابع " [١].

ويرى الألوسي أن معناه يقترب من الطرد فقال :" وسق بمعنى طرد أي وما طرده إلى أماكنه من الدواب وغيرها أو ما طرده من ضوء النهار ومنه ... وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ أي اجتمع نوره وصار بدرا " [٢].

وبلا شك أن الآية الكريمة هي قسم للدلالة على كثير من الأمور منها عظمة الله سبحانه وتعالى في الخلق، وهذا ما صرح به السيد المراغي في رأيه: "أي أقسم بهذه الأشياء التي إذا تدبر الإنسان أمرها، استدل بجلالها وعظمة شأنها على قدرة مبدعها " [٣].

ولخصه السيد الطباطبائي في اكتمال نور القمر، وانضمام بعضه إلى الآخر، وذلك في قوله: " اجتمع، وانضم بعض نوره إلى بعض، فاكتمل نوره وتبدر " [٤].

ويصفها العلم أنها الظاهرة تدعى (ظاهرة الوهج) أو (الفجر القطبي) إذ " يرى سكان هذه المنطقة ألوانًا وأشكالًا متباينة في عنان السماء . فعندما يخيم الظلام ليلًا في هذه المناطق فإن ضوءًا خافتًا يميل إلى الخضرة قد يظهر في السماء، وسرعان ما يلمع، ويرتفع يمتد شرقًا، وغربًا وينساب على شكل شريط ضوئي يخطف الأبصار يتبعه شرائط ضوئية ... مما يملأ السماء الوانًا خضراء، وصفراء ، وحمراء بنفسجية.

ويرجع سبب هذه الظاهرة إلى وصول تيارات من الجسيمات الذرية المشحونة السريعة من الشمس والتي يجبرها المجال المغناطيسي للأرض على السير بصورة حلزونية حول خطوط القوى المغناطيسية

---

(١) فتح القدير: ٥/ ٤٠٨.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ١٥/ ٢٩٠.

(٣) تفسير المراغي: ٣٠/٩٥.

(٤) الميزان: ٢٠ / ٢٤٥ـ٢٤٦.

متجهة إلى القطبين المغناطيسين للأرض فتتصادم أثناء سيرها بأيونات طبقة الايونوسفير فيحدث طرد لبعض إلكترونات هذه الأيونات وإزاحة باقي الإلكترونات عن مستوياتها "[١].

_ شَقَقْنَا

الفعل (شققنا) الذي يرجع أصله إلى "شققت، يشق، اشقق/شق، شقًا وشقوقًا، فهو شاق والمفعول مشقوق (للمتعدي) ... شق الشيء: صدعه وأحدث به شرخًا أو فلقًا، أو خرقًا، أو ثقبًا نافذًا " [٢] مثلما ورد في قوله تعالى :﴿**ثُمَّ شَقَقْنَا الأرض شَقًّا** ﴾ [عبس: ٢٦]

ومن المعروف أن تفسير الفعل (شققنا) عند القدماء هو فتق الأرض وصدوعها بالنبات [٣]، والقول عند الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إنه يجوز أن تشق بالكراب على البقر " وشققنا من شق الأرض بالنبات، ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشك[٤] إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب"[٥]، فذهب أعظم بعض إلى أن شقها إمَّا بالنبات، وإما بالكراب، وأسند الله تعالى الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب [٦].

ولقد تبين المعنى عند المفسرين المحدثين فقالوا بأنَّ الشق هو للنبات " أصنافًا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية" [٧]، وقيل الشق يكون بسطح الأرض بخرق الماء فيه أو بالمحراث والمسحاة، وقد تكون بقوة أشعة الشمس، وحرارتها في فصل الصيف ؛ لتهيئتها لنزول المطر في فصل الخريف والشتاء [٨]، وذكر الطباطبائي بأنها "ظاهرة شق الأرض بالنبات الخارج منها لذا عطف على

---

(١) الكون في اعجاز القرآن: ١٨٥.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة : ١٢٢٢/١.

(٣) يُنْظَر: جامع البيان: ٢٤/ ١١٦.

(٤) والصواب : الشق.

(٥) تفسير الكشاف: ١١٨٠.

(٦) يُنْظَر: أنوار التنزيل واسرار التأويل: ٥/ ٢٨٨.

(٧) تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السّعدي (ت١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معَلّا اللّويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م : ١٩٣٨.

(٨) يُنْظَر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٣١.

صب الماء بـ(ثم) وعطف عليه إنبات الحب بالفاء"[1]، وبناءً على ذلك فسرت عند القدماء بالفتق أو الصدع بينما يذكر المحدثون سبب هذا الشق وعملية حصوله في الأرض من طريق الإنبات والظروف التي تتهيأ له.

وبعد إن قامت بحوث ودراسات عديدة تبيّن أن سطح الأرض كان مغطى بطبقة من الصخور وقد تشققت تلك الطبقة الصخرية بفعل غزارة هطول الامطار المتتالية عليها، مما أدى إلى جعلها على شكل ذرات متناثرة ، وبعدها تحولت الى تربة صالحة للزراعة وإلى الآن أغلب الاتربة التي تحملها مياه الأنهار المصحوبة مع السيول فأنها تكون صبغات من الاتربة الصالحة للزراعة بعد استقرارها على الأرض يتبخر الماء الذي فيها أو تمتصه [2].

ملخص الأمر : أن الآية اشارت إلى شق الأرض وأثر النبات فيها وتفكك تربتها والمراد بالشق هنا هو الإنبات والذي يتمثل بشق الجزء العلوي لسطح الأرض بوساطة عدة علميات تحدث فيها بأمر من الله سبحانه وتعالى، والفعل (شققنا) جاء بصيغة الماضي لكنه يتضمن الحاضر والمستقبل أي إنْ عملية الانشقاق كانت وما زالت مستمرة على مر العصور والأزمنة.

ـ مَدَدْنَاهَا

الفعل (مَدَدْنَاهَا) من "مدد: (مَدَّهُ) فامتَدَّ من باب ردَّ . و(المادَّةُ) : الزِّيادةُ المُتَّصِلةُ. و(مَدَّ) الله في عُمْرِهِ ، و(مَدَّهُ) في غَيِّهِ، أي: أمْهَلَهُ وطَوَّلَ له .و(المَدُّ): السَّيْلُ ؛ يقالُ : (مَدَّ) النَّهْرُ ومَدَّهُ نَهْرٌ آخَرُ... و(تَمَدَّدَ) الرجلُ، أي : تَمَطّى"[3]، أي بالشيء القابل للزيادة ، أما البستاني فيذهب به إلى البسط فيقول: " مدّ الله الأرض أي بسطها... وماد فلانًا ماطلهُ. وامدَّ فلانًا امدادًا أمهلهُ " [4]، وجاءت في سورة الحجر بصيغة الفعل الماضي المسند إليه ضمير المتكلمين (نا) ويرجع أصله إلى الفعل (مَدَدَ) ، وورد

(1) الميزان: ٢٠/ ٢٩٩.
(2) يُنْظَر: الإعجاز العلمي لمفاهيم القرآن الكَرِيم: ١٢٥.
(3) مختار الصحاح: ٢٥٨.
(4) محيط المحيط : ٨٤٢.

في قوله تعالى: ﴿ **وَالأرض مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ** ﴾ [الحجر: ١٩]

وقد اختلف المفسرون القدماء في ايضاح معنى كلمة (مددناها) فبعضهم قال: " بسطناها على وجه الماء" [١] ، وفسرت عند الزمخشري(ت٥٣٨هـ)" دحوناها" [٢] .

وهي تدلُّ عند الطبرسي (ت٥٤٨هـ) على انبساط الأرض[٣]، وعند غيره فسرت بالفرش "أي وسعناها وفرشناها" [٤].

وهذا الاختلاف عند القدماء ما بين البسط والفرش والدحو وذلك لعدم الرؤية الواضحة لديهم ، فيلجأ بعضهم إلى تأويل ما لا يدركه على وجه حقيقته .

أما عند المفسرين المحدثين فبعضهم شابه القدماء في تفسيرهم لكلمة(مددناها) على بسطناها[٥]، وعند السعدي" وإلى الأرض كيف مددناها ووسعناها حتى أمكن كل حيوان السكون فيها والاستقرار والاستعداد لجميع مصالحه، وارساها بالجبال؛ لتستقر من التزلزل والتموج"[٦].

وتأسيسًا على ذلك يبين الشيخ مكارم الشيرازي أنّ أصل المد هو" التوسعة والبسط ، ومن المحتمل أن يراد به إخراج القسم اليابس من الأرض من تحت الماء ؛ لأن سطح الأرض (كما هو معلوم) كان مغطى بالمياه بشكل كامل نتيجة للأمطار الغزيرة، واستقرت المياه على سطح الأرض بعد أن مرت السنين الطويلة على انقطاع الأمطار، وبشكل تدريجي ظهرت اليابسة من تحت الماء، وهو ما تسميه الروايات بـ(دحو الأرض) ثم يتطرق إلى خلق الجبال بما تحمله من منافع جمة" [٧].

---

(١) الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٥/٥٤٤.

(٢) تفسير الكشاف: ١٠٤٣ .

(٣) يُنْظَر: مجمع البيان: ٩/١٨٠.

(٤) تفسير القرآن الكَرِيم: ١٧٥٥.

(٥) يُنْظَر: توفيق الرحمن: ٤/ ١٤٣ .

(٦) تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ١٦٩٨.

(٧) الأمثل: ٨/٤٩.

ولا يفوتنا أن ننوه بأن الفعل (مدّ) يشير الى زيادة مساحة الأرض أي اليابسة مادام يابس الأرض هو الذي يزداد ويكثر بالجبال الرسوبية التي تتكون عند الشواطئ أو بدلْتا الأنهار التي تتكون أيضا بالمواد الرسوبية التي لم ترتفع إلى جبال، ولكنه أيضا يشير إلى زيادة مساحة اليابسة بإنشاء الجبال النارية والعجيب أنّ المد بمعناه الشامل متحقق أيضا في الجبال النارية كما في حالة زيادة مساحة اليابسة في عرض البحار والمحيطات بواسطة جزر مادتها من الصخر الناري والمعروفة (بالجزر البركانية).

وأجريت البحوث والدراسات وتوضَّح أن أكثر قيعان المحيطات أشد وعورة، وأكثر جبالًا، وتلالًا ،وهضابا من أشباهها على الأرض اليابسة، وبعض الجبال الموجودة في البحار قد تصل قممها الى سطح الماء، فتتكون الجزر، وقد تكون رؤوس براكين ملأت رواسب البحر فوهاتها. وبهذا فإن هذه الجزر، والجبال النارية الموجودة في عرض البحر كانت يوما قاعا للمحيطات، ثم رفعها الله بإحداث طيات بالضغط من باطن القاع حتى ظهرت للعيان زيادة في اليابسة في عرض البحر كما زادها سبحانه بالرسوبي من الجبال، وبدلْتا الأنهار، وبهذا وضح المقصود من مد الأرض بمعناه الشمولي، فتأمل وانظر الى تلك الحقائق العلمية أشار إليها القرآن الكَرِيم قبل أن يعرفها العلم الحديث بمئات السنين[1].

_ نُصِبَتْ

نصب فعل ماضٍ، مبني لِما لم يُسمَّ فاعله، وجاء من "نصبت الهم ينصبه نصبًا اتعبه المرض فلانًا ينصبه نصبًا أوجعه. وفلان الشيء وضعه ورفعه ضدٌّ والسير رفعه أو هو أن يسير طول يومه سيرًا لينًا"[2] ، ومنه قوله تعالى:**﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ [الغاشية: ١٩]**

وفسِّرت عند القدماء منهم الطبري (ت٣١٠هـ) بالتَّفسير" إلى الجبال كيف أقيمت منتصبة، لا تسقط فتنبسط في الأرض، ولكنه جعلها بقدرته منتصبة جامدة، لا تبرح مكانها ولا تزول عن موضعها" [3]،

(١) يُنْظَر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكَرِيم: ١٧١- ١٧٢.
(٢) محيط المحيط: ٨٩٥.
(٣) جامع البيان: ٢٤ /٣٣٩.

وعند الاندلسي (ت٥٤٦هـ) " أثبتت قائمة في الهواء لا تتنطح" [١]، بينما يرى صاحب مجمع البيان بأنه التدبر في خلق الله لهذه الجبال فذكر" أو لا يتفكرون في خلق الله سبحانه الجبال أوتادا للأرض ومُسكة لها، وأنه لولاها لمادت الأرض بأهلها" [٢]، وجاء تفسيرها عند البيضاوي(ت٦٩١هـ) هي الجبال الراسخة التي لا تميل [٣] .

أما المحدثون فوصفوا كيف وضعت الجبال فيذكر المراغي" أي وإلى الجبال كيف وضعت وضعًا ثابتًا لا مَيَدان فيه ولا اضطراب، فيتسنى ارتقاؤها في كل حين، وتجعل أمارة للسالكين في تلك الفيافي والقفار، وتنزل عليها المياه التي ينتفع بها في سقي النبات، ورِيّ حيوان" [٤].

ويرى السعدي أن المراد هو ثباتها من الاضطراب، وإثبات هيئتها الباهرة في هذا الاستقرار على الأرض[٥].

ويبين السيد الطباطبائي أن الجبال أوتاد في الأرض، وهي "المانعة من موردها ومخازن الماء التي تنفجر منها العيون، والانهار ومحافظ للمعادن" [٦]، فنستنتج من تفاسير القدماء في الفعل (نصبت) أنها وصف لهيئة الجبال الخارجية، لكن كان تفسيرها عند المحدثين وصفًا لسبب شموخها وثباتها على الأرض.

ويصف علماء الجيولوجيا تعرجات الأرض بأنها تثبت الأجزاء البارزة التي تتنوع أبعادها من الكيلو متر إلى عشرات الكيلو مترات، ومن ظاهرة التعرج هذه هي ينتج نبات القشرة الأرضية. ومن المفهوم الآن أن المادة الاقل وزنا ارتفعت على سطح الأرض على حين أصبحت أمكنة المادة الثقيلة خنادق هاوية، وهي التي نراها الآن في شكل البحار، وهكذا استطاع الارتفاع والانخفاض أن يحافظا على

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/ ٤٧٥.
(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٢٦١.
(٣) يُنْظَر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ٣٠٨.
(٤) تفسير المراغي: ٣٠/ ١٣٧.
(٥) يُنْظَر: تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان: ١٩٦٤.
(٦) الميزان: ٢٠/ ٢٧٥.

توازن الأرض وظل العلم جاهلا بهذه الحقائق لسنوات عديدة إلا أن دارسي الجغرافية عرفوها باسم (قانون التوازن) وهذا القانون ما يزال بمراحله البدائية [١]

ـ اهْتَزَّتْ

الفعل (**اهْتَزَّتْ**) هو فعل مبني للمعلوم ، وهو مسند إلى ضمير المفرد المؤنث (هي) ، ويرجع جذره إلى (هزز)، ومعناه هو من(هز) الشيء " اهتزّتِ الأرض: نبتت... وهَزيزُ الرّيح : تَحْريكُها" [٢]، وورد ذكره في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَتَرَى الأرض هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [الحج: ٥]

وفي تفسير هذه الآية المباركة أعطى المفسرون القدماء تفسيرًا بدائيًّا في بيان عملية اهتزاز التربة لتتم عملية الانبات، يقول الطبري (ت٣١٠هـ) أي إنَّها تحركت بالإنبات [٣]، ويرى ابن كثير (ت٧٧٤هـ) أن الله سبحانه وتعالى إذا أنزل عليها المطر، تحركت وأحييت بعد موتها [٤]، وأن الأرض كانت ميتة والماء هو من أحياها، هذا أبرز ما ذكره القدماء .

أما المفسرون في العصر الحديث فقد أفادوا من معطيات العلم الحديث وبيّنوا حقيقة علمية لم يذكرها القدماء في بيان إحياء الأرض بعملية اهتزاز الأرض، يقول صاحب تفسير الميزان "إن الأرض ليست ميتة ؛ بل النبات، إذ إنّ حركة الأرض هي من انبتت النبات وأعطته الحياة "[٥]، وزاد الشيخ مكارم الشيرازي أن الآية تدلُّ على منح الأرض الحياة بعد موتها وهي إشارة إلى المعاد والبعث حتمًا [٦]، والعديد من المفسرين أعطوا التَّفسير نفسه، ووضّح العلم الحديث عملية اهتزاز التربة مما أدى إلى انباتها وذلك أن" حبيبات التربة وربْوها وإنبات الأرض خفية لم يدركها الإنسان إلا بعد تقدم علم التربة وتطور أدواته المعملية .

---

(١) يُنْظَر: العلم الحديث حجة الإنسان أم عليه : ٤٧ـ ٤٨.
(٢) كتاب العين: ٣٠٨/٤.
(٣) يُنْظَر: جامع البيان: ٤٦٦/١٦.
(٤) يُنْظَر: تفسير القرآن العظيم : ٥ / ١٢٦٣.
(٥) الميزان : ١٧ / ٣٥٤.
(٦) يُنْظَر: الأمثل: ٢٨٥/١٠.

ولقد " اخترع المجهر الضوئي، وهو الأداة التي لوحظ من خلالها الاهتزاز عام ١٥٩٠م "[١]، وهذا مما يعرف (بعلم النبات) الذي يعد علمًا وعالمًا قائمًا بذاته، فهو يدعو الإنسان إلى التفكر والتأمل في خلق الله العجيب في المظاهر التي تدلُّ على بديع خلقه .

ـ أَوْحَى

الفعل (أوحى) من (وحى)، يقال : وحى يحي، وحيًا، أي كتب يكتب، كتبًا (وأوحى ربّكَ إلى النّحلِ) ، أي: ألهمها واوحى إليها في معنى الأمر[٢]، والفعل (أوحى) جاء في صيغة الماضي ليدلُّ على تمكين هذه الحشرة وتعليمها الفطري وذلك في قوله عز وجل: **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾** [النحل : ٦٨]

وضّحَ المفسرون القدماء معنى(أوحى) بمعنى الوحي والالهام من عند الله عز وجل، فالنحل قد اتخذت النحل الجبال بيوتًا، وهذا تفسير مبدئي ومقارب لجميع تفاسير المفسرين الاقدمين، وبالصدد نفسه تطرق الشيخ القمي (ت٣٢٩هـ) في تفسيره " وحي إلهام تأخذ النحل من جميع النور ثم تتخذه عملًا "[٣]، وأيد ابن كثير(ت٧٧٤هـ) ذلك في تفسيره " الوحي هنا الالهام أي : الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي اليها " [٤].

وبيّن المفسرون المحدثون بعد اكتشاف أسرار النحل وحياته، أن النحل له صفات خاصة ومكتسبة وفطرية والفعل (أوحى) هنا هو بالفطرة والعلم المكتسب من الله (عز وجل) ، يقول صاحب التَّفسير الوسيط " هو بمعنى ألهم ربك النحل وأرشدها وهداها إلى أن تتخذ من فجوات الجبال بيوتًا تسكن فيها، وكذلك من تجاويف الأشجار ومما يرفعه الناس ويعرشونه من السقوف وغيرها" [٥]، وقيل إنّ الوحي هنا هو: بمعنى التسخير والالهام والقاء الأمر [٦]، وأن وجه الاعجاز هنا هو "أن النحل يحيا

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٠٤_١٠٥.
(٢) يُنْظَر: كتاب العين: ٣٥٣/٤.
(٣) تفسير القمي : ٣٨٧/١.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ١٠٦٧.
(٥) يُنْظَر: التَّفسير الوسيط : ٨/ ١٨٨.
(٦) يُنْظَر: تفسير الشعراوي : ٨٠٥٣.

يحيا في جماعات منظمة تنظيما دقيقًا... وقد وهب الله تعالى النحل الذكاء والفطرة المكتسبة لتعيش وتعمل وما زالت الدراسات مستمرة للكشف عن عالم الحيوانات الصغيرة والمثيرة وخصوصًا (النحل) واسراره وجعل في عسلها الشفاء للناس من أمراض عديدة وخطيرة" [1]، والخطاب هنا على الرغم من موجه إلى النحل كله إلا أنه خاطب النحل بصيغة الضمير المفرد المؤنث؛ ليختص بإناث النحل الشغالات اللائي يقمن بالبحث عن المكان المناسب لبناء بيوت النحل، ويقمن بالبناء بذواتهن، وبصيانة البناء، وحمايته وتهويته، وهذا القدر من الحرية الكبيرة أعطاه الله تعالى إلى أمة نحل العسل في اختيار مساكنها[2]، لقد وهب الله للنحل، العمل بالفطرة وجعل في عسلها الشفاء للناس من أمراض كثيرة وهذه مسألة أكدتها الدراسات الحديثة لتقرر عظمة القرآن في الكشف عن أسرار الخليقة .

(1) من آيات الاعجاز العلمي في الحيوان في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة ،لبنان –بيروت ،ط١,١٤٢٧هـ _٢٠٠٦م : ٨٥.

(2) يُنْظَر: من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكَرِيم ، زغلول النجار : ٨٩ – ٩٠.

المَبْحَثُ الثاني : الجملة الفعلية المبدوءة بالمضارع

اختلف دلالات ازمنة الفعل المضارع عند النحاة العرب، فبعضهم قال في الفعل المضارع: إنه في زمن الحاضر أو المستقبل وأشار إلى ذلك المبرد (ت٢٨٥هـ) بقوله " ما لحِقَتْه في / أَوَّله زائدة من الزوائد الأَربع: الهمز والياءُ، والنون، والتاء. وذلك قولك : أَفعَلُ أَنا، وتَفْعَلُ أَنت أَو هي ، ونَفْعَلُ نحن ويفعل هو " [١]، يشابه الاسم في حركاته وسكناته [٢]، وبعضهم لم يحدد أي زمن معين للفعل المضارع فيرى ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) أن وقته غير معلوم، فـ " الفعل ما دلَّ على اقتران حدث بزمان ومن خصائصه صحة دخول (قد) وحرفي الاستقبال والجوازم ولحوق المتصل البارز من الضمائر وتاء التأنيث ساكنة نحو قولك : قد فعل وقد يفعل وسيفعل وسوف يفعل ولم يفعل وفعلت ويفعلن وافْعَلي وفعلت " [٣] وبعضهم لم يفرق بين الحال والاستقبال [٤].

_ تَبْيَضُّ وَتَسْوَدُّ

قال الفيروزابادي (ت٨١٧هـ) الأَبيَضُ هو " ضدُّ الأَسْود ، بيض: أَصلُهُ: بُيْضٌ، بالضم : أَبْدَلُوه بالكسر لتصِحّ الياءُ، والسيف، والفضة، وكوكب في حاشية المجرة ، والرجُلُ النَّقِيُّ العِرْضِ ...والبيضاء : الداهيةُ ، والحنطة، والرطب من السُّلْتِ، والخَرابُ "[٥]

أما ما يخصُ الفعل تسود فالفراهيدي (ت١٧٠هـ) يرى أن" السَّوْد: سَفْحٌ مُسْتَوٍ بالأرض ، كثير الحجارة ، خشنها والغالبُ عليها لَوْنُ السّواد، والقطعة منها سَوْدةٌ ... والسّواد هو: نقيض البياض وسواد الإنسان أي شخصه" [٦]، وورد هذان الفعلان في قوله تعالى:﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا**

---

(١)المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية _ وزارة الأوقاف ، القاهرة _ مصر ، ط٣ ، ١٤١٥هـ_ ١٩٩٤م: ٤/ ٨٠.

(٢) يُنْظَر: الكتاب: ١/ ١٣.

(٣) شرح المفصل، موفق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي (ت٦٤٣هـ) تح : د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م: ٧/ ٦.

(٤) يُنْظَر الإيضاح على علل النحو : ٥٣.

(٥) القاموس المحيط: ١٧٧.

(٦) كتاب العين: ٢٩٢/٢.

الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧]

جاء في تفسير الثعلبي(ت٤٢٧هـ) لبيان فعلي (تبيض وتسود) "تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين . وقيل : يوم تبيض، وجوه المخلصين ، وتسود وجوه المنافقين ... تبيض وجوه المهاجرين والأنصار، وتسود وجوه قريضة والنضير" [١]، ومثله ما جاء عند النيسابوري(ت٤٠٥هـ) [٢]، وأضاف الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى ما سبق أن" البياض من النور والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق، وسم ببياض اللون، وإسفاره، واشراقه، وابيضت صحيفته، وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن أهل ظلمة الباطل وُسِم بسوار اللون، وكسوفه، وكمده، وأسودت صحيفته، وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب" [٣].

ويلاحظ أن المفسرين المحدثين حاولوا التركيز في فهم الآية، وتحليلها، فقال المراغي "أي واذكروا يوم تبيض وجوه وتسرُّ لما تعلم من حسن العاقبة ، تسود وجوه لما ترى من سوء العاقبة ، وما يحل من النكال والوبال... واستعمال البياض في السرور والسواد في الحزن ... وأما الذين تفرقوا واختلفوا ،فاسودت وجوههم، فيقال لهم هذا القول في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فلا بد أن يوجد في الناس من يقول للأمة التي وقع فيها هذا الاختلاف – مثل هذا القول تغليظًا لها ؛ لأن عملها لا يصدر إلا من الكافرين، وأما في الآخرة، فينجيهم الله تعالى بمثل هذا السؤال "[٤].

وفضلًا عن ذلك أن الآية " تتحدث عما سوف نراه في الآخرة حيث يكون السواد والبياض مختلفين، تمامًا كما تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات، وكذلك يتبدل أمر السواد

---

(١) الكشف والبيان في تفسير القرآن، ابو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ) ، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٤م : ١٢٧/٢.

(٢) يُنْظَر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ١ /٤٧٥-٤٧٦.

(٣) تفسير الكشاف: ١٨٨/٤.

(٤) تفسير المراغي: ٢٥/٤-٢٦.

والبياض، أنه لن يكون سوادًا أو بياضًا من أجل البيئات . ولذلك ستتعجب يوم القيامة ؛ لأنك قد ترى إنسانًا كان أسود في الدنيا، وتجده أبيض في الآخرة ، وتجد إنسانًا آخر كان لونه أبيض في الدنيا ثم صار أسود في الآخرة " [1]، إي إنّ الله سبحانه وتعالى يمدُّ الإنسان باللون الذي يقويه على البيئة التي يعيش فيها[2]، وأن نعيم الجنان يقود لرفاه الابدان مما يجعلها تجعل الابدان تظهر بصورة اجمل على العكس من شدة عذاب جهنم، إذ تتغير الابدان بسبب التعاسة التي فيها أصحاب النار، نسأل الله ان يعيذنا من جهنم انه سميع عليم.

ـ تَجْرِى

إن أصل الفعل (تجري) في اللغة من "جرى : الخيلُ تجري ، الرياح تجري ، والشمس تجري جريًا إلاّ الماء فإنّه يجرى جِرْيةً ... والإجْرِيّا: طريقته التي يَجْرى عليها من عادته"[3]، وورد في قوله تعالى ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ **[يس: ٣٨]**

ومن الناحية الدَّلاليّة للفعل (تجري) حمّل المفسرون القدماء جريان الشمس بعد اتخاذها مسقرًا لها فذكر الطبراني (ت٣٦٠هـ) مستقرّ " هو آخر مدّة الدنيا ثم تجري بعدها ، ويقال : مستقرّها منازلها إذا انتهت إلى أقصى منازلها التي لا تجاوزها في الصيف رجعت، ويقال : سمعت منازلها مستقرّها، كما يقال في منزل الرجل : هو مستقرّه ، وإن تَصرَّف فيه وتحرّك" [4].

ويذكر الرازي (ت٦٠٦هـ) هو نعمة مجيء النهار بعد الليل وكذلك هو إشارة إلى سبب سلخ النهار فإنها تجري لمستقر لها أي: هو وقت الغروب، فينسلخ النهار وأن " فائدة ذكر السبب هو أن الله لما قال نسلخ منه النهار وكان غير بعيد من الجهال أن يقول قائل منهم سلخ النهار ليس من الله إنما يسلخ النهار بغروب الشمس، فقال تعالى : والشمس تجري لمستقر لها بأمر الله فمغرب الشمس سالخ للنهار، فبذكر السبب يتبين صحة الدعوى ويحتمل أن يقال بأن قوله :﴿والشمس تجري لمستقر لها ﴾

---

(1) تفسير الشعراوي: ١٣/١٦٦٧-١٦٦٨.

(2) يُنْظَر: المصدر نفسه: ١٦٦٨.

(3) كتاب العين: ١/٢٣٦.

(4) التَّفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم):٥/٢٨١.

إشارة إلى نعمة النهار بعد الليل كأنه تعالى لما قال : ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ (يس : ٣٧) ذكر أن الشمس تجري، فتطلع عند انقضاء الليل، فيعود النهار بمنافعه " [١] أي : ظهورها بعد انتهاء الليل.

وقيل إن معناها هو مستقرها تحت العرش، لو أن الشمس تجري مجرى واحدًا من أهل الأرض، فيخشى منها، ولكنها تحلق في الصيف، وتعترض في الشتاء، فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف ، لأنضجهم الحر. ولو أنها طلعت في الصيف؛ لقطعهم البرد، وقيل: موضع سجودها [٢].

ولا بد من الإشارة إلى تفسيرها عند المحدثين، فأكد ابن عاشور معنى (تجري الشمس) هو: سير الشمس والقمر. وقدم التنبيه على آية الليل والنهار ، فكانت آية الشمس المذكورة هنا مرادًا بها دليل آخر على عظيم صنع اللّه تعالى وهو نظام الفصول.

وقد أكد الألوسي أنَّ الشمس مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها ، وجه الدَّلالة أن الإيلاء المذكور يفيد التخصيص، والابتغاء بمعنى الصحة، والتسهيل المساوقين للاقتدار " فيفيد الكلام أن الشمس ليس لها قدرة على إدراك القمر، وسرعة المسير التي هي ضد لحركتها الخاصة، بل القدرة عليهما للّه سبحانه فهو فاعل لحركتها حقيقة ولها مجرد المحلية للحركة فصحت الدَّلالة المذكورة ثم قال : وتفصيل الكلام أن اللّه سبحانه ذكر أولا أن الشمس تجري لمستقر لها إشارة إلى حركتها الخاصة ثم ذكر سبحانه أنه قدر القمر أيضا في منازل الشمس حتى عاد كالعرجون القديم أي رجع إلى الشكل الهلالي وذلك إنما يكون عند قربه إلى الشمس ورجوعه إليها ولما كان للوهم سبيل إلى أنْ يتوهم أن جري الشمس، وسيرها، وتقدير أنوار القمر، وجرمه المرئي مما يستند إلى إرادتهما على سبيل إرادتنا التي تتعلق تارة بالشيء وأخرى بضده، فيصح، ويتيسر للنيرين الأمران كما يصحان لنا وأن يتوهم أن إسناد أمر الشمس، والقمر إلى التقدير الإلهي من قبيل إسناد أفعالنا إليه من حيث إن الأقدار، والتمكين منه تعالى وأنه سبحانه المبدأ والمنتهى إلى غير ذلك من الاعتبارات. نبّه جل شأنه بالتخصيص المذكور دفع على هذا التوهم على سبيل التنبيه على كون الشيء مسخرًا مضطرًّا في أمره بسلب اقتداره

---

(١) مفاتح الغيب: ٢٦/ ٧١.

(٢) يُنْظَر: الدر المنثور في التَّفسير بالمأثور:٧/ ٥٧.

على ضده وإن لم يذكر جميع أضداده، فأشار سبحانه إلى أنَّ الحركة السريعة المفضية إلى إدراك القمر التي هي ضد الحركة الخاصة للشمس لا يصح استنادها إليها والقدرة عليها مختصة بغيرها وهو الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ حتى يظهر أن وجود الحركة الخاصة لها مستند إلى تقديره تعالى وتدبيره جل شأنه من غير مشاركة للشمس معه سبحانه " [١].

واتسعت في العصر الحديث دائرة العلوم الفلكية وانكشفت فيه كثير من الأسرار الكونية التي بينت للناس حقائق كثيرة لم تكن معروفة وقت نزول القرآن الكريم ، ولهذا أجريت عليها الأبحاث والدراسات وأكدت أن " الجري حقيقته : السير السريع وهو لذوات الأرجل، وأطلق مجازًا على تنقل الجسم من مكان إلى مكان تنقلًا سريعًا بالنسبة لتنقل أمثال ذلك الجسم، وغلب هذا الإطلاق فساوى الحقيقة وأريد به السير في مسافات متباعدة جدّ التباعد، فتقطعها في مدة قصيرة بالنسبة لتباعد الأرض حول الشمس"[٢] أي: إنَّ من شدة سرعة سير الشمس كادت أن تكون حركة مجازية وغير حقيقة لكنها فاقت هذه السرعة بقدرة من الله سبحانه وتعالى.

واستنادًا إلى ذلك أكدت معطيات العلم بأن الشمس تجري بسرعة اثني عشر ميلًا في الثانية غير دورانها حول نفسها ، وانها تختلف عن حال دوران الأرض [٣].

أثبت المتخصصون في العلوم الكونية سرعةَ جريان الشمس ومعها الكواكب السيارة بسرعة ١٩ كليو متر لكل ثانية، نحو نقطة في كوكبة هرفل مجاورة لنجم يسمى (فيجا) بالإنجليزية أو النسر الواقع بالعربية فضلًا عن جريانها مع المجرة اللبنية ومجموعة المجرات الحالية كلها بسرعة ٦٠٠ كيلو متر في الثانية في اتجاه ما يسمى بالجاذب الأعظم وأن اختيار لفظ (تجري) في هذه الآية دلالة على الإعجاز العلمي، فلم يختر لفظة أخرى كأن تكون تنتقل أو تسير أو تقفز أو أي تعبير آخر غير هذا الفعل وأن أي تغير في التعبير لا يؤدي إلى المعنى ذاته ولفظ (تجري) لا يخرج عن المفهوم العام له

---

(١) روح المعاني : ٢٢/١٢.

(٢) التحرير والتنوير :٢٣٠/٢٢.

(٣) يُنْظَر: تفسير الكاشف: ٤/ ٣١٥.

فحركة الجري للشمس معتادة ومقررة عند الصغار قبل الكبار [١]، وبعد أبحاث ودراسات كثيرة نلاحظ أن معطيات العلم الحديث انسجمت مع النصوص القرآنية دون أن تتناقض معه دلالةً على صحة ما توصلوا إليه.

ـ يَسْبَحُونَ

إنّ أصل الفعل (يسبحون) من(سبح) وتعني: " العوم في الماء. والسّابح من الخيل الحسن: الحسن مدّ اليدين" [٢]، وورد هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٣]

وقد حاول المفسرون القدماء ايضاح معنى الفعل (يسبحون) في الآية الكَرِيمة، لكن بسبب غرابة المعنى، كيف أن تلك الاجرام تسبح؟ ذهب المفسرون إلى أكثر من اتجاه، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بهذه الاجرام السماوية " جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جمعها بالشموس والاقمار، وإلا فالشمس واحدة والقمر واحد وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة " [٣]، وقيل إنه : بمعنى يدورون أو يجرون وقيل معناها إن لكل منهما فلكًا يدور فيها بسرعة كالسباحة [٤]، وجاء مثل هذا المعنى عند القرطبي (ت٦٧١هـ) [٥].

ويلاحظ أن الظاهرة الفلكية تبينت عند المحدثين وعبّر الشعراوي عنها بأنها " تعبير قرآني دقيق للأداء الحركي ، وهي مأخوذة من سبحة السمك في الماء ...

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الاسلامية، نادى درويش محمد ، مكتبة الايمان ،القاهرة ،ط١ ،١٤٣٢هـ -٢٠١١م : ٣٦-٣٧.

(٢) مقاييس اللغة:١٢٦/٣.

(٣) تفسير الكشاف: ٦٧٨.

(٤) يُنْظَر: مجمع البيان : ٦٢.

(٥) يُنْظَر: جامع لأحكام القرآن : ٢٠٠/١٤.

وتلاحظ هاتين الحركتين في عقارب السّاعة، فلو لاحظت عقرب الثواني مثلًا؛ لوجدته حركة فقرية، يعني : ينطلق من الثبات إلى الحركة إلى الثبات، فالزمن فيه جزء للحركة وجزء للسكون. أما عقرب الدقائق فيسير بحركة انسيابية مستمرة، كل جزء من الزمن فيه جزء من الحركة" [١].

والوصف القرآني في غاية الدقة في اختيار اللفظ الموافق للمعنى، فوصف حركة أجرام السماء بالسباحة وهي تشبه حركة السابح. والمتأمل في حركة الكائنات التي تعيش في البحار يراها سريعة الحركة وأن عامتها يسبح على واحد من الوجهين إمّا بانثناء الجسم يمينًا، وشمالًا، أو بالارتفاع والنزول، ويكشف لنا جليًّا أن حركة الأرض والقمر ليست حول جرم ثابت ؛ وإنما تسبح ملتفة يمينًا وشمالًا وصعودًا ونزولًا وليست هي الحركة التي كانت تبصرها العين المجردة في الليل[٢].

ويذكر الدكتور عبد الله عبد الرحيم العبادي أن الشمس تسبح في الفضاء والقمر يسبح في الفضاء، وكلٌّ منهما له مداره الخاص به، وفلك يسبح فيه، وأن علماء الفلك كانوا يعتقدون قديمًا أن الشّمس ثابتة والأرض والقمر هما من يدوران حولها ، وأثبتوا فيما بعد أن الشّمس تجري في الفضاء كغيرها [٣].

وتوصلت الباحثة بعد عرض آراء العلماء والمفسرين إلى أن الفعل (يسبحون) دالّ على أن هنالك كثيرًا من الشموس والاقمار وكل منهما له فلك خاص به، وفضلًا عن ذلك كان تشبيه ذلك بالسباحة لأسباب عديدة منها أنّها تكون سريعة وأنها تسبح على وجه واحد إمّا يمينًا أو شمالًا أو ارتفاعًا أو نزولًا.

_ تُسْرِفُوا

الفعل (تُسْرِفُوا) مأخوذ من (السَّرَف)، والسّرف في أصله اللغوي يدلُّ على تعدّي الحدّ والإسراف نقيض الاقتصاد .... والسَّرِفُ: الجاهِـلُ... والسَّـــــرَفُ: الخَطَأ "[٤] والاسراف يكون أيضًا "في النَّفَقَةِ

---

(١) يُنْظَر: تفسير الشعراوي: ١٥/٩٥٣٥ ، والميزان: ١٤/٢٨٠ـ ٢٨١.

(٢) يُنْظَر: العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، سامي عامري، تقديم: محمد العوضي، عبد الرحمن الشهري، منقذ السقار، الرواسخ، الكويت، ط٤، ١٤٤٢هـ_ ٢٠٢١م . : ٢٣٢ـ ٢٣٣.

(٣) يُنْظَر: العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه: ١٠٣.

(٤) كتاب العين: ٢/ ٢٣٩ـ٢٤٠.

التَّبْذِيرُ" [1]، وفي قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ **[الأعراف: ٣١]**

يفهم من قول الثعلبي (ت٤٢٧هـ) أنّ الفعل (وَلا تُسْرِفُوا) "يعني الحرام "[2] ويؤكد الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) أنّ معناه " الخروج عن حد الاستواء في زيادة المقدار . وقيل : المراد الخروج عن الحلال إلى الحرام، وقيل : الخروج مما ينفع إلى ما يضر، وقيل : الزيادة على الشبع فالإسراف والاقتار مذمومان "[3]

ويضيف الرازي (ت٦٠٦هـ) أن فيه قولين :" القول الأول : أن يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى إلى الحرام، ولا يكثر الإنفاق المستقبح ولا يتناول مقدارًا كثيرًا يضرُّه ولا يحتاج إليه .

والقول الثاني: ... أنّ المراد من الإسراف، قولهم بتحريم البحيرة والسّائبة، فإنهم أخرجوها عن ملكهم، وتركوا الانتفاع بها، وأيضًا أنّهم حرموا على أنفسهم في وقت الحجّ أيضًا أشياء أحلّها الله تعالى لهم، وذلك إسراف "[4]، والمعنى مثلما يقال إباحة الأكل، والشرب، واللباس، بعدما حرموه على أنفسهم من الوقوف بعرفة [1].

ويظهر لنا تفسيرها عند المحدثين بربطها بسلامة الجسم ؛ إذ علَّمنا الإسلام أنّ على الإنسان أن يأكلَ ويشربَ على قَدْر طاقة الوقود الذي يحتاج إليه جسمه ؛ كي لا يشتكي ما يشتكيه أصحاب الإسراف في المأكل، والمشرب .

وإن الذين يأكلون كلّ مَا لَذَّ وطاب، ولا يَحْرمون أنفسهم مما تشتهيه، حتى وإن كانت ضارة، نرى هؤلاء عند كِبَرهم والتقدُّم في السِّنِّ يُحْرمون بأمر الطبيب من تناول هذه الاطعمة التي كانوا يسرفون فيها ... إن من أسباب السلامة التي رسمها لنا المنهج القرآني، ألّا يأكل الإنسان إلا على جوع، كي لا

---

(1) مختار الصحاح:١٢٥.

(2) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي):٤/ ٢٢٩.

(3) التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٣٨٦.

(4) مفاتح الغيب:١٤/ ٦٢.

ترهق المعدة ، ويجرُّ على صاحبه الأمراض والمضرّة ، ونلاحظ أن الإنسان يجد لذة الطعام وحلاوته إذا أكل بعد جوع، فمع الجوع يستطيب كل شيء ولو كان الخبز الجاف [٢]، إنّ المنهج القرآني يحثنا على عدم الإسراف لسلامة حياة الإنسان .

ومن أهم الأوامر والتعاليم الصحية هي " أن منبع الكثير من الأمراض، والآلام هو الأطعمة الإضافية الزائدة التي تبقى في بدن الإنسان ، إن هذه المواد الإضافية تشكل من جانب عبئًا ثقيلًا على القلب وغيره من أجهزة الجسم، وهي من جانب آخر منبع مهيأ لمختلف أنواع العفونات والأمراض، ولهذا فإن الخطوة الأولى لعلاج الكثير من الأمراض هو أن تحترق هذه المواد الزائدة التي تمثل – في الحقيقة – فضلات الجسم، وتتم عملية تطهير الجسم منها عمليًّا ، إن العامل الأصل في وجود هذه المواد الزائدة هو الإسراف، والإفراط في الأكل، والبطنة، والطّريق إلى تجنب هذه الحالة ليس إلا رعاية الاعتدال في الأكل ، وخاصة في عصرنا هذا الذي كثرت فيه أمراض مختلفة مثل السكري، وتصلب الشرايين، وأنواع السكتة، وما شابه ذلك من الأمراض التي يعد الإفراط في الأكل مع عدم الحركة البدنية بالمقدار الكافي أحد العوامل الأساسية لها"[٣]

ولقد وقف علماء النفس جانبًا كبيرًا من وقتهم في السنوات الأخيرة لدراسة الناس وأساليبهم في الحياة بغية الوصول إلى ما يسبب للناس راحة بالهم ويجعلهم يستمتعون بالحياة وكان أهم وصاياهم " لا تغلو في عمل شيء " ، وذلك بعد أن وصل الطب إلى أنَّ دستور الحكمة ورأس العلاج هو عدم الإسراف في الأكل، والشرب، وقررت أبحاث الطب العلاجيّ أنّ أعظم قاعدة لحفظ الصحّة هي العمل بالآية الشريفة التي تنصّ على عدم الإسراف في الأكل والشرب"[٤].

إن الاسراف في أي شيء سواء أكان في الأكل أو الشرب ينتج أضرارًا ترجع نتائجها على صاحبها مثلما نبه الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة.

---

(١) يُنْظَر: التَّفسير المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تح: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ط١ :١٤١٣-١٩٩٣ م :٢/ ١٠٧.

(٢) يُنْظَر: تفسير الشعراوي:١٤/ ٨٣٨٨ ـ ٨٣٨٩.

(٣) الأمثل:٥/ ٢٥ـ٢٦.

(٤) القرآن والعلم الحديث: ٦٩-٧١.

- **يَشْفِينِ**

الفعل (يَشْفِينِ) أصله (يشفيني) ، وحذفت ياء المتكلم مثلما هو موجود كثيرًا في القرآن الكريم من حذف هذا الضمير (ياء المتكلم) ، وإبقاء الكسرة تحت الحرف الذي قبله دلالة عليه ، وهذا الفعل هو فعل مضارع من (شفى) ومصدره الشفاء ، "وهو ما يبرئ من السَّقَم.. شفاهُ الله يَشْفيه شِفاءً. واستَشْفى فلانٌ ، إذا طَلَب الشّفاء" [١].

وكلمة (الشفاء) تكررت أربع مرات في القرآن الكَرِيم وفعل الشفاء تكرر مرتين [٢]، ومنها في قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[الشعراء : ٨٠]

لقد اتفق المفسرون القدماء على أنّ : (الشفاء) هو من الله سبحانه وتعالى مثلما جاء في تفسير البرهان " زاد هو في الإطعام والشّفاء ؛ لأنّهما ممّا يدّعي الإنسان أنْ يفعله، فيقال : زيد يطعم ، وعمرو يداوي، فأكد إعلامًا أنّ ذلك منه سبحانه لا من غيره" [٣] ، وهذا الأمر نجده عند ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ؛ إذ قال: " اذا وقعت في مرض فأنّه لا يقدر على شفائي أحد غيره "[٤]، أي هذا تأكيد على أنّ : (الشّفاء) من الله تعالى وهو المشافي الوحيد.

بينما بيّن المفسرون المحدثون حقيقة وهي " أن إبراهيم قد ذكر من صفات اللّه – سبحانه – ما يتناسب وربوبية الربّ لعباده، فهو الذي يربّي عباده، ويحوطهم بنعمِهِ وآلائهِ فيهدي الضالّين، ويطعم الجائعين، ويلقى خطايا المخطئين من عباده بالعفو والغفران ، يوم الحساب والجزاء، ويروى الظّماء، ويشفى المرضى، ويحيى الموتى، وفي هذا ما يكشف للقوم عن نعم اللّه وإحسانه إلى عباده، وفي هذا ما يغريهم باللّياذ به ، واللّجأ إليه ، حتى لا يحرموا هذا الخير الكثير الذي في يديه " [٥].

---

(١) كتاب العين:٢/ ٣٤٤.

(٢) يُنْظَر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ_ ١٩٤٥م: ٣٨٥.

(٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن ،محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ) ، تح :عبد القادر احمد عطار، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ_ ١٩٨٦م : ١٤١.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٦ / ١٣٧٥.

(٥) التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة : ١٠/ ١٣٨.

ويقرر صاحب تفسير الميزان : أن سبب الشفاء هو من الله سبحانه وليس الشفاء نفسه [١]، ونجد ذلك التَّفسير ذاته عند السّيد الشعراوي في خواطره، فيشير إلى أنّ الشفاء هو من الله [٢]، ويعتقد الشيخ مكارم الشيرازي أنّ المرض قد يكون من الله " إنني أرى النعم جميعًا من لطفه، فلحمي، وجلدي ، وطعامي وشرابي، كل ذلك من بركاته ! ولست مشمولًا بنعمة في حال الصحّة فقط، بل في كل حال وإذا مرضت فهو يشفين . ومع أنّ المرض أيضًا قد يكون من الله، إلا أن إبراهيم نسبه إلى نفسه رعاية للأدب في الكلام، ثم يتجاوز مرحلة الحياة الدنيا إلى مرحلة أوسع منها ... إلى الحياة الدائمة "[٣]، وبيّن الإعجاز الصحي أن سبب الشفاء ليس التواكل على الله في العلاج، بل العكس يجب التواكل في سبل العلاج فقد جعل في أجسامنا أساليب وقائية للعلاج، ومواضع دفاع ضد الجراثيم وهي إمّا في الدم أو في الخلايا [٤]، وهنا يتوضح الإعجاز في أسباب (الشفاء) من الله تعالى وهو المسبب وكل شيء بيده .

ـ يُزْجِي سَحَابًا

الفعل (يُزْجِي) من(أزجى) ويعني: السوق، فيذكر الفراهيدي (ت١٧٠هـ) بقوله "زجا (زجو): التَّزجيةُ : دفعُ الشّيء كما تُزَجّي البَقَرةُ وَلَدَها ، أي تَسُوقُه . والرِّيحُ تُزْجي السَّحابَ، أي تَسُوقُه سَوْقًا رفيقًا ... والمُزْجَى : القليل ... وزجا الخراجُ يَزْجو زَجاءً إذا تيسَّرتْ" [٥]، ومما جاء في مقاييس اللغة "والريِّح تُزْجِي السَّحابَ: تسوقُه سَوْقًا رفِيقًا" [٦]، وجاء في كتابه العزيز في صيغة المضارع المسند إلى الضمير المذكر (هو) في قوله تعالى: **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور: ٤٣]**

---

(١) يُنْظَر: الميزان : ١٩ / ٢٨٤.

(٢) يُنْظَر: تفسير الشعراوي: ١٠٥٩٤.

(٣) الأمثل :١١/ ٣٩٧.

(٤) يُنْظَر: الإعجاز الطّبي في القرآن ، د. السّيد الجميلي ، قدم له : محمد متولي الشّعراوي ، دار ومكتبة الدّلال ، بيروت _ لبنان ، ١٩٩٠م : ٣٢.

(٥) كتاب العين: ٢/١٧٥ـ ١٧٦.

(٦) مقاييس اللغة: ٣/٤٨.

إنّ الحقائق التي ترد في القرآن الكريم لم تكن واضحة عند القدماء ، فيذكر السمرقندي (ت٣٧٥هـ) أنّ الفعل يزجي هو يسوق سحابًا [١].

ووافق تلك الرّؤية الشيخ الطّوسيّ (ت٤٦٠هـ) فقال " أي يسوق سحابًا إلى حيث يريده، ومنه زجا الخراج إذا انساق إلى أهله، وأزجاه فلان أي ساقه " ثم يؤلف بينه" أي بين بعضه وبعض ؛ لأن لفظ سحاب جمع، واحده سحابة، وهو كقولهم : جلس بين النّخل ؛ لأنّ لفظ (بين) لا تستعمل إلا في شيئين فصاعدًا " [٢]، وفي الصدد نفسه جاء عند ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)[٣].

واستخلاصًا لما سبق نجد أن القدماء فسّروا الفعل (يزجي) بسوقه للسحاب ولم يختلف بعضهم عن بعضهم الآخر ؛ فأغلبهم أعطى التّفسير نفسه.

وحتى تتضح الرؤية نعرض آراء المحدثين فيقول الشيخ جواد مغنيه : " يرسل سبحانه الرياح، فتثير سحابًا يسوقه من بلد إلى بلد، ثم يجمع بعضه فوق بعض على هيئة الجبال، وفي هذا السّحاب ماء سائل، ومتجمد في قطع ثلجية تسمى بردًا يخرج من السّحاب" [٤].

وبيَّن السّيد السّبزواري أنّ السّوق يكون برفق " يُزْجِي سَحابًا... أي يسوقه برفق إلى حيث يريد "[٥].

ويوضح علماء الإرصاد أنواع السّحب المتعددة منها ما تسمى بـ (السّحب الرّكاميّة) التي تتطور لتصبح ما يسمى بـ (الرّكام المزنيّ) ، وهذا النّوع الوحيد الذي يصاحبه البرد، والبرق، والرعد، وتتميز بسمْك كبير، وبتطور علم الأرصاد الجوية، واستخدام الأجهزة الحديثة مثل أجهزة الاستشعار عن بعد، والطائرات، والرادارات، وبمساعدة الحاسبات الإلكترونية كشفت تفاصيل دقيقة عن مكونات السحب

---

(١) يُنْظَر: بحر العلوم: ٢/ ٥١٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) ،تصحيح ،أحمد حبيبي العاملين ، الناشر دار احياء التراث العربي، (د. ط) ، (د. ت) .:٤٤٦/٦.

(٣) يُنْظَر: المحرر الوجيز: ٤/ ١٨٩.

(٤) التّفسير الكاشف: ٥/ ٤٣٠.

(٥) ارشاد الاذهان إلى تفسير القرآن، محمد السبزواري، دار التعارف للمطبوعات ، ط١، ١٩٩٨م .: ٣٦٠.

وتطورها وتوجد هنالك كثير من الأنواع، والقرآن يصف هذا السحاب وتكوينه ضمن ما درسه علماء الإرصاد ، واهتموا به كيف يبدأ وكيف يتطور والظواهر المصاحبة له وتعد المرحلة الثالثة من تكوين السحاب والذي يحتاج إلى زمن لذلك استعمل حرف العطف (ثم) الدال على الترتيب والتراخي في الزمن [١].

_ يَصَّعَّدُ

يذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) أن " الصاد والعين والدال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاع، ومشقّة. من ذلك الصَّعُود خلاف الحدور . ويقال صَعِد يَصْعَد . والإصعاد: مقابلة الحدور من مكان أرفع . والصَّعود :العقبة الكؤود، والمشقّة من الأمر ... وهو تنفس بتوجُّع ، فهو من قياس الباب. وأما الصّعود من النوق فهي التي يموت حوارها فترفع إلى ولدها الأول فتدرُّ عليه"[٢] .

وورد منه الفعل المضارع في قوله تعالى:**﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الانعام:١٢٥]**

يرى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أن الصعود الى السماء أمرٌ غير ممكن أي إن ذلك المعنيّ " كأنما يزاول أمرًا غير ممكن؛ لأنّ صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عند المقدرة " [٣].

ويرى الرازي (ت٦٠٦هـ) في تفسير الفعل (يصعد) أنه يعود إلى التكلف أو الصعوبة ، إذ " إنه في نفوره في الاسلام وثقله عليه بمنزلة من التّكلف الصّعود إلى السّماء فكما أنّ ذلك التّكليف ثقيل على القلب كذلك الإيمان ثقيل على قلب الكافر... ومعنى يتصعد يتكلف ما يثقل عليه "[٤]، فالفعل كان لديهم محالًا أو شيئًا يصعب حدوثه وما ذلك الا لصعوبة تصورهم صعود الانسان الى السماء فهو ليس

(١) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٥٣- ١٥٤.
(٢) معجم مقاييس اللغة :٣/ ٢٨٧- ٢٨٨.
(٣) تفسير الكشاف: ٣٤٥.
(٤) مفاتح الغيب: ١٩٣/١٣.

كالطير الذي يمكنه ان يحلق ويرتفع في الجو ، وهذا التصور لأنهم لم يكن في عصرهم قد صنعت الطائرات التي تصعد الانسان الى الاعلى .

وعند المفسّرين المحدثين ومنهم الألوسي " فمن يرد الله أن يهديه للتوحيد يشرح صدره لقبول نور الحق وإسلام الوجود إلى الله سبحانه ، ويكشف حجب صفات نفسه عن وجه قلبه الذي يلي النّفس، فينفتح لقبول نور الحق ومن يرد أنْ يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا باستيلاء النّفس عليه وضغطها له كما تصعد في سماء روحه مع تلك الهيئات البدنية المظلمة وذلك أمر محال" [١]، ومما ورد في الميزان "واشارة إلى أَنْ ذلك نوع من الضيق يناظر بوجه التضييق والتحرج الذي يشاهد من الظروف والاوعية اذا أريد إدخال ما هو أعظم منها ووضعه فيها " [٢]، إي إنّ الإنسان كلما صعد إلى أعلى ضاق صدره بفعل قلة الأوكسجين.

وهذا مما أيدته الدراسات والحقائق العلمية بأنّ حالة الإنسان أنّه يصاب بالاختناق عند صعوده في الهواء ، وذلك بسبب نقص الضّغط الجويّ، وقلة الأوكسجين، وعدم استقرار درجات الحرارة في الطبقات العليا من الجو وانعدام الوزن إذا ما أعرق وأمعن الإنسان في دخول أجواء بعيدة المدى فلولا هذا التوازن الذي بين الضغط الجوي داخل جسم الإنسان وضغط الجسم الجوي المحاط به من الخارج لما استطاع الحركة بسهولة ويسير [٣].

ومن المفيد أنْ نؤكد ما قاله السامرائي "والمعنى أنّ الضّالّ عن الحق يكون صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في الجو؛ لأنّ المرتفع في الجو يضيق صدره لاختلال الضغط كما هو معلوم ، وهذا إعجاز علمي، علاوة على الإعجاز اللغوي ؛ لأنّه أخبر بهده الحقيقة العلمية قبل اختراع المنطادات والطائرات بدهور" [٤].

---

(١) روح المعاني: ٢٦٩/٨.

(٢) الميزان: ٣٤٣/٤.

(٣) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في القرآن ،الدكتور السيد الجميلي: ٤٤.

(٤) التعبير القرآني : ٤٣.

_ نَطْوِي

ورد الفعل (طوى) بمعنى طوى الشيء المثنيّ [١]، وورد في القرآن بصيغة المضارع المسند إلى ضمير الجمع المتكلم (نحن) في قوله تعالى: **﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الانبياء :١٠٤]**

ويلحظ أنّ آراء المفسرين القدماء اختلفت فيما بينهم ؛ إذ يرى القميّ (ت٣٢٩هـ) بأنه يعني تحول السماء إلى دخان والأرض إلى نيران [٢]، وشبّه الله سبحانه طيّ السّماء في يوم القيامة كطيّ السّجل للكتاب فالسّجل يطوى على ما فيه من كتابة [٣]، ومنهم من كان له رأي آخر " أي : كما نطوي السجل وهو غير محفوظ "[٤]، هنا عبّر القدماء عن (الطي) بالتحويل والتغيير الى حالة أخرى .

وعلى خلاف ذلك ما جاء عند المفسرين المحدثين فقد بينوا حقيقة علمية مهمة وبعد اكتشاف أسرار الكون تبين أن السماء (المطوية) هي السماء المبدلة أو المخفية، إذ يقول السيد الشعراوي في تفسيره " أن السجل هو القرطاس والورق الذي نكتب به يسمى سجلًا ، ويدلُّ على وجود خلق ثانٍ سوف يعاد أفضل ممّا كان عليه ووعد الله (عزّ وجلّ) بذلك "[٥]، وذكر السيد الطنطاوي حقيقة اختفاء السماء فقال:" الطّيّ وهو ضدّ النّشر . والسّجل : الصّحيفة التي يكتب فيها . والمراد بالكتب : ما كتب فيها من الألفاظ والمعاني ، فالكتب بمعنى المكتوبات ...

والمعنى : أن الملائكة تتلقى هؤلاء الأخيار الذين سبقت لهم من الله _تعالى _ الحسنى بالفرح، والسرور ، يوم يطوي _ سبحانه _ السماء طيًّا مثل طيّ الصّحيفة على ما فيها من كتابات "[٦]، والعلم الحديث كشف هذه الحقيقة المهمة وراء نهاية الكون فالآية تتحدث عن نهاية الكون ولم تكتشف في العصر القديم، والطيّ هنا : كما تطوي الصّحيفة سوف تطوي السماء بكل ما فيها من مادة وطاقة ،

---

(١) مختار الصحاح : ١٦٨.
(٢) يُنْظَر: تفسير القمي: ٢ / ٦٦٨.
(٣) التبيان: ٧/ ٢٨٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ٥ / ١٢٥٦.
(٥) تفسير الشعراوي : ٩٦٦٧.
(٦) تفسير الوسيط :٩/ ٢٥٦.

وهنا إشارة عظيمة لنظريتين هما : نظرية الانفجار العظيم، والانسحاق، ووضحت كيف ستبدل السماء ، وسيحييها الله بعد ذلك كأنّها كتلة واحدة واتّضح من دراسة العلماء أنّ الكون سائر إلى نهاية حتمية لا محالة وفناء مؤكد، وركّزت الآية على بعدين هما الانكماش العظيم، والنهاية الكونية، والانكماش هنا هو الانطواء للكون على نفسه وعودته إلى نقطة البداية، والثقوب السوداء التي تقوم بشفط وضغط الكواكب واعادتها إلى غازات تلك التي نشأ منها الكون، والعلماء أكدوا أن الكون سينتهي بالطريقة نفسها التي بدأ بها [1].

ويصف الدكتور سامي عامري بعد التوسعة الحاصلة منذ قديم الزمان وحتى الآن أنه سيحصل طيّ بالكون بقوله "إن طيّ الكون في آخر الزمان هو مقابل توسعته في أوّله، فكما بُدئ الكون بالتوسّع يُردّ بالطيّ. ورغم أنّ معنى التوسع ليس قاطعًا هنا، إلّا أنّ له وجهًا لغويًّا قويًّا، ولعلّ ميل جماهير المفسرين القدماء إلى خلافه أنّهم ما كانوا يعرفون أنّ الكون يتوسع حقيقة" [2]، وهذه الآية بينت نهاية الكون وكيف الله (عزّ وجلّ) يعيدها مرة أخرى.

ـ نُقِرُّ

هو فعل مضارع من الفعل (أقرّ) وقد أسند للمتكلمين ، فقيل (نقرّ) إشارة إلى عظمة المتكلّم، وتبين لنا أنّ "الاقرار" في المعاجم اللغوية هو من متعلقات المكان[3]، وورد ذلك في قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأرض هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [الحج :٥]

---

(1) يُنْظَر: موسوعة الإعجاز الكوني في القرآن: ١٨ –٢٠ .

(٢) العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل: ١٢٧.

(3) يُنْظَر: مختار الصحاح :٢٢١.

لقد فسّر القدماء الآية هنا تفسيرًا غير مستوفٍ لحقيقة معناه، إذ فسّرها الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في مراحل خلق البشر بداية من ترابٍ وصولًا إلى المضغة "وورود الفعل غير معدّى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها قدرته، وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به وصف"[١]، واعطى ابن كثير (ت٧٧٤هـ) تفسيرًا آخر وقال " أي : وتارة تستقر في الرحم ولا تسقطها المرأة ولا تلقيها "[٢]، أي: أنْ يبقى الجنين في رحم أمه، ولا يكون خارجه .

أما المفسرون المحدثون فكان لهم رأي آخر في تفسيرهم لمعنى (الاقرار)، فعندهم إقرار الجنين هو اقامته ومكانه في الرّحم حتى يخرج [٣]، ويقول السّيد الطباطبائي هي : المضغة التي قدر لها أنْ تكون جنينًا يكتمل الى أنْ يولد [٤]، وفي ضوء ذلك جاء الشّعراويّ وقال : أن يبقى مستقرًّا في رحم أمه حتى اتمام عملية الحمل[٥]، ومن المسائل العلمية التي وضحت كيف تتم عملية (الاقرار) وأنها: " عملية معقدة وتتحكم فيها درجة الكفاءة الرحمية ودرجة الخصوبة والاستعداد للحمل ... لكن هذا القرار لا بد أنْ له وسيلة في جسم الأنثى كما أسلفنا أنه سبحانه قد ربط الأسباب بالمسببات في سائر صنعه، وإبداعه. ما هو يا ترى اذن؟؟ إنه هرمون البروجيسترون والذي يفرزه الجسم الأبيض في الأنثى والغدة فوق الكلوية وهو المسؤول عن إخصاب البويضة الحديثة التكوين وزرعها في تربة الرّحم والحفاظ عليها في طورها التكويني البدائي الأول ... نصل إلى معنى كلمة (نقرّ) ، أي (نثبت ونمكن) ومن هنا جاء اسم (الرحم) وهو مشتق من الرحمة؛ لأنّه يحافظ على الجنين يوقف عواصفه، وأنواءه للحفاظ على النطفة ورحمة بها" [٦]، أي إنّ الفعل (نُقرّ) الذي جاء في الآية الكَرِيمة مما يخص (علم الأجنة) ؛ إذ بيّن مكان الحمل ومدته التي قدرها الله سبحانه وتعالى حتى يبلغ كماله وأشده ليستطيع العيش والتأقلم مع الجو الخارجي ، وهنا برز الإقرار أنّ الجنين لا يخرج من رحم أمه حتى موعد الولادة .

---

(١) تفسير الكشاف :٦٩٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٥ / ١٢٦٢.

(٣) توفيق الرحمن في دروس القرآن ، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة دار العيان ،ط١ ، ١٤١٦-١٩٩٦م : ٣ / ١٥٤.

(٤) يُنْظَر: الميزان : ١٤ / ٣٤٤.

(٥) يُنْظَر: تفسير الشعراوي : ٩٧٠٧.

(٦) الإعجاز الطبي في القرآن والسنة : ٥٦ – ٥٧.

ـ يُكَوِّرُ

الفعل (كوّر) يرجعه الجوهري (ت٣٩٨هـ) إلى اللف أو التّوسع، والزّيادة بقوله : " كوّر: كارَ العِمامةَ على رأسه يكورها كورًا، أي: لاثها ... وتكوير الليل على النّهار : تَغْشِيَته إيّاه، ويقال : زيادة هذا من ذاك .. والتكور : التقطُّر والتشمُّر "[١]، والذي جاء في القرآن الكريم بصيغة المضارع المسند للضمير المفرد (هو) في قوله تعالى: **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [الزمر:٥]**

لم يتفق المفسرون على معنى معين للفعل (يكوّر)، فيعبر عنها صاحب الوجيز بتداخل الليل مع النهار فيما بينهما ؛ فيذكر في تفسيره "يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ أي : يدخل أحدهما على الآخر" [٢].

ويرى ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ظاهرة التّعاقب بين الليل والنّهار مبينًا عظمة الله ، فهو" أنه الخالق لما في السماوات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنّه مالك الملك المتصرّف فيه يقلب ليله ونهاره " يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل " ، أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثا " [٣] .

وعلى خلاف ذلك التَّفسير عند المحدثين ، فيفسره الألوسي بالستر أو الغشاء ، وذلك بقوله " أنّ كلّ واحد من الليل والنهار يغيب الآخر إذا طرأ عليه ، فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لفّ عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار "[٤].

ومن زاوية أخرى حمّلها ابن مغنيه على معنى دوران الأرض حول نفسها ، وهي حقيقة كونية أشار إليها القرآن فيقول " ان التعبير بـ (يكوّر) يقسرني قسرًا على النّظر في موضوع كروية الأرض ... أنّها تدور حول نفسها في مواجهة الشّمس ، فالجزء الذي يواجه الشّمس من سطحها المكوّر يغمره الضّوء

---

(١) تاج العربية وصحاح العربية : ١٠١.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢/ ٩٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤/٥٠.

(٤) روح المعاني : ٢٣/ ٢٢٩.

ويكون نهارًا، ولكن هذا الجزء لا يثبت؛ لأنّ الأرض تدور، وكلما تحركت بدأ الليل يغمر سطح الأرض الذي كان عليه النّهار، وهذا السّطح مكور، فالنّهار عليه يكون مكوّرا ، والليل يتبعه مكوّرا، وهكذا في حركة دائبة " [1].

وتنطوي هذه الرّؤية في تكوير الليل على النّهار أو تكوير النّهار على الليل من أنّ الله " سبحانه وتعالى جعل الليل والنّهار خلفة يخلف بعضه بعضًا، فهو يولج الليل في النّهار، ويولج النّهار في الليل . فالتكوير . وجعل كلٍّ من الليل والنهار خلفة . وإيلاج زمان أحدهما في الآخر، كل هذا بمعنى واحد . فإن هذا الليل بجحافله، وهدوئه، وسكونه مع الظلام الدامس . إذا طرح شيء من هذا وألقي . ثم جيء بدله بالنّهار، وضوئه، وضجيجه، وشمسه وحرّه . فيه ما فيه من دلائل العظمة وكمال القدرة وهو اللّه الذي سخر الشمس، والقمر . وذللهما . كل يجرى لأجل مسمى، وزمن معلوم، ونظام محدد ، وبعده تنفطر السماوات والأرضين . ويجمع اللّه الشمس، والقمر . ويتبدل الحال غير الحال . وهذه مظاهر القدرة التي تدل على كمال العزة، والسلطان، فناسب أنْ تختم الآية بما يدل على الرّحمة وسعة الرّضوان . ألا هو العزيز الغفار"[2] .

فالقدماء نظروا إلى التّكوير وأشاروا إليه إشارة بدائية ، فبينوا أنّ هناك تكويرًا من دون أنْ يوضحوا كيفية هذا التكوير واكتفوا بما جاء في القرآن الكريم وسلموا به وهذا يكشف عن إيمانهم المطلق به ، وإن لم يتفهموا حقيقة مراده ولا يبعد أنهم لم يكتشفوا حقيقه ما وراء مقاصده، ولم يدركوا كلّ معانيه ولكنهم آمنوا به انطلاقًا من قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ال عمران:٧]

([1]) التّفسير الكاشف: ٦/٣٩٥.

([2]) التّفسير الواضح: ٣/ ٢٥٦-٢٥٧.

أما المحدثون فبسبب اطلاعهم على أسرار الكون مستفيدين من التقدم الهائل في علم الفلك والانواء الجوية وتوظيف التلسكوبات الحديثة اكتشفوا أنّ التكوير يعني أنّ الأرض عبارة عن شيء مكور وقد كور حولها الغلاف الجوي على شكل شيء لافت حول الأرض.

فالتأكيد هنا على كروية الأرض ودورانها حول نفسها ؛ لأنّ التكوير معناه لفّ الشّيء على الشّيء على سبيل التّتابع ولو كانت الأرض غير كروية (مسطحة مثلًا) لخيّم الليل أو طلع النّهار على جميع أجزائها دفعة واحدة ولكن الحقيقة أنّ الأرض كروية تدور حول نفسها ؛ ولهذا نجد أنّ نصف الكرة الأرضية يكون نهارًا ؛ لأنّه يواجه الشّمس بينما يكون النّصف الآخر ليلا، وباستمرار الدوران أو اللف يتبادل النصفان ويصبح النهار ليلًا والليل نهارًا وهكذا. وتكرار الفعل مرتين في هذه الآية يدلُّ بوضوح على كروية الأرض بكروية جوّها الذي يتولد فيه الليل والنّهار على التّجدد على كل بقعة من بقاع الأرض[1].

وينشأ ضوء النّهار بالتشتت على ذرات، وجسيمات هذا الغلاف فإنّ النّهار والليل متكوران على الأرض ، إن الآية الكريمة تشير إلى كروية الأرض بدليل كروية غلافها الجوي بنهاره أو ليله، وتشير أيضا إلى عملية تبادل بين النهار، والليل لدوران الأرض حول نفسها وأن الليل والنهار موجودان في الوقت نفسه حول الكرة الأرضية، فنصف الأرض المواجه للشمس يكون نهارًا والنّصف الآخر يكون ليلًا، ولن يسبق أحدهما الآخر. فعندما تدور الأرض حول نفسها يصبح النّهار ليلًا ويصبح الليل نهارًا[2]، فالتكوير في هذه الآية جاء للدلالة على حركتها ودورانها حول محورها أمام الشمس .

ـ تَمُرُّ

بيّن ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أنّ " الميم والراء أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على مضيٍّ شيء ، والآخر على خلاف الحلاوة، والطيب.

---

(١) يُنْظَر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن: ١٥٣.

(٢) يُنْظَر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم: ١٥٠.

فالأول مرّ الشيء يمر إذا مضى . ومَرُّ السَّحاب : انسحابهُ ، ومضيُّه . ولقيته مرّةً ومرتين إنما هو عبارة عن زمانٍ قد مرَّ. ويقولون: لقيته مرّة من المرّ، يجمعون المرّة على المرّ. والأصل الآخر أمرَّ الشيء يُمِرّ ومَرّ، إذا صار مرًّا" [1]، وجاء في القرآن على صيغة الفعل المضارع، في قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾[النمل: ٨٨]

تشير هذه الآية المباركة إلى حقيقة كونية لم يشر إليها المفسرون القدماء، فمنهم من قال: "جامدة من جمد في مكانه : إذا لم يبرح تجمع الجبال، فتسير كما تسير الريح السحاب ، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد (وهي تمر) مرًّا حثيثًا مثلما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها " [2] ، وتابعه الطبري (ت٣١٠هـ) في هذا الرأي[3].

ومنهم من وصفها قائلا : "هذا وصف حال الأشياء يوم القيامة عقب النفخ في الصور، و(الرؤية) هي بالعين وهذا الحال لـ(جبال) هي في أول الأمر تسير وتموج وأمر الله تعالى ينسقها ويفتها خلال ذلك فتصير كالعهن، ثم تصير في آخر الأمر هباء منبثًّا " [4].

وقال الثعلبي (ت٤٢٧هـ) :" وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾ يا محمّد ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: قائمة واقفة مستقرة مكانها. ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ حين تقع على الأرض فتستوى بها " [5] إي إنهم : يصفون انهيارات الجبال حين تقع في وقت معلوم.

أما المحدثون فلديهم أن "الآية بما أنها واقعة في سياق آيات القيامة، محفوفة بها تصف بعض ما يقع يومئذ من الآيات وهو سير الجبال ... وقوله ﴿تحسبها جامدة﴾ أي: تظنها الآن ولم تقم القيامة بعد جامدة غير متحركة، والجملة معترضة أو حالية.

---

(١) مقاييس اللغة : ٥/٢٧٠.

(٢) تفسير الكشاف :٢٠ /٧٩٢.

(٣) يُنْظَر: جامع البيان: ٥/٥٨٤.

(٤) المحرر الوجيز:٤/ ٢٧٣.

(٥) الكشف والبيان في تفسير القرآن : ٤ /٥١٦.

وقوله﴿ وهي تمر مرَّ السحاب﴾ حال من الجبال وعاملها (ترى) أي: تراها إذا نفخ في الصور حال كونها تسير سير السحاب في السماء "[١].

وأشار الألوسي إلى حركتها غير المرئية [٢]، أي: إن حركة الجبال تكون غير مرئية للناظر فيحسبها ثابتة ومستقرة.

والعلم الحديث أيد أن يكون "ومرور الجبال مر السحاب كناية واضحة على دوران الأرض حول محورها وعلى جريها حول الشمس ومع الشمس ؛ وذلك لأن الجبال جزء من الأرض ولأن الغلاف الغازي للأرض الذي يتحرك فيه السحاب مرتبطٌ بالأرض بواسطة الجاذبية وحركته منضبطة مع حركة الأرض وكذلك حركة السحاب فيه فإذا مرت الجبال مر السحاب كان في ذلك اشارة ضمنية إلى حركات الأرض المختلفة التي تمر كما تمر السحاب" [٣].

وتتبين لنا هنا دقة التعبير والتصوير لدوران الأرض في القرآن الكريم؛ إذ لم يستعمل هذا اللفظ إلا عن حكمة وقصد وأنّ السّحاب لا تتحرك من تلقاء نفسها بل تدفعه قوة الريح وكذلك الجبال لا تتحرك من تلقاء نفسها بل تتحرك بحركة الأرض[٤] .

ـ يُمْسِكُ

أصل الفعل (يمسك) الذي ورد في القرآن الكريم هو من : "مسك يمسك مسكًا، فهو ماسك، والمفعول ممسوك وتماسكت الأشياء أي ترابطت أجزاؤها بعضها ببعض، قويت واشتدت ومسك بعضها بعضًا ".[٥] ويرد بمعنى (الحبس) فإذا قلت أمسكت الشيء أي حبسته [٦]، ويتجلى ذلك في قوله تعالى:

تعالى:

---

(١) الميزان :١٥ / ٤٠١.
(٢) يُنْظَر: روح المعاني : ١٩ـ ٢٠ /٢٤٤.
(٣) الأرض في القرآن الكريم :٢٦٥.
(٤) الإعجاز العلمي في القرآن :٤٢ـ ٤٣.
(٥) معجم اللغة العربية : ٢٠٩٨/١.
(٦) يُنْظَر: لسان العرب: ٤٢٠٤.

﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأرض وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرض إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥]

ولقد عجزَ المفسرون القدماء عما توصلت إليه الدراسات الحديثة ، فكان تفسيرهم بحسب فهمهم، وإدراكهم لمعاني الالفاظ، وتفسير الفعل (يمسك) هو إمساك السماء بقدرته وعظمته كي لا تقع على الأرض [١]، وفسّر الامساك عند الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بأنه إمساك السماء كراهة أن تقع إلا بمشيئته [٢]، وهكذا تبين عند معظم القدماء[٣].

وبعد التقدم العلمي، والاجتهاد الفكري المتقدم تبين المقصد من حقائق كونية عند المحدثين فهي تدلُّ عندهم على دلالات كثيرة منها الجاذبية التي بقدرته تحفظ الأجرام، والنيازك، وما يحدث من أمطار، وصواعق من السقوط على الأرض، فيشير المراغي إلى أنّ الامساك يقصد به الجاذبية، فبقدرته يمسك أجرام الكواكب من شمس، وقمر بهذا النظام [٤]، ولولا سعة رحمته ورأفته لسقطت السماء السماء على الأرض [٥]، وأن الله يمسك جميع ما في السموات من الشهب، والنيازك ومن كريات الأثير عن اختراق كرة الهواء، وكذلك يمسك ما فيها من القوى كالمطر والبرد والصواعق من الوقوع على الأرض[٦].

تشير الآية إلى قانون الكون أو أحد القوانين العظمى، وهو قانون الجاذبية التي أكدتها الدراسات وعلوم الفيزياء والفعل (يمسك) دليل على حفظه وتدبيره وعنايته والله خير الحافظين.

وكلمة (تقع) توضح أنّ هناك ثقلًا ؛ فكان من الممكن وقوع الأجرام لكن هذا لا يحدث إلا بإمر من الله ومن ثمّ يتبين لدينا أنّ الجاذبية تنخفض عندما يقل وزن الأشياء، وتصبح متناثرة في الهواء، وعند زيادتها يصبح الإنسان مستقرًّا في مكان، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لنا هذا القانون وهو

---

(١) يُنْظَر: جامع البيان: ٦٢٤/١٦.

(٢) يُنْظَر: تفسير الكشاف: ٧٠٠.

(٣) يُنْظَر: جامع الأحكام القرآن: ٤٤١/١٤، والبحر المحيط: ٣٥٧/٦، وتفسير القرآن العظيم: ٥/ ٤٥١

(٤) يُنْظَر: تفسير المراغي: ١٣٧/١٧.

(٥) يُنْظَر: تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان : ١١١٤.

(٦) يُنْظَر: التحرير والتنوير: ٣٢٤/١٧، والميزان: ٤٠٢/١٤ـ ٤٠٣، والأمثل: ٣٨٩/١٠ـ ٣٩٠.

(قانون الضغط والتحكم)[١]، ونجد هنالك إشارات كثيرة في آيات القرآن الدالة على الجاذبية وامتناع سقوط السماء على الأرض، وجاء الفعل (يمسك) دلالة على قوة الله سبحانه وتعالى في وضع هذا القانون.

ـ تَمُورُ

الفعل (تمور) هو فعل مضارع ثلاثي متعدٍ على وزن (تَفْعُل) الذي يرجع أصله واشتقاقه في المعاجم اللغوية الى المور ، و"مار: جرى. ومار يمور مورًا إذا جعل يذهب، ويجيء، ويتردد... المور : الدوران " [٢]، وجاء في قوله تعالى :**﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرض فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾** [الملك: ١٦]

لم يشر المفسرون القدماء إلى المعنى الذي يدلُّ عليه الفعل (تمور) بصورة جازمة ؛ إذ ذهب بعضهم إلى أنّ معناه هو: أنْ تذهب وتتموج، كما يذهب الموار [٣]، وهذه الحركات، تكون سرعتها عظيمة، هي في تناسب وانسجام " تضطرب، والمور التّردد في المجيء والذّهاب"[٤]، وممّا ذكر الاندلسي(ت٧٤٥هـ) فقال: " تنهب أو تتموج، كما يذهب التّراب في الرّيح "[٥]، أي : إنّها في اضطراب اضطراب وتردد في الذّهاب والإياب.

ووضّح المحدثون الحقيقة العلميّة، وبيّن العلامة ابن عاشور حالة الخسف في ما يوحيه الفعل وقال هو "تشبيه حالة الخسف المتوقع المهدد به بحالة خسف حصل بجامع التّحقق كما قالوا في التّعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، وحُذف المركب الدّالّ على الحالة المشبه بها ورمز إليه بما هو من آثاره ويتفرع عنه ، فكان في الكلام تمثيلية مَكْنيّة، والمور: الارتجاج والاضطراب"[٦].

---

(١) يُنْظَر: الإعجاز الجغرافي في القرآن الكريم: ٣١ـ ٣٢.
(٢) لسان العرب : ٤٢٩٨/٤.
(٣) يُنْظَر :المحرر الوجيز: ٣٤١/٥.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣٠/٥
(٥) البحر المحيط: ٢٩٦/٨.
(٦) التحرير والتنوير : ٣٤/٢٩ـ ٣٥.

وعند النّظر في ما تقرره الابحاث العلمية، يتبين لنا دقة اختيار القرآن للألفاظ إذ توافق ما جاء به المفسرون المحدثون، فيثبت أنّ المادة التي تحت القشرة الأرضيّة هي إذن طبيعيّة لينة، فلو وضع عليها بناء فإنّه "أي ما يوضع فوق الطّبقة الدّنيا" سيتحرك، ويضطرب، ولن يستقر . والعلم قاطع اليوم في تصديق هذا الوصف العلميّ الدقيق فإنّ طبقة الدّثار التي تلي قشرة الأرض مباشرةً من الأسفل موصوفة بأنّها أشبه بالسّائل اللزج لكن لزوجتها مرنة ، وبعيدة عن السّيَلان[1]، وهذه الآيات التي تصف انهيارات الأرض جاءت في القرآن الكَرِيم دالة على أهوال يوم القيامة من جريان وسيلان وموج وزلازل واضطراب ذهابًا وإيابا وهذه المعاني كلها تضمنها الفعل (تمور) .

_ نَنْقُصُهَا

الفعل (نَنْقُصُهَا) من " نقَصَ يَنقُص، نَقْصًا ونُقصانًا، فهو ناقص، والمفعول منقوص(للمتعدّي)

ونقَص الشيءُ : قلّ، عكس زاد " نقص مالُه لكل شيء إذا ما تم نقصانُ ... تنقّصَ الشَّيءَ : أخذَ منه قليلًا قليلًا حتى قلّ تدريجيًّا" [2]، وجاء في القرآن الكريم في صيغة الفعل المضارع المسند إلى الضمير (ها) في قوله تعالى: **﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأرض نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١]**

جاء تفسير الفعل (ننقصها) في تفسير القميّ (ت٣٢٩هـ)هو موت علمائها [3]، وذكر ابن عطية (ت٥٤٦هـ) في تفسيره وقال بأنّه "موت البشر، وهلاك الثّمرات، ونقص البركة... الانتقاص هو بموت العلماء والاخيار" [4]، ونجمل حصيلة ما قاله المفسّرون القدماء هو: موت العلماء والصّلحاء أو هلاك الثّمار.

وعلى خلاف ذلك ما جاء به المفسرون المحدثونَ في تصحيح ما فسره القدماء في بيان معنى هذا الفعل ، فذكر الشعراوي في تفسيره حقيقة علميّة " تدلنا على أنّ لكل شيء طولًا وعرضًا تتحدد به

(١) يُنْظَر: العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكَرِيم وأخطاء التوراة والانجيل: ٢٠١.
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٢٦٩ .
(٣) يُنْظَر: تفسير القمي: ٥٢٢/٢.
(٤) المحرر الوجيز: ٣١٩/٣.

مساحته وكذلك له ارتفاع ليتحدّد حجمه، ونحن نعرف أن أيّ طول له طرفان .. و(من أطرافها) من كل نقطة في دائرة المحيط تعتبر طرفًا ومعنى ذلك أنه سبحانه شاء أن تضيق أرض الكفار وأن يتوسع أرض المؤمنين في كل جهة تحيط بمعسكر الكفر "[1] ، ووافق السيد الطباطبائي الشّعراوي في رأيه ؛ إذ قال إنّ المراد به أو لم يرَ أهل مكة أنا نأتي أرضهم ، فننقصها من أطرافها بفتح القرى واحدة بعد واحدة للمسلمين ، فليخافوا أنْ تفتح بلدتهم وننتقم منهم ... على أنّ الآيات بوعيدها ناظرة إلى هلاكهم بغزوة بدر وغيرها لا إلى فتح مكة " [2].

وقد توصل المفسرونَ المحدثونَ بوقوفهم على حقيقة فلكية لم يتناولها القدماء في تفاسيرهم وهي أنّ الكرة الأرضية تفلطحت عند القطبين، وانبعجت عند خطّ الاستواء ؛ بسبب دوران الأرض حول نفسها بسرعة فائقة.

يقول السيد الجميلي : " إنّ كميات كبيرة من الغازات والعناصر التي تحيط وسط الكرة الأرضيّة قد انطلق بقوة الطّرد المركزيّة إلى الخارج بعيدًا حول خط الاستواء مما يساعد على انبعاج الكرة الأرضيّة عند خطّ الاستواء ونقص طرفيها عند القطبين الشّمالي والجنوبيّ"[3]، والتّعبير بالفعل المضارع (ننقصها) الدّالّ على زمن المستقبل يبين أنّ النّقصان ما زال مستمرًّا، هذا ما ذكره العلم الحديث، ويبقى المقصد الحقيقي عند الله تعالى.

ـ تُولِجُ

إنّ الفعل (يولج) يعني في المعاجم (الدخول)، وهو من أولج، وولج البيت ولوجًا ولجةً [4]، وجاء بصيغة المضارع المسند إلى الضمير المفرد المخاطب (أنت) في قوله تعالى:﴿ **تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [ال عمران :٢٧]

---

(1) تفسير الشعراوي: ٧٤٠٧ـ ٧٤٠٨.

(2) الميزان: ٣٧٨/١١.

(3) الإعجاز العلمي في القرآن: ٢٦.

(4) يُنْظَر: لسان العرب: ٤٩١٣.

وذهبَ المفسرون القدماء في تفسير هذه الآية إلى تعاقب الليل والنهار فـ" ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر" [١].

ويرى الأندلسي (ت٣٤٦هـ) أنّ ما ينتقص من النهار يزيد في الليل، والعكس فيكون في كل فصل، وتحتمل تعاقب الليل والنهار بزوال أحدهما وولوج الآخر [٢]،إي إنّ القدماء ذهبوا في تفسيرها إلى ظاهرة تعاقب الليل والنهار.

وعلى خلاف ما ذهب إليه المحدثونَ ، فمنهم من يفسرها بظاهرة تكوير النهار والليل "الولوج في الاصل الدخول، والايلاج الادخال واستعير لزيادة زمان النهار في الليـــل وعكسه بحســـب المطالــع

و المغارب في أكثر البلدان...ولا يضر تساوي الليل دائما عند خط الاستواء ؛ لأنّه يكفي الزيادة والنقصان فيهما في الأغلب ... المراد بايلاج أحدهما في الآخر إيجاد كل واحد منهما عقيب الاخر والأول أقرب إلى اللفظ، وعلى التقديرين الظاهر من الليل والنهار ليل التكوير ونهاره" [٣]، ووافقه صاحب المنار في تفسيرها[٤].

وبالإفادة من معطيات العلم الحديث كُشِفَ" أن الوقت الأصلي ليلًا ونهارا هو ١٢ ساعة فقط، يوجد في الأصل نظائر في تطور الزمن، وما يحدث فيه يوم فقط من أيام السنة وأول يوم من شهر ربيع اليوم الاول منه أيام الخريف لكن الليل يحل بعد الظهر بعد أول أيام الخريف فتصبح طول مدة الليل في احد الأيام (١٣) ساعة والنهار من نفس اليوم (١١) ساعة فقط ولا يتم هذا الولوج إلا بدوران الأرض حول الشمس مع دوران الأرض حول نفسها لتحقيق التوازن الحراري على سطح الأرض وأن هذا التّعاقب يمنع الحرّ القاتل للحياة والبرد المبيد لها ويتبع العصور الأربعة "الرّبيع والصّيف والخريف

---

(١) تفسير الكشاف: ١٦٧.

(٢) يُنْظَر: المحرر الوجيز: ٤١٧/١.

(٣) روح المعاني: ١١٢/٣.

(٤) يُنْظَر: تفسير القرآن الحكيم: ٣ /٢٧٤.

والشتاء" إذ تتوزع الحرارة كل سنة توزيعًا مختلفًا ومتلائمًا يسبب نزول الأمطار في مواعيده الملائمة[1].

(1) يُنْظَر: الإعجاز القرآني، محمد عادل القلقيلي ،دار الجيل ، بيروت _ لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
: ٤٩-٥٠ .

الفَصْل الثَّالث :

أثر العلم الحديث في توضيح الأساليب الدلالية والظواهر اللغوية في القرآن الكريم

المَبْحَثُ الأوّل : أثر العلم الحديث في توضيح الأساليب الدلالية.

_القسم الأوّل : أثر العلم الحديث في توضيح التَّقديم والتَّأخير.

_القسم الثّاني: أثر العلم الحديث في توضيح المجاز.

_القسم الثّالث: أثر العلم الحديث في توضيح التوكيد بالنعت .

المَبْحَثُ الثّاني: أثر العلم الحديث في توضيح الظواهر اللغوية.

_القسم الأَول: أثر العلم الحديث في توضيح علل الاختيار.

_القسم الثّاني: أثر العلم الحديث في توضيح الترادف.

_القسم الثّالث: أثر العلم الحديث في توضيح التضاد.

أثر العلم الحديث في توضيح الأساليب الدلالية والظواهر اللغوية في القرآن الكريم

القسم الأوّل

أثر العلم الحديث في توضيح التَّقديم والتَّأخير

توطئة

لا يخفى على دارسٍ، أن للبلاغة العربية لعلومها وفنونها وأوديتها المتشعبة أثرًا كبيرًا في الكشف عن جمال النّصّ، ولأنّ بحثنا يتعلق بنصوص مقدسة ألا وهي النّصوص القرآنيّة، كان حريًّا بنا أنْ نتطرق إلى بعض من الأساليب البلاغية، ومن أبرزها باب التقديم والتأخير في هذا المجال ، وهو أسلوب قديم قدم اللغة نفسها، وجيء به لأجل التّأثير بالمتلقي وحثّه على مسألة مهمّة يسعى إليها المتكلم ، ونجد العالم ابن جني (ت٣٩٢هـ) قد عدَّ هذا الفنّ من باب الشّجاعة في العربيّة ؛ إذ يقول : "مَثَلُه في ذلك عندي مثل مُجْرِى الجَمُوح بلا لجام، ووارد الحرب الضَّرُوس حاسرًا من غير احتشام، فهو وإن كان ملومًا في عُنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض منّتِه؛ ألا تراه لا يجهل أن لو تكفر في سلاحه أو أعصم بلجامٍ جواده، لكان أقرب إلى النجاة، وأبعد عن المَلْحاة؛ لكن جشم ما جِشمه على علمه بما يعِقب اقتحامُ مثله، إدلالا بقوة طبعه، ودلالة على شهامة نفسه "[1] .

والتقديم لغةً:

التقديم مشتق من (قدَّم)، وقدّم من " القاف والدال والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على سَبْق ورَعْف، ثم يفرَّع منه ما يقاربهُ، يقولون، القِدَم، خلاف، الحدوث. ويقال: شيء قديم، إذا كان زمانه سالفًا. وأصله قولهم : مضى فلان قُدُمًا : لم يعرِّج ولم ينْثَنِ "[2] .

([1]) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني ، تح: محمد علي النجار. المكتبة العلمية، ط٤، (د. ت): ٢/ ٣٩٢.

([2]) معجم مقاييس اللغة : ٥ /٦٥-٦ .

قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) : " تقدَّمه وتقدَّم عليه واستقدم، وقدمته وأقدمته، فقدَّم وأقدم بمعنى تقدم، ومن مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب" [١] .

التأخير لغةً:

نقيض التقديم ومنه (المؤخّر) يقال: "مضى قُدُمًا وتأخّرَ أُخُرًا. وجاؤوا في أخريَاتِ النّاس، ولا أكلّمه آخِرَ الدّهر وأُخْرَى المَنون، ونظر إليّ بمُؤْخِرِ عَينِه " [٢].

ويقال إنه "تأخر والشيء جعله بعد موضعه، والميعاد أجله تأخر عنه جاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه"[٣].

وحكى ابن منظور (ت٧١١هـ):" هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها " [٤]، ومن هذه معجم التعريفات يتبين لنا أنّها الكلمة التي تكون في المرحلة الأخيرة.

والتقديم اصطلاحًا: " هو خلاف التأخير وهو أصلُ في بعض العوامل والمعمولات ويكون طارئًا في بعضها الآخر، ومما يجب التقديم فيه هو أصلٌ الفعل مع الفاعل، والمبتدأ مع الخبر، والفاعل مع المفعول به، وبقيه الفضلات والمكملات" [٥].

وفي **التقديم والتأخير** نجد أن " الكلمة تتبادل مع غيرها لتترك موقعها في الكلام وإما أن تأتي متقدمة أو متأخرة ، وهذا لكي تؤدي دورًا بلاغيًّا ما كانت لتؤديه لو أنّها بقيت في مكانها الأصليّ" [٦]

وأشار الزركشي (ت٧٩٤هـ) إلى أنّ التّقديم والتّأخير أسلوب عربي أتي به دلالةً على التمكن في الفصاحة، والبلاغة، والملكة، والحرفة في الكلام ، وله في القلب أحسن موقع، وأعذب مذاق[٧] .

---

(١) أساس البلاغة: جار الله أبر القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،ط١ ،١٤١٩هـ_١٩٩٨م: ٢/ ٥٨ .

(٢) أساس البلاغة: ٢٢/١.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مكتبة رحمانية، المترجمين: ابن سرور محمد اوليس وعبد النصير علوي، إسطنبول، ط٢، ١٣٩٢هـ_ ١٩٧٢م: ١/ ٨.

(٤) لسان العرب: ٢ /٣٨ .

(٥) معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، دار الثقافة، الجزائر، (د. ت)، (د. ط):١.

(٦) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، نشأة المعارف الاسكندرية، مصر، ط٣، ١٩٩٦م : ١٠٨.

(٧) يُنْظَر: البرهان في علوم القرآن : ٣/ ٢٣٣.

وقد ذكر السّامرائيّ أيضًا في فضله بقوله: " إنّ القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورفعها بجنب بعض دقّة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامّة في التّقديم والتّأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك ، كلّ ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتّساق العامّ في التّعبير على أكمل وجه ، وأبهى صورة" [١].

وليس التّقديم والتّأخير محصورًا في النّحو فقط، من مثل تقديم الفعل على الفاعل والعكس ، فقد يكون بأمور لغوية ، على النّحو من تقديم المجاهدين على القاعدين وتقديم السماوات على الأرض وبالعكس أو تقديم المهاجرين على الأنصار أو تقديم السمع على البصر لداعٍ بلاغيّ أو علمي بحسب ما يقتضيه سياق التّعبير .

ويقول الدكتور فضل حسن "إنّ سر التقديم والتأخير في كتاب الله لا يخرج عمّا للنّظم من فوائد واعتبارات، فليست قضية البيان، قضيّة لفظيّة نقدّم كلمة تارة ونؤخرها أخرى، أو نحذفها تارة ونذكرها أخرى، بل إنَّ وراء ذلك توجيهًا في مجال من مجالات الموضوعات القرآنيّة، وقيمة جديرة بالعناية حريةً بالوقوف أمامها والإفادة منها "[٢].

وللتّقديم والتّأخير أهمية في معرفة التّركيب فيما بين الكلمات؛ لتأدية المعنى مطلقًا لمقاييس مستنبطة من استقراء الكلام، وقوانينه ومن هنا كان بحث الدراسة في هذا الباب يضفي إضاءة، واشراقة جميلة، وممتعة في دراسة النّص الإلهي كونه سرًّا من أسرار إبراز النص.

وسنوضّح في هذا المبحث بعضًا من النصوص القرآنية المباركة التي يوجد فيها هذا الأسلوب مع مراعاة المسوغات التي جاءت بها الآية بحسب ما يقتضيه الحال.

---

(١) التعبير القرآني ،فاضل صالح السامرائي، مصورات مكتبة الصدوق، جامعة بغداد (د. ط)، (د. ت) : ٥٣.

(٢) لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فضل حسن أحمد عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٧هـ_ ٢٠١٦م: ٢٢١.

ـ التقديم من باب السبق

قد يقدم اللفظ في القرآن الكريم بحسب ما يقتضيه السياق فقد يقدم متدرجًا حسب القدم والأولية في الوجود مقارنة باللفظ المتأخر عنه [١]، ومن هذا ما جاء في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان:٧٣]**

قال الطبراني (ت٣٦٠هـ) في تفسير هذا النّصّ المبارك: "معناه: والذين إذا وعظوا بآيات ربِّهم ، أي بالقرآن لم يعاملوا فيها معاملة الأصمّ الذي لا يسمع، والأعمى الذي لا يبصر، ولكنّهم سمعوا وبصروا وانتفعوا بها وخرّوا ساجدين سامعين باكين مبصرين فيما أمروا به ونهوا عنه . والخرّ هو السّقوط " [٢].

وورد في تفسير السمرقندي (ت٣٧٥هـ) بأنّه " لم يقعوا عليها صُمًّا يعني : لا يسمعون ولا يبصرون، ولكنهم سمعوا وانتفعوا به، ... لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا أي : لم يتغافلوا عنها، فكأنّهم صمٌّ لم يسمعوها، عُمْي لم يروها " [٣]، مثلما ذكره صاحب الوجيز هي صفة للكافر أو المنافق [٤]، وقد يتساءل بعضٌ لماذا تقدم (صمًّا) على (عميانًا) أليس العمى داءً خطيرًا ؟ إذ يحجب صاحبه عن العالم الخارجي، ويحرمه من كثير من الجمال الكونيّ، والطبيعيّ ؟ ولا يستطيع الأعمى أنْ يتحرك إلا بالاستعانة بالآخر على العكس من الأصم؟!

هذا التساؤل في الحقيقة قد أعرض عنه اغلب المفسرين القدماء، وركزوا في المعنى العام للآية .

ونوضّح أهمية ما جاء به المحدثون إذ ذكر المراغي معناها " أي والذين إذا ذكّروا بها أكبُّوا عليها سامعين بآذان واعية، مبصرين بعيون راعية .

وفي هذا تعريض بما عليه الكفار، والمنافقون الذين إذا سمعوا كلام اللّه لم يتأثروا به ولم يتحولوا عمّا كانوا عليه، بل يستمرون على كفرهم، وعصيانهم، وجهلهم، وضلالهم، فكأنّهم صمّ لا يسمعون، وعمي لا يبصرون " [٥]، وهنا يؤكد المراغي أنّهم على الرّغم من سمعهم وأبصارهم لكن لم يتأثروا بذلك.

---

(١) يُنْظَر: التعبير القرآني: ٥٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٤٨٢.

(٣) تفسير بحر العلوم : ٢/ ٤٦٨.

(٤) يُنْظَر: المحرر الوجيز،٤/٢٢٢.

(٥) تفسير المراغي: ١٩/ ٤١.

ويلحظ كذلك أن عددًا ليس بقليل من المحدثين لم يعقبوا على سبب تقديم الصمّ على العُمْي أو تقديم السّمع ؛ ويبين صاحب الميزان أن المعنى فيها " والذين إذا ذُكروا بآيات ربهم من حكمة أو موعظة حسنة من قرآن أو وحي لم يسقطوا عليه وهم صُمٌّ لا يسمعون وعميان لا يبصرون بل تفكروا فيها وتعقلوها فأخذوا بها عن بصيرة فآمنوا بحكمتها، واتّعظوا بموعظتها، وكانوا على بصيرة من أمرهم وبينة من ربهم" [١].

ويُبيِّن الشّيخ مكارم الشّيرازي المعنى الإجمالي للآية بأنّه " من المسلّم أنّ المقصود ليس الإشارة إلى عمل الكفار، ذلك لأنّهم لا اعتناء لهم بآيات اللّه أصلًا، بل إنّ المقصود : فئة المنافقين أو مسلمو الظاهر، الذين يقعون على آيات اللّه بأعين، وآذان موصدة، دون أن يتدبّروا حقائقها، ويستهدوه في أعمالهم .

والتلقي الواعي للدين هو المعين الأساس للمقاومة والثبات والصمود؛ لأنّ من اليسير خداع من يقتصر على ظواهر الدين، وبتحريفه يتم الانحراف عن الخط الأصيل، فيهوي بهم ذلك إلى وادي الكفر والضّلالة وعدم الإيمان "[٢]

وبمجيء الاكتشافات البايلوجية والإفادة من الأجهزة الحديثة تبين أنّ وراء ذلك التقديم سرًّا عجيبًا، فيذكر السّامرائيّ سر تقديم الصم وهم فاقدو السمع على العميان وهم فاقدو البصر " وهو أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية فقدم ذا المدى الأقل متدرجًا من القصر إلى الطول في المدى "[٣] أي إنّ القرآن عند تقديمه للسمع على البصر لم يكن اعتباطيًّا في هذه الآية وإنما لفائدة علمية توصلت إليها الدراسات بعد جملة من الابحاث ، ومنها أثبتت أن حاسة السمع عند الطفل هي أول حاسة تؤدي وظيفتها مقارنةً بالحواس الأخرى ولاسيما حاسة البصر .

ومن هنا ندرك أن القدماء تحاشوا الحديث في بيان سبب التقديم للفظة (صمًّا) على (عميانًا)، ولكن العلم الحديث وبسبب التطور في المعدات الالكترونية، تبين أنَّ التقديم لم يكن إلّا لعلة وهي أنّه قدم السمع كونها أول حاسة تكون عند الطفل سابقة حاسة النظر .

---

(١) الميزان: ١٥/ ٢٤٤.

(٢) الأمثل : ٣/ ٤١٣.

(٣) اسرار البيان في التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي، فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (د. ط)، ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠١م :٢٠.

ـ من باب تقديم الاهتمام عند المخاطب

قد يرد التقديم في القرآن الكريم لدواعٍ بلاغية دلالةً على الاهتمام والعناية في الأمر[١] ، ففي قوله تعالى:﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ **[البقرة:٤٣]**

ورد في تفسير الطبري (ت٣١٠هـ) أنهما فريضتان واجبتان فأدُّوهما إلى الله عز وجل، وإقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا .

وأما المقصود بإيتاء الزكاة فهو أداء الصدقة المفروضة[٢]، أي : إنهما فريضتان واجب أداؤهما ولم يذكر فضل إحداهما على الأخرى في التقديم. ويفسرها الثعلبي(ت٤٢٧هـ) بالمحافظة على أدائهما" ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ يعني حافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها(وأركانها)، وركوعها، وسجودها.

﴿**وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ يعني وأدوا زكاة أموالكم المفروضة، وأصل : الزكاة : الطهارة والنّماء "[٣].

إذ تعدّ الصلاة من أهم الاركان في الاسلام وأفضل العبادات لما فيها من الاخلاص والتضرع لله سبحانه وتعالى [٤] .

ولا بد من الإشارة إلى تفسيرها عند المحدثين إذ قال السعدي: " ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ أي: ظاهرًا وباطنًا ﴿**وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ مستحقيها"[٥].

وحكى ابن عاشور أنّ الأمر بهما لأنّهما من باب الاهتمام، والتعظيم لله سبحانه وتعالى ، وهما ليستا من صفات المشركين : " أمروا بالصّلاة والزّكاة؛ لأنّ الأولى عمل يدلُّ على تعظيم الخالق، والسّجود إليه، وخلع الآلهة، مثل هذا الفعل لا يفعله المشرك ؛لأنّه يغيظ آلهته بالفعل وبقوله الله أكبر ولا يفعله الكتابي؛ لأنّه يخالف عبادته ولأنّ الزكاة إنفاق المال وهو عزيز على النفس ، فلا يبذله المرء في غير ما ينفعه إلا عن اعتقاد نفع إخروي لا سيما إذا كان ذلك المال ينفق على عدو في الدين، فلذلك عقب الأمر بالإيمان بالأمر بإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة؛ لأنهما لا يتجشمهما إلا مؤمن صادق"[٦].

---

(١) يُنْظَر: التعبير القرآني : ٥٢.

(٢) يُنْظَر: جامع البيان : ٦١١/١.

(٣) الكشف والبيان:١٠٩/١.

(٤) يُنْظَر: تفسير البيضاوي : ٥٨/١ـ ٥٩.

(٥) تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان:٥٩ .

(٦) التحرير والتنوير:١/ ٤٧٢ـ ٤٧٣.

وأكد الشيخ مكارم الشيرازي أهمية كل منهما ، فقال " هذه الأوامر الأخيرة تتضمن في الحقيقة: أولا بيان ارتباط الفرد بخالقه (الصّلاة)، ثم ارتباطه بالمخلوق (الزكاة)، وبعد ذلك ارتباط المجموعة البشرية مع بعضها على طريق الله "[1] أي إنّ تقديم الصلاة يكمن في أهميتها بارتباطها بالله لما فيها من اتصال روحي وفكري ، ثم أورد الزكاة التي تربطه بأداء واجبه تجاه المخلوق لعبادة الخالق.

وكان تركيز القدماء في تقديم الصلاة على الزكاة على القضية العبادية ؛ فهي أم العبادات البدنيّة والزّكاة هي أمّ العبادات الماليّة، أما العلم الحديث فاكتشف أن للصلاة فوائد كثيرة جعلها تتقدم على غيرها وهذه الفوائد لم تكن معلومة من قبل ، ويشرح بعض الأطباء فضائل أجزاء الصلاة، فالسجود هو انسب طريقة لإيصال الاوكسجين للمخ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٧ـ ٩٨] [2] .

وأكدت دراسة علمية أن حركات أداء الصلوات الخمس بالغة الفائدة على الدورة الدمويّة الدّماغيّة، وذلك لتزايد سريان الدم إلى المخ في أثناء السجود بفعل ميل الرأس إلى أسفل، فضلا عن أنّ انطواء الجسم على نفسه في أثناء السجود يساعد على توجيه الدم من الأطراف إلى الأعضاء الداخلية والمخ.

وأشارت الدراسات إلى أن تكرار ميل الرأس إلى أسفل في أثناء الركوع والسجود ثم ارتفاعه في أثناء القيام والجلوس يساعد في المحافظة على نظام التوازن التلقائي للدورة الدموية في المخ، لا سيما أنّ وظيفة هذا النظام التلقائي تضعف مع تقدم العمر [3] .

فهي تعد الصلاة رياضة للجسم فهي تزيد من مرونته؛ لأنها تحرك عضلات الجسم فضلا عن أنها عاملٌ لتقليل التوتر والقلق النفسي .

---

(1) الأمثل: ١/ ١٨٦ـ ١٨٧.

(2) طبيب أمريكي يشرح كيف أن السجود هو الأفضل لمرضى كورونا ، متاح على الموقع: https://youtu.be/lq1lsqccjYQ.

(3) فوائد الصلاة على الجسم وعقل الانسان، متاح على موقع: https://youtu.be/OMjp8wxsGOw

ـ التّقديم لأجل السّبق

إن لنظم القرآن أسرارًا عجيبة ، فنراه يقدم لفظة تارة ويؤخرها تارة أخرى، ففي بعض الأحيان تتقدم اللفظة لسبقها في الخلق[١]، وذكر تقديم كلمة (السّمع)؛ لأنّ هذه الحاسّة خلقت قبل حاسّة البصر، وورد ذلك في قوله تعالى:**﴿وَاللَّهُ أخرجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]**

فسِّرت هذه الآية عند القدماء بأنها من باب " تعديد نعمة بينة لا ينكرها عاقل ... ، فالله (عزّ وجلّ) أخبر بأنّه أخرج ابن آدم لا يعلم شيئًا، ثم جعل حواسه التي قد وهبها له في البطن سلمًا إلى درك المعارف، ليشكر على ذلك ويؤمن بالمنعم عليه" [٢].

واشار البيضاوي (ت٦٩١هـ) إلى أنّها " أداة تتعلمون بها، فتحسّون بمشاعركم جزئيّات الأشياء، فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات، ومباينات بينها بتكرار الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهيّة وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبيّة بالنّظر فيها"[٣]، ونفهم من قوله أننا لا ندرك الأشياء إلا عند سماعها والاحساس بها .

وبيّن صاحب الدر المصون في تفسيرها أنّ الإنسان يخرج من بطن أمّه غير عالمٍ شيئًا من العلم [٤]، أي جاهلًا لا يعرف شيئًا.

وفسرها السيوطي (ت٩١١هـ) فقال: " كرامة أكرمكم الله بها، فاشكروا نعمه" [٥].

أما المحدثون فقد توسع المعنى واشتمل التفسير على جوانب مختلفة عندهم ، فمنه ما جاء عند السبزواري ، فقال " أي ركّب فيكم هذه الأدوات حتى تعرفوا جزيئات الأشياء بمشاعركم ، وتتعقلونها بقلوبكم ؛ لتحصل لكم العلوم البديهية، ولتكتسبوا العلوم النظريّة، فإنّ الأدوات والقوى من أعظم النّعم، وأشرفها على

---

(١) يُنْظَر: التعبير القرآني: ٥٣

(٢) المحرر الوجيز: ٣/ ٤١١.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٣٥.

(٤) يُنْظَر: الدر المصون: ٧/ ٢٧١.

(٥) الدر المنثور في تفسير المأثور: ٥ /١٥٣.

الإنسان، وقد جعل القلوب بأنْ جعل مسندها، وعرشها القوة العقليّة. فبالتعقل تتميز تلك المستفادات، والاستفاضات" [١].

ويفسرها الشّعراوي ذاكرًا " أي والله جعلكم تعلمون ما لا تعلمون بعد أنْ أخرجكم من بطون أمهاتكم، فرزقكم عقولًا تفقهون بها وتميزون الخير من الشّرّ، والهدى من الضّلال، والخطأ من الصّواب ، وجعل لكم السّمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم، والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص، فتتعارفون بها وتميزون بعضها من بعض، والأشياء التي تحتاجون إليها في هذه الحياة، فتعرفون السّبل، وتسلكونها للسّعي على الأرزاق، والسّلع؛ لتختاروا الجيد، وتتركوا الرّديء، وهكذا جميع مرافق الحياة ووجوهها " [٢] .

ويرى الشّعراوي أنّ حياة الجنين في بطن أمّه تكون حياة تبعيّة أي كل أجهزته تابعه لأمّه ، فإذا شاء الله أن يولد جعل له حياة ذاتية مستقلة [٣]، ويظهر مما سبق أنّ المفسرين أوغلوا في بيان تفسير الآية وتوضيح مفرداتها دون الالتفات إلى سبب تقديم السمع على البصر مع هذا التقديم مما يبعث على الحيرة، ويدعو إلى التأمل، ويبدو أن المفسرين قد أعرضوا عنه؛ لأنّ سبب التقديم مما غاب عنهم ولم يكن في متناول أيديهم مثل ما هو الآن بعد التطور التكنلوجي الحاصل في الاختراعات التي ساعدت على كشف الأسرار.

ويوضح الشيخ مكارم الشيرازي علميًّا سبب تقديم السمع على البصر ، فيقول" ونشاهد تقديم ذكر السمع على البصر في الآية مع ما للعين من عمل أوسع من السّمع، ولعل ذلك لسبق الأذن في العمل على العين بعد الولادة، حيث إنّ العين كانت في ظلام دامس (في رحم الأم) ونتيجة لشدة أشعة النور (بعد الولادة) فإنّها لا تستطيع العمل مباشرة بسبب حساسيتها، وإنما تتدرج في اعتيادها على مواجهة النور حتى تصل للحالة الطّبيعيّة المعتادة، ولذا نجد الوليد في بداية أيامه الأُولى مغلق العين. أما بخصوص الأذن.. فثَمّة من يعتقد بأنّ لها القدرة على السّماع (قليلًا أو كثيرًا) وهي في عالم الأجنّة وأنها تسمع دقات قلب الأم و تعتاد عليها! "[٤].

---

(١) الجديد في تفسير القرآن المجيد: ٤/ ٢٤٦-٢٤٨.

(٢) تفسير المراغي: ١١٨/١٤.

(٣) يُنْظَر: تفسير الشعراوي: ١٣/ ٨١١٢.

(٤) الأمثل: ٨/ ٢٧٣.

وثمّة معلومة يذكرها الدكتور صادق هلالي هي أنّ حاسة السّمع تصبح جاهزة في الشّهر الخامس من عمر الجنين، فيسمع أصوات حركة أمعاء أمّه ونبضات قلبها، وتتولد إشارات سمعية في أذنه الداخليّة[١]، "أما فيما يخص العين "فلا يتم تكامل طبقاتها الشبكية الحساسة للضوء إلا بعد الأسبوع الخامس والعشرين"[٢].

فلم يتمكن المفسرون القدماء من بيان سبب ورود هذا التقديم ، وإنّما فسّروه بإشارات عابرة تشمل شكر النّعم التي أنعم الله بها علينا، أما المفسِّرون المحدثون فالأمر وضّحَ لنا جليًّا بعد الدّراسات في (علم الأجنّة) التي أقيمت على الطّفل بعد ولادته في أن لنضوج حاسة السمع سبقًا بنضوج حاسة البصر وأعضائها في الخلق .

وفي اغلب الآيات الكريمة التي ذكرت السمع والبصر قدمت ذكر السمع على البصر[٣] .

القسم الثّاني

أثر العلم الحديث في توضيح المجاز

توطئة

إنّ علم البيان من العلوم اللغويّة التي عنى بها المشتغلون بدراسة النّصّ القرآنيّ سواء أكان الأمر من المتقدمين أم من المتأخرين، لما لهذا العلم من أثر بارز في إظهار إعجاز النّصّ الإلهيّ المقدّس، وكان مما اعتنوا به من بيان فضلًا عن التّشبيه، والكناية، والاستعارة هي قضية المجاز...

---

(١) يُنْظَر: الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن ، صادق هلالي، حسين رضوان سليمان اللبيدي، ط٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م:٢٠-٢١.

(٢) المصدر نفسه :٢٠.

(٣) { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأرض أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ } يونس٣١

{أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأرض وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ } هود٢٠

{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا } الإسراء٣٦

{وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } المؤمنون٧٨

{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } السجدة٩

{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } الملك٢٣.

والمجاز لغةً : يقال في اللغة جزت الموضع: سرت فيه وقطعته [١] ، أما اصطلاحا فيذكر السيد أحمد الهاشمي أن المجاز هو " اللفظ المستعمل من غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المُشابهة وقد تكون غيرها، فإذا كانت المشابهة فهو استعارة ، وإلا فهو مجاز مرسل والقرينة قد تكون لفظية، وقد تكون حالية " [٢].

واختلف العلماء في وقوع المجاز في اللغة عمومًا وفي القرآن خصوصًا فمنهم من يرى إثبات المجاز مطلقًا في اللغة، والنصوص الشرعية، ويتمثل هذا الرأي بالغزالي (ت٥٠٥هـ)، والزركشي(ت٧٩٤هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ) وغيرهم. والقسم الآخر نفي المجاز، ومنع وقوعه في النصوص الشرعية وهم: داوود الظاهري (ت٢٧٠هـ)، وابن تميمية (ت٧٢٨هـ)، وابن القيم (ت٧٥١هـ)[٣] ومن الذين أنكروا المجاز بالقرآن: محمد بن خوازمنذاذ البصري المالكي، وابو بكر (ت٢٩٧هـ)، وغيرهما [٤].

وانتقل الاهتمام بالمجاز من دائرة البلاغة اللغوية البريئة إلى الدائرة الحرجة، فيما تتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى، ومسائل الإيمان، والعقائد بدليل أنّ المجاز كذب، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز هو عجز، فالمتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به عن الحقيقة، والله لا يعجزه شيء ومنه أن المجاز يفتح باب البدعة في الدين، بل الكفر، والإلحاد، وروي أنّ المجاز تناقض ، فيمكن نفيه ولا يجوز ذلك في القرآن[٥].

---

(١) يُنْظَر: مقاييس اللغة ، مادة (جوز).

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، تح: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا _ بيروت، ط١. ١٩٩٩م: ٢٥١.

(٣) يُنْظَر: حكم وقوع المجاز في اللغة والقرآن، علي بن ذريان الجعفري العنزي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية_ جامعة الكويت: ١٢٠٤-١٢١١.

(٤) يُنْظَر: دراسات في المجاز وجماله في القرآن الكريم، مسرة جمال، جامعة بشاور قسم اللغة العربية،١٩٩٣م: ٦٨.

(٥) يُنْظَر: وقوع المجاز في اللغة والقرآن، ، علي بن ذريان الجعفري العنزي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية_ جامعة الكويت : ١٢٢٤-١٢٣٢.

ويقدم هذا المبحث في دفع بعض الإشكالات التي اختلف فيها العلماء وبيان ما خفي من الدلالات التي توحي إليها بعض الآيات القرآنية على وفق معطيات البحث العلمي المتقدم ، وإن إعجازه لا يقف عند الحد الملموس (المادي) فقط، بل تعداه إلى تفسير المعاني والحقائق الإلهية على معطيات الحس، والتجربة.

وسنوضّح فيه ما تكون عليه لغة القرآن عن ظاهرة المجاز اللغوية، وإننا لم نحصل على كتاب يجمع الألفاظ المجازية في القرآن فضلًا عن تناولها بالمناقشة، والتحليل وأن المبحث يضيق عن استيعاب جميع ما أحصيناه من ألفاظ تحمل ظاهرة المجاز، وقبل توضيح الأمثلة التي تخص المجاز لا بد أن ننوه إلى أمرين: الاول إنه لا ينبغي في فهم الآيات الكونية أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بعد إقامة القرائن ، التي تمنع من حقيقة اللفظ ، ومخالفة هذه القاعدة أدى إلى التفسير الخاطئ ، أما الأمر الثاني فهو أنّه لا يمكن تفسير الآيات الكونية بالفروض أو النظريات من العلم التي ما تزال موضع الفحص والتمحيص أو الحدسيات أو الظنيات لأنها عرضة للتصحيح [1] ومن أمثلته:

ـ شجرة زيتونة

أخذت لفظة الشجرة من " شجر يشجر، شجورًا، فهو شاجر... شجر النبات: رفع ما تدلّى من أغصانه، شجره بالرُمح: طعنه... أشجرت الأرض: كثر شجرها(أشجر الوادي)"[2]، وورد ذكرها في سورة النّور: **﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ﴾ [النور: ٣٥]**

اختلف المفسرون القدماء في تفسير الشّجرة في هذه الآية ، فمنهم من قال: إنّها لا يسترها من الشمس جبل ولا وادٍ إذا طلعت أو غربت، وقال الآخر إن هذه الشجرة تصيبها شروق الشمس وغروبها أي إنّها تصيبها إذا طلعت وكذلك إذا غربت، وبعضهم قال : إنّها وسط الشجر، وذكر آخرون بأنها ليست من شجر الدنيا [3] .

وقريب من هذا ما ذهب إليه السمرقندي (ت٣٧٥هـ) بقوله:" يعني لم تكن بحال يصيبها الشّمس في أول النهار ولا يصيبها في آخر النهار ولكنها في مكان مطمئن تصيبها الشمس في أول النهار وآخره فكذلك

(١) يُنْظَر: الإسلام في عصر العلم، محمد أحمد الغمراوي ، مطبعة السعادة ،ط١ ، ١٣٩٣هـ_ ١٩٧٣م: ٢٢٣.
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة :٢/ ١١٦٦.
(٣) يُنْظَر: جامع البيان: ٣١١/١٧-٣١٢ .

هذا المؤمن تكون كلمة الإخلاص في قلبه ثابتة مثل ثبوت الشجرة ، فلا يكون مشبهًا ولا معطلًا ولا قدريًّا ولا جبريًّا ولكنه على الاستقامة" [١] ، أي إنّ القدماء وصفوا مكان الشجرة لكن لم يحددوا مكانها.

وجاء المفسرون المحدثون بتفسير أدقّ من المفسرين القدماء ، إذ قال الألوسي في تفسيره: " أي ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا يحجبه عنها شيء من حين تطلع إلى أنْ تغرب وذلك أحسن لزيتها " [٢].

وللطباطبائي رأيٌ آخر إذ قال " يوقد من شجرة مباركة قال : الشجرة المؤمن (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : على سواد الجبل لا غربية أي لا شرق لها، ولا شرقية أي لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت غربت عليها (يكاد زيتها يضيء) يكاد النور الذي في قلبه يضيء ، وإن لم يتكلم "[٣].

وأكدت الدراسات الحديثة حقائق علمية من طريق القرائن الموجودة في سياق الكلام، يقول الدكتور منصور محمد حسب : " من المعروف بلاغيًّا وبيانيًّا أننا في تفهم الألفاظ نسلك إما طريق الحقيقة أو طريق المجاز. والعدول عن الحقيقة إلى المجاز لا بدَّ له في سياق الكلام من قرينة تبرره... وقد فهم المفسرون لفظ شجرة على حقيقته واعتبروها شجرة زيتون مزروعة فوق الجبل! ولكني أعتقد أن هذه الشجرة غير موجودة على الأرض لأنها لو كانت على الأرض لأصبحت شرقية أو غربية مما يتعارض مع نص الآية.

ولهذا فإن الشجرة في السماء وهي الشمس، والتي يمكن اعتبارها مجازًا الشجرة المباركة المشار إليها في الآية الكريمة" [٤].

أي إنّ الدكتور منصور محمد حسب النبي عزا الشجرة إلى أنها الشمس ؛ لأنّها تتفرع منها جميع أنواع الطاقة على سطح الأرض مثلما في الطاقة التي تتخذها النباتات وكذلك شكل الزيتونة الكروي الذي يشبه الشمس الخالي من النتوءات وموقع الشمس الذي يكون ليس في الشرق أو الغرب ، وهذه حقيقة علمية تم

---

(١) تفسير السمرقندي: ٢/ ٥١٣.

(٢) روح المعاني: ١٨/ ٣٦١.

(٣) الميزان: ١٥/ ١٤٠.

(٤) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم: ٢٤٣.

اكتشافها مؤخرًا ، وهي لا تجري في الشرق ولا في الغرب لكنها تجري في الفضاء جريانًا حقيقيًّا ، وليس ظاهريًّا [١] ، أي إنّ الشجرة في الآية الكريمة كانت مجازًا وليست شجرة حقيقيّة، والله أعلم.

ـ فَارَ التَّنُّورُ

جاء أصل (التنور) في المعاجم اللغوية من " تَنُّور[مفرد]: تنانير: فرن يُخبز فيه . ينبوع المياه الملتهبة الكامنة في جوف الأرض" [٢]، وورد في قوله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]**

ذهبَ أغلب المفسرين إلى أنّ المقصود بالتنور: هو الذي يخبز فيه ، منهم الثعلبي(ت٤٢٧هـ) ، إذ قال " أراد بالتّنّور الذي يخبز فيه ، وكان تنورًا من حجارة وكان لحواء حتى صار إلى نوح ، فقيل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك، فنبع الماء من التّنور فعلمت به امرأته، فأخبرته" [٣].

وقد أشارَ إلى ذلك صاحب الوجيز بقوله " واختلف الناس في «التنور» ، فقالت فرقة ... هو تنور الخبز الذي يوقد فيه، وقالت فرقة : كانت هذه أمارة جعلها الله لنوح، أي إذا فار التّنور فاركب في السفينة ؛ ويشبه أنْ يكون وجه الأمارة أنّ مستوقد النار إذا فار بالماء فغيره أشد فورانًا... «التنور» مجتمع ماء السفينة فار منه الماء وهي بعد في اليبس، وقالت فرقة : «التنور هو الفجر، المعنى : إذا طلع الفجر فاركب في السفينة" [٤]

وبعبارة أخرى قال الطبرسي (ت٥٤٨هـ)" إن فار التنور معناه : اشتدّ غضب الله عليهم، ووقعت نقمته بهم" [٥] ، وبعد عرض آراء بعض المفسرين القدماء نرى أنهم لم يتفقوا على تفسير واضح وصريح ؛ لذا ذهبَ بعضهم إلى أن التنور هو أداة للخبز أو لغضب الله أو مجتمع ماء السفينة وغيرها .

---

(١) يُنْظَر: المصدر نفسه: ٢٤٣- ٢٤٤

(٢) معجم اللغة العربية : ٣٠٣/١

(٣) الكشف والبيان في تفسير القرآن : ٣٢١/٣ ـ ٣٢٢

(٤) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز : ١٧٠/٤ـ ١٧١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٥/ ٢١٥.

وحتى تتضح الرؤية لا بد أنْ نشيرَ إلى آراء المحدثين، فيقول الدكتور هاشم البحراني : " (فار التنور) في مسجد الكوفة، وقد كان نوح اتخذ لكل ضرب من أجناس الحيوان موضعًا في السّفينة ، وجمع لهم فيها جميع ما يحتاجون من الغذاء، فصاحت امرأته لما فار التنور، فجاء نوح إلى التنور فوضع عليه طينًا وختمه، حتى أدخل جميع الحيوان السفينة .

ثم جاء إلى التنور ففض الخاتم، ورفع الطين، وانكسفت الشمس، وجاء من السماء ماء منهمر، صب بلا قطر، وتفجرت الأرض عيونا "[١].

وفي ما جاء في روح المعاني " وجه الأرض هنا "[٢]، وحمّله بعضهم على المجاز " ومنها : أن المراد به أعالي الأرض، والمواضع المرتفعة فيها .

وقيل : إن الكلام على سبيل المجاز ، والمراد بقوله – سبحانه – (فارَ التَّنُّورُ) التمثيل بحضور العذاب ...

وأرجح هذه الأقوال أولها ؛ لأن التنور في اللغة يطلق على الشيء الذي يخبز فيه ، وفورانه معناه : نبع الماء منه بشدة مع الارتفاع والغليان، كما يفور الماء في القدر عند الغليان... ، وفار التنور الذي جعلنا فورانه بالماء آية مجيء عذابنا " [٣].

وأشار صاحب التفسير الواضح بأن المراد منه هو " ظهور الماء على وجه الأرض بكثرة ... وقيل : هو تمثيل لاشتداد الغضب" [٤].

ويذكر الشيخ مكارم الشيرازي أن كلمة (التنور) استعملت هنا مجازًا عن غضب الله، أي إنّ " غضب الله اشتدت شعلته وفار، فهو إشارة إلى اقتراب حلول العذاب المدمر، وهذا التّعبير مطرد حيث يشبهون شدة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن:٣/ ١٠٧.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٢/ ٢٥١.

(٣) التفسير الوسيط ، محمد السيد الطنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، ط١ ، ١٤٠٤ هـ _١٩٨٤م : ٧/ ٢٠٥.

(٤) التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد ، بيروت _ لبنان، ط١٠، ١٤١٣هـ :٢/ ١٢٢.

الغضب بالفورة، والاشتعال " [1]، ثم ذكر في موضع أنّ لفظة التنور يمكن أنْ تكون قد استعملت بمعناها الحقيقيّ ، فقال " حين فار التنور بالماء – وهو محل النار عادة – التفت نوح (عليه السّلام)، وأصحابه إلى أنّ الأوضاع بدأت تتبدل بسرعة، وأنه حدثت المفاجأة، فأين (الماء من النار) ؟ !

وبتعبير آخر : حين رأوا أن سطح الماء ارتفع من تحت الأرض وأخذ يفور من داخل التنور الذي يصنع في مكان يابس ومحفوظ، من الرطوبة علموا أن أمرًا مهمًّا قد حدث وأنه قد ظهر في التكوين أمر خطير، وكان ذلك علامة لنوح (عليه السلام) "[2]، أي ما يقصد بالتنور هو البركان الذي يكمن داخل الأرض ، وهذا من المجاز ، فالشيخ مكارم الشيرازي استبعد ان يكون المراد هو المعنى الحقيقي .

ـ الْجِبَالَ أَوْتَادًا

أوتاد جمع وتد وقال:" الوَتَد معروف، وجمعُه أوتاد ، وتقول : تِدْ يا فلان وَتْدًا"[3]، وجاءت في قوله تعالى:**﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ: ٧]**

يرى الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) أنّ الجبل كالوتد ، وهو من يجعل الأرض ثابتة ومتماسكة" الجبال أوتادا للأرض لئلا تميد بهم، فالجبال جمع جبل، وهو بغلظه، وثقله يبلغ أنْ يكون ممسكًا للأرض عن أن تميد بثقله، فعلى ذلك دبره الله، وذكر العباد به وما فيه من العبرة بعظمة من يقدر عليه . والوتد المسمار إلا أنه أغلظ منه ، لذلك يقال : مسامير العناء إذا دقت كالمسمار من الحديد في القوة، والدقة ، ولو غلظت صارت أوتادا، فكذلك وصفت الجبال بأنّها أوتاد للأرض ؛ إذ جعلت بغلظها ممسكة لها عن أنْ تميد بأهلها "[4].

وبذكر السيد الطباطبائي أنّ ثباتية الأرض تنشأ بواسطة مجموعة من العمليات ، فقال " ولعل عد الجبال أوتادًا مبني على أنّ عمدة جبال الأرض من عمل البراكين بشقّ الأرض، فتخرج منه مواد أرضية

---

(1) الأمثل : ٦/ ٥٣٧.

(2) المصدر نفسه: ٦/ ٥٣٧.

(3) كتاب العين: ٤/ ٣٤٥.

(4) التبيان في تفسير القرآن:١٠/ ٢٣٩.

مذابة تنتصب على فم الشقة متراكمة كهيئة الوتد المنصوب على الأرض تسكن به فورة البركان الذي تحته، فيرتفع به ما في الأرض من الاضطراب، والميَدان .

وعن بعضهم : أنّ المراد بجعل الجبال أوتادًا انتظام معاش أهل الأرض بما أودع فيها من المنافع، ولولاها لمادت الأرض بهم أي لما تهيأت لانتفاعهم "[١].

فالجبال تشبه الأوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض، وناحية الرسوخ فيها ، وتفسير الأوتاد في هذه الآية يتطلب علماء مختصين؛ ليقفوا على مظاهر آيات الله في الجبال. ويرى العلماء أن الجبال نشأت بفعل قوة أو قوى عملت جانبيًّا في القشرة الأرضية لما هبطت بثقلها، حين خلا ما تحتها بانقباض باطن الأرض، وانكماشها لما يرد بالتداريج في الأحقاب الطويلة، وتلك القوى لها نظائر، على قدر، عند دق الأوتاد فالدقّ من أعلى لأسفل يناظر فعل التثاقل عند هبوط قشرة الأرض والضغوط الجانبية على التربة من حوالي الوتد عند دقة تناظر تلك القوى الجانبية العاملة في القشرة الأرضيّة .

والدقة في تشبيه الجبال بالأوتاد يكون في المنفعة والوظيفة ، فوتدية الجبال فسرت عند المفسرين بأنها تثبت الأرض ؛ لأنها كانت ساكنة عندهم لذا ردوا احتمال اضطراب الأرض إلى ما يحيط باليابسة من البحار وأن الجبال تسبب عدم اضطراب في الأرض ؛ لعيش الناس عليها وأن الأرض لو اضطربت بهم في حركتها اليومية لساء عيشهم فيها سوءا لا يقدره [٢].

وملخص الأمر أن القدماء ذهلوا من تشبيه هذه الأجرام العظيمة (الجبال) بالأوتاد فأين هذه من ذلك؟ لكن بمجيء العلم الحديث والاكتشافات الجيولوجية تبين أن ما نراه ظاهرًا من الجبال على سطح الأرض هو الجزء الأصغر من الجبل والباقي منه مغروس تحت الأرض يمسك طبقاتها فكلما كان الارتفاع فوق سطح الأرض كبيرًا تضاعف الجزء المغروس منه ، يحكمها قانون الطفو فكلما برت عوامل التعرية قمم الجبال، ارتفعت تلك الجبال[٣]، فتشبيه الجبل بالوتد هو من باب الحقيقة لا المجاز مثلما تصور القدماء، ومن هنا تجد تحليلاتهم تقول بمجازية هذا التشبيه.

---

(١) الميزان: ٢٠/ ١٦٢.

(٢) يُنْظَر: الاسلام في عصر العلم: ٢٨٦-٢٨٩.

(٣) يُنْظَر: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ط١٠، ١٤٢٩هـ _٢٠٠٨م: ١٨_١٩ .

القسم الثّالث

أثر العلم الحديث في توضيح التوكيد بالنعت

تناول علماء النّحو، والمعاني التّوكيد الذي يخرج لغرض معين كأن يكون للتهديد أو الانذار أو التنبيه وغيرها ويكون التوكيد إما بحرف أو كلمة أو بجملة على حسب ما يقتضيه سياق الكلام وفائدة التوكيد " إنّه يُكرِّرُ المَعْنى المُشَارَ إليهِ مَعَ تَغْيِيرِ اللَّفْظِ...يَسْمَحُ لهُ بإظْهارِ طَاقتِهِ الإبداعِيّةِ في رَصْفِ كَلَماتٍ لَها نَفْسُ المَعْنى على مَسَافاتٍ مُحَدَّدةٍ داخِلَ النَّصِّ الواحِدِ بحَيْثُ تَتَشَكَّلُ مُجْتمعةً شَبَكةً مُوَحَّدةً تدْعَمُ الغَرَضَ المُتَّصِلَ بالنَّصِّ كما تُتِيْحُ لهُ الفُرْصَةَ في تَنويعِ الوُجُوهِ والمَلامِحِ المُختلفةِ للمَعْنى " [1]، ومن أمثلته الواردة في القرآن الكريم، التوكيد بالنعت في ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فهو بمجرد قوله﴿ زَوْجَيْنِ﴾ يتبادر إلى الذهن بأنهما اثنان لا ثلاثة ، لكن لماذا جاء الوصف باثنين، في قوله تعالى:**﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأرض وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣]**

إن التعبير القرآني هنا جاء بأسلوبٍ مهم من أساليب اللغة العربية وهو أسلوب التوكيد بالنعت، ولقد فسرت (زوجين اثنين) في هذه الآية بأنها اصناف الثمار" وجعل الله سبحانه من الثمرات الأنواع المتقابلة أصنافًا، منها: الحلو، والحامض، ومنها الأبيض، والأسود" [2].

ومثله ما جاء عند الطبراني (ت٣٦٠هـ) فقال: " أي وخلق من جميع الثمرات من كلّ شيء لونين اثنين، وجعل فيها الحلو والحامض، والأسود، والأبيض [3].

([1]) نظريّة علم النَّصّ _ من بنية المعنى إلى سيمائية الدّال ، حسين خمري ، الدّار العربية _ ناشرون، منشورات الاختلاف_ الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ_ ٢٠٠٧م :١١٠ .

([2]) البرهان:٢/ ٤٣٥.

([3]) التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم) :٤/ ٦.

ونجد الزمخشري(ت٥٣٨هـ) لم يختلف عنه كثيرًا فقال: "خلق فيها من جميع أنواع الثمرات ...وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض، والحلو، والحامض، والصغير، والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة "[١] ويتبين لنا بعد عرض آراء القدماء أن ما مقصود بها هنا هو اصناف الثمار، ويمكن الاكتفاء بالجزء الأول (زوجين) أذا كان المقصود به أصناف الثمار مثلما ذكر القدماء لكن اعتماد النعت (اثنين) الذي افاد التوكيد كان ضروريًّا ليبين حقيقة علمية .

ويبينها العلم الحديث بأن مقصود أوسع مما ذكر ، فحتى هذه الزهرة تحتوي على الأعضاء الذكرية والانثوية معًا وقد دلَّ " أن أزهار النباتات على اختلاف أنواعها تنقسم ثلاثة أقسام: أزهار مذكرة، وأزهار مؤنثة، وأزهار خنثى تجمع الناحيتين من عضو التذكير وعضو التأنيث معا، ومن الأمثلة الموضحة لذلك النخيل فمنه نوع مذكر وآخر مؤنث، ونبات الذرة يحمل في وقت واحد أزهارا مذكرة وأخرى مؤنثة ونبات الفول له زهرة تجمع بين عضوي التأنيث والتذكير معًا " [٢].

وبذلك نجد الشيخ محمد جواد يؤيد هذه الحقيقة بقوله " في التفاسير القديمة أن الزوجين أو الاثنين هما (أسود وأبيض وحلو وحامض ورطب ويابس) ونسي المفسرون القدامى أن في الثمر ما هو أصفر وأخضر ولا حلو ولا حامض . وفي التفاسير الجديدة أن المراد بالزوجين الذكر والانثى ، وأن الشجر وغيره من النبات لا ينتج إلَّا باللقاح بطريق أو بآخر" [٣]، أي إنّ الزوجين هنا المقصود به هو عضوي الذكر والانثى وليس اصنافه أو ألوانه مثلما زعمَ القدماء.

ونقل الشيخ مكارم الشيرازي إشارة العالم السويدي (لينه) المختص بعلم النبات إلى هذه الحقيقة في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وهي " أن التزويج في عالم النباتات يعتبر قانونًا عامًّا تقريبًا كالحيوانات ولها نطف ذكرية وانثوية وأن الثمرة تتكون من التلقيح . فالقرآن الكريم قبل ألف ومائة عام من ذلك كشف لنا عن هذه الحقيقة " [٤]، ولا شك أن هنالك اشارات عند العلماء بهذه الحقيقة.

---

(١) تفسير الكشاف :٢/ ٣٤٩.

(٢) القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم ، دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة، (د. ط) ،١٩٧٧م: ١٢٩.

(٣) التفسير المبين، محمد جواد مغنية، عز الدين للطباعة والنشر، ط٢ (د. ت): ٣٢١.

(٤) الأمثل: ٧/ ٣٣٣

المبحث الثاني

أثر العلم الحديث في توضيح الظواهر اللغوية

الظاهرة اللغوية قضية في اللغة أصبحت مسألة تستحق الدراسة وكان للعلم الحديث في بيان دلالات بعض هذه الظواهر وعلى النحو الآتي:

القسم الأوّل

أثر العلم الحديث في توضيح علل الاختيار :

اهتم نحاة العرب في موضوع علل الاختيار اهتمامًا كبيرًا، وهي سمة بارزة عندهم؛ لذا نجدهم وضعوا له دراسات وتسميات خاصة في كتبهم.

العلة لغةً:

يعرفها الفراهيدي (ت١٧٠هـ)هي " مَنْ تُنَازِعُه نفسهُ إلى الشَّيْء، عَلِهَ يَعْلَهُ عَلَها، وعَلِهَ الرَّجُلُ: إذا اشْتَدَّ جوعُه ، والعَلْهانُ : الجَائِعُ. وامرَأَةٌ عَلْهَى ، ويُجمَعُ على عِلاَهٍ ونِسوَةٌ عَلاَهَى. وعَلِهَ الرَّجُلُ :إذا وَقَعَ في المَلاَمَةِ"[١]، ومنها بيان السبب، إذ يقال: هذا علّة لهذا، أي : سبب له [٢].

أما العلة اصطلاحًا :

فقد ذكر الأنباري (ت٥٧٧هـ) بأنها " تقدير الفرع بحكم الأصل"[٣]، وقيل إنها: " ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجه مؤثرًا فيه" [٤] .

([١]) كتاب العين: ٣/ ٢٢٢ـ ٢٢٣.

([٢]) يُنْظَر: لسان العرب: ١٣/ ٤٩٦.

([٣]) لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين محمد الأنباري(ت٥٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الباسط، دار السلام للنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان، ، ط١، ١٣٩١هـ _ ١٩٧١م: ٩٣.

([٤]) معجم التعريفات، علي بن محمد السّيد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) ، تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة (د. ط)، (د. ت): ١٣٠.

الاختيار لغة:

ورد في كتاب العين "رجلٌ خَيِّرٌ وامرأةٌ خَيِّرة، أي فاضلةٌ في صَلاحِها، والجميعُ خِيارٌ وأخْيار... والخيِرَةُ مصدرُ اسم الاختيار مثل ارتابَ رِيبَةً. وكلُّ مصدرٍ إذا كان لـ(أَفْعَلَ) ممدُودًا، فاسمُ مصدره (فعال) مثل أفاق يُفيقُ فَواقًا" [١].

وقال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) إن :" الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يُحمل عليه، فالخير خلاف الشر؛ لأنّ كلّ أحدٍ يميل إليه ويعطف على صاحبه"[٢].

الاختيار اصطلاحًا:

يوجد تقارب بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة (اختيار) فهي من" خير: الْخَيْرُ ماَ يَرْغَبُ فيه الكلُّ كَالعَقْلِ مَثلًا والعَدْلِ والفَضْلِ والشيء النافعِ ، وضِدُّهُ الشرُّ... والاختيارُ طَلَبُ ما هو خيرٌ وفِعْلهُ، وقد يقالُ لما يرَاهُ الإنسان خيرًا وإنْ لَمْ يكُنْ خيرًا" [٣]، ومن الامثلة الاسلوبية في القرآن الكريم:

ـ اختيار (فجعل منه) دون (فجعل منها) في قوله تعالى:

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْانثى﴾ [القيامة: ٣٩]

كان الاعتقاد متفشيًا في الجاهلية وما يزال بأن المرأة مسؤولة عن تحديد الجنس، فكم من امرأة فشلت بزواجها من طريق هذا المنظور الخاطئ، والعدول في عود الضمير في هذه الآية لخاصية علمية أراد القرآن أن يبينها لكنها لم تتضح عند القدماء، ففسروها بأن الله سبحانه وتعالى " جعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقا سويا أولادا له، ذكورا وإناثا "[٤].

ويذكر النيسابوري (ت٤٦٨هـ) بقوله : "فخلق من الإنسان صنفين الرّجل والمرأة "[٥]، ونلاحظ أنه لم يذكر تحديد الجنس من الذكر أو الانثى، وهذا ما نجده أيضًا عند السيوطي (ت٩١١هـ) " زوجان . كلّ واحد منهما زوج : الذكر زوج، والانثى زوج" [١].

---

(١) كتاب العين: ١/ ٤٥٥ـ ٤٥٦.

(٢) مقاييس اللغة: ٢/ ٢٣٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٢١٢ـ ٢١٣.

(٤) جامع البيان:١٢٥/٢٩.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية، دمشق_ بيروت، ط١، ١٤١٥هـ_ ١٩٩٥م. :٢/ ١١٥٦.

ونرى عودة الضمير تحدد عند المحدثين، فجاء التعبير القرآني بهذا السياق دلالةً على الرجل، ومما يؤيد ذلك الدكتور محمد جواد مغنيه بقوله " ضمير منه يعود إلى الإنسان، والمعنى أن اللَّه سبحانه بعد أن جعل النطفة إنسانا كاملًا أخرج منه أولادًا ذكورًا وإناثًا [٢]، وبيّن الدكتور ذاكر الكريم أن النطفة هي المسؤولة عن تحديد جنس الطفل [٣].

وبالتعبير العلمي وهو مستوى التقدير (الترايكوت) أي (البيضة الملقحة) ويعدُّ هذا المستوى (كمشروع إنسان) وبه تتحدد جنسية الجنين (ذكرا) أم (انثى) وينوه سبحانه بآية أخرى لوظيفة المرأة بأنّها تؤدي وظيفة المتلقي لنوع البذار :﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة ٢٢٣] .

وتشبيه للمرأة بالأرض الطيبة المحروثة الصّالحة للزّراعة (حرث) يتناسب مع نوع البذور التي تبذر فيها . والمرأة وعاء طيب حامل للنطف كالأرض الطيبة، وعاء حاضن للبذار [٤]، أي يكون هذا الحرث بحسب ما يوضع له من بذور.

ولقد أثبت العلم الحديث أنّ نوع الجنين ذكرًا أم انثى يرجع للرجل وللرّجل وحده لا أثر للمرأة في تحديد الجنس.

فالآية الكريمة ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي: من نطفة مني يمنى ﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْانثى﴾ النطفة التي تمنى هي نطفة الرجل التي هي الحيوان المنوي .

فالرجل له نوعان من الجسيمات الملونة YX، أما خلايا المرأة فتحتوى على الجسيمات الملونة XX وقد أثبت العلم الحديث أن نوع الجنين ذكرًا أم انثى يرجع للرجل وللرجل وحده [٥]، ومن هذا ما نجده في تفسير عود الضمير في: " في قوله ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والانثى﴾، فالتفاسير تفسر هذه الآية تفسيرًا

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ٥٥٧.

(٢) يُنْظَر : التفسير الكاشف:٧/ ٤٧٤.

(٣) تحديد جنس الجنين عند ذاكر النايك، متاح على: https://www.patreon.com/arabic_zakir

(٤) يُنْظَر: إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية ، محمد مختار عرفات ،دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق_ سوريا، ط١، ٢٠٠٣م: ١٣١ـ ١٣٢.

(٥) يُنْظَر: الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، سعيد صلاح ، مكتبة القدسي للنشر القاهرة _ مصر، ط١،(د. ت): ١٨.

ظاهريًّا منطلقة من أن الله تعالى جعل من الإنسان ذكورًا واناثًا، فالحقيقة أن الآية لا تخلو من " إعجاز طبي آخر وهو أن الذكر أو مني الرجل هو المسؤول عن عنصر الذكورة في اللاقحة، وليست الانثى وهذا أوضحه قوله تعالى : (فجعل منه) ولم يقل (فجعل منها) " [1]، وربما يرمي بعض الناس ولادة الذكور والاناث في خانة المرأة إلا أن القرآن بين أن الامر متعلق بالرجل نفسه، فمن النطفة يتولد الذكر أو الأنثى ، فالمرأة تطرح الخلية الأنثوية (X) والرجل إما أن يطرح مثلها (X) ليكون المولود انثى (XX) أو يطرح الذكورية (Y) لينتج المولود ذكرا (XY)، فتحديد جنس الجنين منوط بما يطرحه الرجل ومن ثم كان التعبير في آية سابقة (من نطفة) .

ـ ذكر (اتَّخَذَتْ) دون (اتَّخَذَ)

وورد هذا العدول في قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]**

لم يوضّح القدماء مَن الذي ينسج بيت هذه الحشرة؟ فيذكر القمي (ت٣٢٩هـ) "وهو الذي نسجه العنكبوت على باب الغار الذي دخله رسول الله صلى الله عليه [وآله] "[2].

ويصف الرازي (ت٦٠٦هـ) هذا البيت بأنّه لا يحمي من الحر أو البرد قائلًا " أدنى مراتب البيت أنّه إن لم يكن سبب ثبات، وارتفاق لا يصير سبب شتات، وافتراق، لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت، فإن العنكبوت لو دام في زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها ، فإذا نسج على نفسه واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت"[3]

ويبين المفسرون المحدثون أن ضمير التاء في الفعل (اتخذت) عائد إلى انثى العنكبوت فهي التي تبني بيتها بنفسها، فيرى الطنطاوي أن "العنكبوت : حشرة معروفة، تنسج لنفسها في الهواء بيتًا رقيقا

---

(1) الاعجاز الطبي في القرآن ، السيد الجميلي، مكتبة القدسي للنشر القاهرة _ مصر، ط١،(د. ت): ٥٠ .

(2) تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(ت٣٢٩هـ)، مؤسسة الإمام المهدي، ط١ ،١٤٣٥م: ٢/ ١٥٠.

(3) مفاتيح الغيب:٢٥/ ٥٧.

ضعيفًا، لا يغني عنها شيئًا، وتطلق هذه الكلمة على الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، والغالب في استعمالها التأنيث . والواو والتاء زائدتان، كما في لفظ طاغوت" [١].

وإن العجيب في بناء بيت العنكبوت ونسجه، يكون أشبه بالشمس وأشعتها مستقرة على قواعد هذا (البناء النسيجي) [٢]

والتعبير القرآني في غاية الدقة وجاء الفعل(اتخذت) بصيغة المؤنث، لتدل على أن من يقوم ببناء بيوت العناكب هي الأنثى فقط، وأن الذكر من العناكب لا شأن له بذلك أبدا، وهذه الحقيقة ما كان لأحد أن يفطن لها زمن نزول القرآن [٣]، وأن الخيط الذي تنسجه انثى العنكبوت لبيتها هو خارج من قناة خاصة تستعمله في النسج .

ـ ذكر لفظة (خَلَقَهُنَّ) دون (خَلَقَهُما)

يظهر أن ثمة إشارة علمية في اختيار الفعل (خَلَقَهُنَّ) بدل ذكر(خَلَقَهُما) في سياق خلقه سبحانه وتعالى للسماوات والأرض، وهي من مادة (خَلَقَ) يرجع إلى صنع الباري للطبيعة، وقدرته، وهذا ما نجده عند الفراهيدي (ت١٧٠هـ) بقوله "خلق: الخلقية: الخُلُق، والخَليقةُ: الطبيعة. والجميعُ: الخلائقُ : نُقَرٌ في الصَّفا. والخليقة: الخَلْقُ [والخالق: الصانع]، وخَلَقْتُ الأديمَ: قَدّرْتُه. وإنّ هذا لَمَخْلَقَةٌ لِلخَيْر، أي جديرُ به، وقد خُلِقَ لهذا الأمر فهو خليق له، أي جديرٌ به. وإنه لخليقٌ لذاك، أي شَبيهٌ، وما أَخْلَقَهُ، أي ما أَشْبَهَهُ" [٤]، ونراه جاء في كتابه العزيز بصيغة الماضي المسند إلى ضمير الجمع (هن) في قوله تعالى:**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأرض لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]**

وهنا لم يدرك القدماء المقصد من الآية أعلاه ولم تدرك عقولهم تحليل الآيات العلمية ؛ لذا حمّلت بعض المفردات على غير المعاني المقصودة فحمّلها بعض المفسرين على أن خالق السماوات والأرض هو الله

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١١/ ٤٠.

(٢) يُنْظَر: الأمثال في القرآن الكريم: ٢١٨.

(٣) يُنْظَر: الاعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، ربيع عبد الرؤوف الزواوي، القرآن ، محمد إسماعيل إبراهيم ، دار الفاروق ، القاهرة _ مصر، ٢٠٠٨م: ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٤) كتاب العين:٤٣٨/١ .

سبحانه وتعالى "وهذا إخبار عن غاية جهلهم ؛ إذ أقرّوا بأنّ اللّه خلق السماوات والأرض، ثم عبدوا معه غيره وأنكروا قدرته على البعث، فهم يقرّون باللّه ويشركون به غيره" [١].

ويشاطره السمرقندي (ت٣٧٥هـ) في الرّأي بقوله: "يعني : يقولون خلقهنّ اللّه تعالى، الذي هو العزيز في ملكه، العليم بخلقه، فزادهم اللّه تعالى في جوابهم"[٢] ، أي : ينسب خلقهم لله سبحانه وتعالى.

وتماشيًا مع ما تم ذكره فأن القرطبي (ت٦٧١هـ) ذكر أنّ" من خلق السّماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم فأقرّوا له بالخلق والإيجاد، ثم عبدوا معه غيره جهلًا منهم "[٣].

ولم يختلف الأمر عند ابن كثير (ت٧٧٤هـ) "أي ليعترفنّ بأنّ الخالق لذلك هو اللّه وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد" [٤]، واستخلاصًا لما سبق تبيَّن أنّ القدماء ركزوا في تفسير الآية على أنّ الخلق لله تعالى .

ويرى الألوسي " أنّ البعض جعل هذا لازم مقولهم . وما يدلُّ عليه إجمالًا أقيم مقامه، فكأنهم قالوا : الله كما حكى عنهم في مواضع، وحينئذ فكأنّه قيل: الإله الذي يعرفونه، ويذكرونه بهذا الاسم هو المستحق للحمد لكونه خالق السماوات، والأرض، ولكونه كذا وكذا " [٥].

وفي ضوء ذلك فسرها المراغي "أي ولئن سألت أيّها الرّسول هؤلاء المشركين من قومك : من خلق السماوات والأرض ؟

لأجابوك : خلقهنّ العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهن لا يخفى عليه شيء من ذلك .

والخلاصة – أنهم يعترفون بأنه لا خالق لهما سواه، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان" [٦].

---

(١) التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم): ٥/ ٤٦٢.

(٢) تفسير السمرقندي (تفسير بحر العلوم): ٣/ ٢٥٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن :١٦ ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم :٧/ ٢٠١.

(٥) تفسير الألوسي : ٧/ ٧٩.

(٦) تفسير المراغي: ٧١.

ووافق تلك الرؤية ما ورد في تفسير الأمثال بأن تدبير السماوات والأرض وخلقها تابع لله سبحانه وهي جاءت لتوحيد ربوبيته، فذكر "ولكنهم كانوا مشركين في التوحيد في الربوبية، وكأنه سبحانه – بزعمهم – خلق السماوات والأرض وفوض تدبيرهما إلى الآلهة المزعومة، ويكشف عن ذلك إطلاق المشركين لفظ الأرباب في جميع العهود على آلهتهم المزعومة" [١].

ويتبين من ذلك أن المفسرين لهذه الآية بينوا أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السماوات والأرض أما العلم الحديث، فتطرقَ إلى قضية علمية، وأشارَ إليها مروان وحيد في كتابه: " تعدد الشموس والاقمار في هذا الكون، فالحق سبحانه وتعالى أتى بضمير الجمع المؤنث بدلًا من ضمير المثنى وكان مساق الآية يقتضى حسب قواعد اللغة أن يقول (خلقهما) إشارة إلى شمسنا وقمرنا، لكنه عدل عن المثنى إلى الجمع ليسطّر معجزة قرآنية كونية هنا ، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى خلق شموسًا وأقمارًا كثيرة ، وهذا ما أثبته العلم وقرره الحق"[٢]، والحقيقة العلمية التي في هذه الآية هي تعدد الشموس، والأقمار مثلما بينته العلوم الحديثة وهذا من الأمور التي لم يشر إليها القدماء.

ـ ذكر (السَّمْعَ والأَبْصارَ) دون (السَّمْعَ والبْصرَ)

جاء هذا السياق في قوله تعالى:**﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٢٣]**

ذكر القدماء في تفسير هذه الآية " كرامة أكرمكم الله بها، فاشكروا نعمه" [٣]، وإنّ الله تعالى علمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئًا ولا تعلمون، فرزقكم عقولًا تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشرّ وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السّمع الذي تسمعون به الأصوات، والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص ، فتتعارفون بها وتميزون بها بعضًا من بعض[٤] .

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم: ٢٠١.

(٢) الإعجاز القرآني: ١٢٠ـ ١٢١

(٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم): ٧/ ٢٢٩٤.

(٤) يُنْظَر: جامع البيان: ١٤/ ١٠٢.

وذكر الطّبراني (ت٣٦٠هـ) بأن خلق الحواسّ لكم لتشكروا نعمته وقدرته عليكم [١]، أي: لا تشكرون خالقكم وخالق هذه الأعضاء لكم إذ أشركتم به غيره[٢].

ونجد أمر الإفراد في (السمع) والجمع في (الأبصار) في هذه الآية كان لأهمية علميّة ؛ " لأنّ السّمع هي الآلة التي تلتقط الأصوات، وليس لها سدّ من طبيعتها، أما العين فليست كذلك، ففي طبيعة تكوينها حجاب لتغمض. وإذا أنت أصدرت صوتًا من فمك يسمعه الكل، وعلى هذا فمناط السمع واحد، لكن في أي منظر من المناظر قد تكون لديك رغبة في أن تراه، فتفتح عينيك، وإن لم تكن بك رغبة للرؤية فأنت تغمضهما. إذن فالأبصار تتعدد مرائيها، أما السمع فواحد ولا اختيار لك في أن تسمع أو لا تسمع. أما البصر فلك اختيار في أن ترى أو لا ترى، وهذه الأمور رتبها لنا الحق في القرآن قبل أن ينشأ علم وظائف الأعضاء، ورتبها سبحانه فأفرد في السمع، وجمع في البصر مع أنهما في مهمة واحدة" [٣]

ويذكر الدكتور محمد علي البار سبب ورودهما بهذه صيغة في كتابه بقوله: " ولعل القارئ الكريم قد لاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى وحّد لفظ (السمع) بينما جمع لفظ (الابصار) ؛ وذلك لأنّ هناك مركزين للأبصار في مؤخرة الدماغ بينما نجد أنّ مركزي السّمع في الدّماغ (في العضدين الصدغيين) مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بحيث يمكن اعتبارهما مركزًا واحدًا" [٤]، ففي هذه الحقائق العلميّة التي توصلت إليها الأبحاث كانت مرتبة ترتيبًا خاصًّا وتعبيرًا واضحًا يفي بكل هذه الحقائق.

ـ ذكر لفظة (طَهُورًا) بدل (طاهرًا)

يدلُّ (طهر) على النقاء، وهو خلاف الدنس [٥]، وطهوره الماء يزيل الكثير مما يصيب الإنسان في بدنه أو ثوبه، و(طهور) وورد وصف الماء بالطهور ولم يرد (طاهرًا) ، وسنبين ذلك في قوله تعالى: **﴿وأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان :٤٨]**

---

(١) يُنْظَر: التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم):٤/ ٧٦.

(٢) يُنْظَر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي): ٢/ ١١١٩.

(٣) تفسير الشعراوي: ٧ / ٤٤١٥ .

(٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدكتور محمد علي البار، ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة_ السعودية، ط٨، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م: ٣٢٤.

(٥) يُنْظَر : معجم مقاييس اللغة : ٤٢٨/٣.

ولقد اتفق المفسرون القدماء في تفسيرهم هذه الآية على أن الماء هو طاهر من عند الله (عزّ وجلّ) ينزل من السحاب بالرياح [١]، ويقول ابن كثير (ت٧٧٤هـ) " أنزله الله ماء طاهرًا لا ينجسه شيء"[٢]، ولم يذكر القدماء كيف يكون الماء طاهرًا وهو نازل من السماء .

وقد اكتشف المحدثون من طريق العلم الحديث أن (طهورًا) ليس طاهرًا فقط ؛ بل أكّدوا في تفاسيرهم أنه مطهرٌ لغيره أيضًا، يقول السيد الشعراوي في تفسيره " الطهور: الماء الطاهر في ذاته المطهر لغيره، وماء السماء طاهر ومطهر؛ لأنّه مصفى مقطر، والماء المقطر أنقى ماء"[٣]، ووضح السيد الطنطاوي في تفسيره، إذ يقول " أنزلنا برحمتنا، وعظمتنا ماء طاهرًا في نفسه مطهرًا لغيره "[٤]، والعلم الحديث بيّن كيف أن الماء طاهرٌ ومطهرٌ لغيره، وأن ماء المطر عند بدء تكوينه يكون في أعلى درجات النقاء وعلى الرغم من حمله بعد ذلك ما في الجوِّ من أجسام، وذرات فإنه يكون بأعلى درجات الطّهارة، وقد لاحظ العلماء أن الجو يصبح صافيًا بعد نزول المطر ، واكتشفوا أنّ بخار الماء المتصاعد من الأرض وكذلك الرياح التي تحمله إلى طبقات الجو العليا تحمل كثيرًا من الأحياء المجهرية الصغيرة ولكن الشمس – وخاصة الأشعة الفوق البنفسجية وما تحت الحمراء، والأوزون وهو غاز مطهر قاتل للجراثيم عدا أنّه يمتص بعض الأشعة ما فوق البنفسجية المضرة بالأحياء الأرضية، والبرق ومركبات كيمائية أخرى موجودة في الغلاف الجوي – هي التي تجعل الماء طهورًا بقتلها الجراثيم والأحياء المجهرية التي تحملها الغيوم والرياح [٥]، وهنا جعل الله الله (عز وجل) بالماءِ الحياةَ للإنسان ولجميع المخلوقات.

ـ ذكر الفعل (يَعْرُجُ) دون (يَصْعَدُ)

يمتاز الفعل (يَعْرُجُ) بخصوصية دلالية تمكّنهُ من الاستعمال في معنى الصّعود إلى السماء الذي امتاز بها دون غيره من الأفعال، فجاء بصيغة المضارع مسندًا لضمير المفرد المذكر (هو) وورد في معناه لغةً: "

(١) يُنْظَر :جامع البيان: ١٧/ ٤٦٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٦ / ١٣٦٠.

(٣) تفسير الشعراوي : ١٠٤٦٥.

(٤) التفسير الوسيط : ١٥٢٤.

(٥) يُنْظَر: الماء في القرآن الكريم ، غالب محمد رجا الزعارير، إشراف: محمد آدم محمد صدّيق، المدينة المنورة_ المملكة العربية السعودية، دار الزمان للنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م : ٣١ .

عَرِجَ الأعرجُ يَعْرَجُ عَرَجًا. والأنثى عَرْجاءُ. وأعْرَجَ الله الأَعْرَجَ فعَرِجَ هو... وعَرَجَ يعرُجُ عُروجًا، أي صَعِد. والمَعْرَجُ: المَصْعَد. والمَعْرَجُ: الطريقُ الذي تصعَدُ فيه الملائكة. والمِعْراجُ شبهُ سُلّم أو درجة تَعْرُجُ الأرواحُ فيه إذا قُبِضَتْ" [1]، وورد ذكره في سورة السجدة في قوله تعالى:**﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأرض ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]**

فُسِّرَ الفعل (يعرج) بمعنى (الصعود) مثلما ورد في تفسير الكشف والبيان [2]، ومما يؤيد ذلك الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) بقوله: "فهو لمّا بيّن السماء الدنيا والأرض في الصعود والنزول الف سنة: خمسمائة صعودًا وخمسمائة نزولا "[3]، وقد ذكر قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ : أي يصعد، وهو خبر ذلك [4].

ويلاحظ تفسيرها عند المحدثين بمعنى (الارتقاء) و(الصعود) مع الانحناء فقيل "ومن يعتبر أحد الأمرين يعتبر هنا محدب السماء الدنيا والأرض... ، وقيل الكلام بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على سبيل التمثيل، والتخييل. والمراد أنّها في غاية البعد والارتفاع المعنويّ على بعض الأوجه في المعارج أو الحسي كما في بعض آخر" [5].

وأورد السيد الطباطبائي ما نصّه :" اشعار بأنّ المراد بالسّماء مقام القرب الذي تنتهي إليه أزمة الأمور دون السماء بمعنى جهة العلو أو ناحية من نواحي العالم الجسماني فإنّ الأمر قد وصف قبل العروج بالنّزول ، فظاهر العروج أنّه صعود من الطّريق التي نزل منها ، ولم يذكر هناك إلا علو هو السماء ، وسفل هو الأرض ونزول، وعروج، فالنزول من السماء، والعروج إلى الله يشعر بأنّ السماء هي مقام الحضور الذي يصدر منه تدبير الأمر أو أن موطن تدبير الأمة الأرضي هو السماء "[6].

وجاء الفعل (يعرج) عند السيد كمال الحيدري بالحركة المعنوية، فأشار بقوله: " فالعالم الربوبي هو مبدأ الوجود لهذا العالم وهو غايته، فهو واقع في أوّل العلل الفاعليّة على مستوى قوس النزول، كما أنّه واقع في آخر العلل الغائيّة على مستوى قوس الصعود .

---

(١) كتاب العين: ٣/١٢٤ـ ١٢٥.

(٢) يُنْظَر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن :٧/ ٣٢٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن:١٠/ ١١٥.

(٤) يُنْظَر: البحر المحيط : ٨/٤٣٠.

(٥) روح المعاني: ١٥/ ٦٥.

(٦) الميزان: ١٦/ ٢٤٧ـ ٢٤٨

ثمّ إنّ هذه الحركة التكامليّة باتّجاه المبدء، إنّما تكون حركة إراديّة واختياريّة تترتّب عليها المسؤوليّة ، والثواب، والعقاب، ومن هنا ينقسم قوس الصعود إلى درجات الجنّة، ودركات الجحيم، ومن هذا القوس الصعودي تبدأ الأسفار العمليّة الأربعة عند العرفاء، وهي أسفار معنوية في الدرجات الطوليّة للوجود غايتها الوصول والانتهاء إلى المبدأ الحقّ سبحانه وتعالى" [١].

ونستنتج من تفسيرها عند القدماء بمعنى الصعود فقط، أما المحدثون فوجدوا أن العروج كالصعود، والارتقاء.

وهذا يتبين أن الألفاظ المترادفة من الصعب أن تتواجد في القران الكريم ربما توجد في التفاسير القديمة لكن بتوظيف العلم الحديث، والنظر بالأجهزة المكبرة، والقوانين العلمية يتبين لنا أن الحركة في الكون لا تكون صعودًا فقط حسب، بل تكون صعودًا مع الانحناء بالحركة، ويذكر الدكتور سامي حركة في السماء بقوله " إنّ القرآن لازَم مرات كثيره جذر (عرج) للدلالة على الصعود في السماء ، فكان وصفه مفهومًا للعربي قديمًا على معنى الصّعود ، وللمعاصر على أنّه الصّعود مع الانحناء وأن استخدام معراج ومعارج عند الحديث عن الحركة في السماء حصرًا لم يكن اعتباطًا، بل لأنّ الحركة الكونيّة هي حركة في الزمكان المحدب بوجود قوى الجاذبية الكونية لمختلف الأجرام؛ لذا فإن جميع الحركات في السماء تكون منعطفة ولا توجد الاشارات الكهرومغناطيسية الواصلة إلينا من آفاق الكون البعيدة تتخذ مسارات منعرجة يمنة ويسرة بحسب تحدب المكان في الفضاء الكوني. هذه المسارات تسمى الخطوط الجيودسية... والأصح تسميتها (المعارج) هكذا بكلمة عربية فصيحة وقرآنية تعبر عن الخطوط الجيودسية... فنقول معراج ومعارج... ونفهم معناها الدقيق ونفهم التنزيل الحكيم "[٢]، ومن هنا تؤيد الباحثة أن تأخذ الألفاظ القرآنية مكانها لتكون مصطلحات علمية وعالمية كونها الأنسب في الدلالة على كثير من الظواهر العلمية.

([١]) الفلسفة، السيد كمال بن حسن الحيدري، مؤسسة الإمام الجواد (ع) للفكر والثقافة، قم_ إيران، (د. ط)، (د. ت) :١/ ١٤٨.

([٢]) العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل: ٢٣١.

ـ ذكر (عَمِيقٍ) دون (بعيد)

أصل (عميق) من "عمُقَ يعمُق، عُمقًا وعَماقة، فهو عميق ... صفة مشبهة تدلّ على الثبوت من عمُق ... شعور عميق في الأعماق ، يصعب الوصول إليه (سرّ عميق) طويل بعيد المسافة " [١] ، وورد في قوله تعالى: **﴿ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]**

لم يتمكن المفسرون من معرفة دلالة (عميق) في هذه الآية فقيل إنّها " من بلدان شتّى، من كلّ طريق بعيد ، يقال عميقة إذا كانت بعيدة القرار . وإنّما قال (يَأْتِينَ) ؛ لأنّه في معنى الجمع، وقيل : معناه : وعلى ناقة ضامرة " [٢]، وأكّد الشّيخ الطّوسيّ(ت٤٦٠هـ) أنّه الطّريق البعيد [٣]، ومثله عند صاحب الدر المنثور [٤] .

ونجد الأمر مغايرًا عند المحدثين؛ إذ " أمر اللَّه خليله أنْ يدعو النّاس إلى حجّ المسجد الحرام بعد أنْ يقيم قواعده، ويتم بناءه، ووعده أنْ يستجيب النّاس إلى دعوته . ويأتوه مشاة وركبانًا على ضوامر من الخيل والإبل من كلّ طريق بعيد، وبالأولى من الطّريق القريب [٥].

ويرى بعضهم أن العمق مأخوذ من عمق البعد، فذكر الطنطاوي " على ضوامر من كل طريق بعيد ... ، والفج في الأصل : الفجوة بين جبلين ، ويستعمل في الطّريق المتّسع . والمراد به هنا : مطلق الطّريق وجمعه فجاج . والعميق : البعيد، مأخوذ من العمق بمعنى البعد، ومنه قولهم : بئر عميقة، أي : بعيدة الغور " [٦]

ووضحت هذه الآية حقيقة أخرى وهي كروية الأرض ، وهذا ما أشار إليه الدكتور مروان وحيد بقوله: " إنّ كلمة (عميق) هذه تشهد بعظمة القرآن الكريم ، وهي من الإعجاز العلميّ فيه ، فلو كانت الأرض

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة:٢/ ١٥٥٣ـ١٥٥٤.
(٢) التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم):٤/ ٣٣٥.
(٣) يُنْظَر: التبيان في تفسير القرآني:٧/ ٣١٠.
(٤) يُنْظَر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور:٤/ ٣٥٥.
(٥) التفسير الكاشف: ٥/ ٣٢٣.
(٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم:٩/ ٣٠٢.

مستوية مسطحة لقال القرآن : (يأتين من كل فجّ بعيد) تفيد المسافة بين شيئين على مستوى واحد ... ، ولكن الأرض كرويّة ، فالقادمون إلى مكة المكرمة يأتون من بقاع عميقة بالنسبة لها، وذلك بحسب انحناء الأرض الكروي لذا جاءت مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ... لكن كروية الأرض لم تثبت بالشكل العلمي القاطع إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادي ... فقد أصبحت كرويتها أكيدة ولا مجال للشك فيها، إذ يكفي أن رواد الفضاء رأوها بأم أعينهم وزودونا بالصّور والمعلومات الثابتة عن هذه الناحية" [١]، فكلمة (عمق) في هذه الآية دلّت على العمق الناتج من غور العمق لكروية الأرض ، فلو كانت (بعيدًا) لأثبت بأنّ الأرض مسطحة ، وربما يدلُّ العمق على أنّ مكة هي في أرض مرتفعة فيكون ما حولها منخفضًا أي ذا عمق ولذا قيل عميق .

ـ الْأَيَامَى

جمع كلمة (أيم) وتعني: الأبيض اللطيف، والامرأة التي كانت لها زوج فمات ، وهي تصلح للزواج مرة أخرى لأنّ فيها سؤرة من شبابٍ [٢]، وورد ذكرها في قوله تعالى: **﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم﴾ [النور: ٣٢]**

لقد فسر القدماء منهم الطبري (ت٣١٠هـ) معنى كلمة (الأيامى) بنكاح رجالكم الأيامى من نسائكم أو نسائكم الأيامى من رجالكم، وأنكحوا الصالحين من عبادكم إماءكم الصالحات أو العكس لأنّ الأيامى تشمل على الرجال والنساء (والصالحين من عبادكم وإمائكم) إي زوجوا المستورين من عبيدكم، وولائدكم والفقراء ما لا يجد النفقة ولا سعة لهم للتزوج وأمرهم الله على الصبر حتى يأتيهم من رزقه[٣] ، وذكر ابن العربي (ت٥٤٣هـ) أنّ الأيم : هي المرأة التي توفي زوجها [٤].

---

(١) الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث: ٢٥٣ـ٢٥٤.

(٢) يُنْظَر: كتاب العين: ١٠١/١.

(٣) يُنْظَر :مجمع البيان : ١٧٨/٧ـ ١٧٩.

(٤) يُنْظَر: أحكام القرآن ، ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي(ت٥٤٣هـ) ، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر الفكر العربي، (د. ط) ، (د. ت): ٣٩٠/٣.

وقيل :" الأيامى منكم " أي :الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء واحدهم أيم... ، اتفق أهل اللغة على أن الايم في الأصل: هي المرأة التي لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيبًا... وقيل: الحرائر، والأحرار .

والمعنى للآية هو الرغبة من تزويج الإماء والعبيد إذا كانوا صالحين ولكن الحكم فيه دون استحباب أو ترغيب [١] .

وجاء معناها في تفسير الطباطبائي بأنّه التّزويج والأيامى تشمل الذّكر الذي لا أنثى معه، والعكس والمراد الصالحون للتزويج لا يراد به الصالحون في الأعمال، وبعدها وعدهم الله سبحانه وتعالى بالغنى وسعة الرزق[٢] ، وأيده ما جاء في تفسير الجلالين " وهي من ليس لها زوج بكرًا كانت أو ثيبًا ، ومن ليس له زوج. وهذا في الأحرار والحرائر "[٣].

ويظهر مما سبق أن المفسرين لم يفرقوا فيما إذا كانت المرأة بكرًا أو ثيبًا ، وركزوا في (الأيامى) على صلاح الباطن، وحسن السلوك، ولكن المحدثين وسعوا الدّلالة، وجعلوا الصّلاح مثلما هو في الأفعال والسّلوك جعلوه كذلك في الأبدان، يذكر الدكتور صادق عبد الرضا أنّ الزواج، والرّضاعة، وتربية الأطفال يتطلب في الإنسان التفكير السّليم، والحكيم، والاحتياطات اللازمة قبل الإقبال على الزّواج لإنجاب أطفال سليمين من الأمراض، والعاهات الجسمية.

وقد أثبت أطباء علم النفس أنّ الأطفال الذين يصابون بتلك الأمراض؛ بسبب أنّ لها نسبة مما يرثونه من والديهم، وهي خاضعة لقانون الوراثة والتّربية والجنين يتأثر بتلك الموروثات في بطن أمه في أثناء مدة حملها ، والأمر يشمل سائر حياته حتى إلى مرحلة الكهولة ؛ لذا لا بد من الحصول على أطفال سالمة من الناحية الجسدية والروحية وعدم الزواج من النساء البذيئات وسيئات الخلق [١]، والأمر يصدق مع الاقتران بالرجال لأجل إنتاج مجتمع سليم .

---

(١) يُنْظَر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥ /٢٢١ـ ٢٣١.

(٢) يُنْظَر : الميزان: ١ /١١٢ـ ١١٣ .

(٣) تفسير الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي(ت٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ) ، دار الحديث _ القاهرة، ط١ ،(د. ت) : ١٨/ ٣٥٤ .

القسم الثّاني

أثر العلم الحديث في توضيح التّرادف

إن من أهم القضايا التي شغلت العلماء على مرّ الزّمان هي قضية الإعجاز القرآني ، فالقرآن ليس كغيره من الكتب السماوية التي أنزلت من قبل ، ويتميز إلى جانب هداية الناس بأنّه حجّة الرّسالة ومعجزة الرّسول ويظل إعجازه يتحدى كل معطيات الفكر، مهما اتّسعت آفاقه استطال مرقاه.

ومع اختلاف كثرة جوانب الإعجاز فيه يبرز الإعجاز اللغوي بوصفه نوعًا مميزًا من مقدمة هذه الجوانب واولاها في الاهتمام وأنّ القرآن يتحدّى العرب بلغتهم ؛ لأنّهم لم يكونوا أهل علوم ودعاة فكر وتجريب ، وانما الكلام سيد عملهم واللغة موضوع فخرهم واهتمامهم .

وإن قارئ القرآن المتدبر فيه يلمس جوانب متعددة من الإعجاز ، فيكون في موقع الكلمة من السّياق وهيئتها من الاشتقاق وبنائها من التّصريف وحركتها في الاعراب وجرسها في الصّوت ووحيها في البيان.

وإن إعجازه بإحكام واتقان ، فيجعل التضادّ توافقًا والتباين تجانسًا والتنافر تجاذبًا والترادف آحادًا والتكرار أصالة والحذف ذكرًا وابانة[٢].

الترادف لغةً:

الترادف من ردف، ويذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أن " الراء والدال والفاء أصلٌ واحد مطرد يدلّ على إتباع الشيء . فالترادف : التّتابع والرّديف : الذي يرادفك، وسمّيت العجيزة ردفًا لك . يقال : نزل بهم أمر فردف لهم أعظم منه، أي تبع الأول ما كان أعظم منه"[١].

---

(١) يُنْظَر : نهج البلاغة والطب الحديث : ١٧١ـ ١٧٢.

(٢) يُنْظَر: أسرار الترادف في القرآن الكريم، علي اليمني دردير، دار ابن حنظل، (د. ط)،١٤٠٥هـ_ ١٩٨٥م : ٣ـ ٦.

الترادف اصطلاحًا:

أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) بكتابه الى الترادف ، فقال : " اعلم من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة، ووجَدت إذا أردت وجِدان الضّالَّة. وأشباه هذا كثيرٌ " [٢].

أي ورود لفظين أو أكثر مختلفين في الاشتقاق، متفقين في المعنى، بحيث يدلّان عليه دلالة حقيقيّة، من دون فروق بينهما، ثم وضعَ البلاغيّون المعاصرون شروطًا لزم تحققها بين الألفاظ حتى يُقال بالتّرادف بينها، وأهمّ الشّروط التي وضعها البلاغيّون للتّرادف: الاتّحاد التّام بين اللفظتين في المفهوم والمعنى . الاتّحاد التام بين اللفظتين في البيئة اللغويّة، بأنْ يقال بالتّرادف بين اللفظتين في زمن معيّن، وأنْ لا تكون إحدى اللفظتين نتيجة تطور صوتيّ للفظ آخر، فإنْ كانا كذلك كانا لفظًا واحدًا، وليس لفظين مترادفين ، مثل: صعق وصقع.

ويعد التّرادف حشدًا لغويًّا تترادف فيه الألفاظ وتتوالى على المعنى الواحد ، ويعدّ التّرادف ظاهرة من الظواهر اللغوية تشترك فيها جميع اللغات الحيّة ؛ لكن اللغة العربية يكاد بكون الترادف خصيصة من خصائصها وميزة تنفرد بها عن سائر اللغات .

والقارئ للقرآن الكريم يظنّ أنّ المترادفات : هي ضرب من التفنن في العبارات وتنويع في الألفاظ ، والمفسرين يذهبون به إلى الإعجاز والتّحدّي ؛ لأنّه يقدم قصة بعدة عبارات والألفاظ مع ذلك لا يعد هذا الرأي كافيًا لبيان اسرار المخالفة في الفاظ القرآن، فالأمر ليس هكذا ؛ لأن الترادف يحث على التدبر ، بل يمكن عده مسرحًا للتأمل ودعوة لاكتشاف أسرار أعجازه [٣].

الترادف ما بين الاثبات والانكار:

اختلفت اراء العلماء والدارسين في تحديد ظاهرة الترادف بين الإثبات والإنكار:

---

(١) مقاييس اللغة :٢/ ٥٠٣.

(٢) الكتاب: ١/ ٧-٨.

(٣) يُنْظَر: أسرار الترادف في القرآن الكريم : ١١_١٨.

أولا:-المثبتون للترادف : ومن الذين قالوا بالترادف : ابو الحسن الرماني (ت٣٨٤هـ)، والراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، والذين أثبتوا وجوده في القرآن هم: الزركشي (ت٧٩٤هـ) والدكتور ابراهيم أنيس [١].

ثانيا:- المنكرون للترادف

بين المبرد(ت٢٨٦هـ) انكاره للترادف[٢]، ومن الذين رفضوه كذلك ابن الجني (ت٣٩٢هـ)، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) صاحب كتاب (الفروق اللغوية)[٣].

وسيكون طريقنا في هذه الدراسة أن نعرض طائفة من الشواهد التي نتأمل وجود موضع الترادف فيها وذلك يجعلنا أن ما يأتي به مطلقًا ليس على أساس التلوين او التنويع والزخارف الشكلية وإنما نرجع الى مقاصد وأسرار لعدة معانٍ بيانية لتحدي العرب فيها وأن هنالك أمثلة كثيرة لا بد من الوقوف عليها اكتشف أسرار الاحكام المعجز، ومنه على سبيل المثال:

_ هَامِدَةً، خَاشِعَةً

وردت هاتان اللفظتان في مواضع مختلفة في القرآن الكريم ، وأصل (هامدة) في اللغة من همد " الهُمُودُ: المَوْتُ. كما هَمَدتْ ثَمُود. ورمادٌ هامدٌ، إذا تَغَيَّر وتَلَبَّد. وثَمَرَةٌ هامدةٌ، إذا اسْوَدَّت وعَفِنتْ. وأرضٌ هامدةٌ: مُقْشَعِرَّةٌ لا نبات فيها إلاّ يَبيسٌ مُتَحَطّم.

والهامدُ من الشَّجَر: اليابسُ، ويُقال للهامِد: هَمِيد. والإهْمادُ: السُّرعة. والإهْمادُ: الإقامةُ بالمكان" [٤]

أما خاشعة فهي من: خشع والخُشُوعُ بمعنى "الخُضُوعُ وبابُهُما واحدٌ يقال (خَشَع) و (اختَشَعَ) و(خَشَعَ) ببَصَرِهِ أي غَضَّه" [١] وقيل أيضًا :" الخشُوعُ المَعْنَى من الخضوع إلاَّ أنَّ الخُضُوعَ في البدن وهو الإقرار

---

(١) يُنْظَر: الترادف في القرآن الكريم دراسة تطبيقية على الربع الأخير من الذكر الحكيم ، (رسالة ماجستير)، سميرة علي أحمد شهوب ، إشراف: محمد منصف القماطي، جامعة طرابلس _ كلية الآداب، ١٤٣٣هـ _ ٢٠١٢م : ٢٥-٥٣، و يُنْظَر: دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م

(٢) يُنْظَر: المزهر:١ /٤٠٠.

(٣) يُنْظَر: ظاهرة الترادف في اللغة العربية بين الاصطلاح اللفظ ووظيفة المفهوم ، د. أحمد مطهري، جامعة وهران ، أحمد بن بله(الجزائر)، جسور المعرفة، العدد العاشر ، ٢٠١٧م:٨٩.

(٤) كتاب العين :٣٢١/٤.

بالاستخدام، والخشوع في البدن، والصوت، والبصر "[٢]، وورد ذكرهما في قوله تعالى:**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأرض هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج :٥]**

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأرض خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩]

أشار الطبري (ت٣١٠هـ) إلى أن المراد بـ (هامدة) أنّها تكون يابسة ولا نبات فيها [٣]، وكذا عند القمي (ت٣٢٩هـ) كلمة هامدة تعني " يابسة " [٤]، ووافق هذه الرؤية ابن كثير (ت٧٧٤هـ) فذكر: إذا انزل الله عليها المطر، تحركت، وأحييت بعد موتها، وأنبتت [٥]، أي إنّ الأرض كانت ميتة والماء الذي أحياها، هذا أبرز ما ذكره القدماء .

واستند المفسرون المحدثون إلى معطيات العلم الحديث؛ ليبينوا حقيقة علمية لم يذكرها القدماء في بيان معنى (هامدة) وكيف أحييت الأرض، وفي كتاب فتح القدير ذُكِرَ أن " ﴿وَتَرَى الأرض هَامِدَةً ﴾ هذه حجة أخرى على البعث ، فإنه سبحانه احتج بإحياء الأرض بإنزال الماء على إحياء الأموات، والهامدة اليابسة التي لا تنبت شيئًا " [٦]، وهذا القول هو إشارة إلى أنّ القصد بالأرض الهامدة في إحياء الموتى في يوم البعث.

---

(١) مختار الصحاح:٧٤

(٢) كتاب العين :١/ ٤١٠.

(٣) يُنْظَر: جامع البيان :١٧/ ١٥٦ـ ١٥٧.

(٤) تفسير القمي : ٢ / ٦٧١.

(٥) يُنْظَر: تفسير القرآن العظيم : ٥ / ١٢٦٣.

(٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) تح : يوسف الغوش، دار المعرفة ، بيروت _ لبنان، ط٤ ، ١٤٣٨هـ _ ٢٠٠٧م: ٣/ ٤٣٧.

وبناء على تلك المعطيات ذهب الألوسي إلى وصف الأرض يوم البعث تكون ميتة، ويابسة خالية من النبات فقال " هامِدَةً حجة أخرى على صحّة البعث معطوفة على (إنا خَلَقْناكُمْ) ... وهامِدَةً حال من الأرض أي ميتة يابسة ، يقال : همدت الأرض إذا يبست ودرست وهمد الثّوب إذا بلي" [١].

وعلى النقيض من ذلك حمّل صاحب تفسير الميزان معنى موتها ويباسها للنّبات وليس الأرض ، فقال " إنّ الأرض ليست ميتة بل النّبات، حيث إن حركة الأرض هي من أنبتت النبات وأعطته الحياة " [٢]، والعلم الحديث وضّح عملية اهتزاز التربة مما ادت إلى انباتها، وذكر الدكتور عبد الرزاق نوفل " الاهتزاز هو الحركة و(ربَت) أي زادت بالحجم، وقد فسّرت هذه الحقائق ما يشاهد في بعض المباني الحديثة من انهيارات أو شروخ بعد سقوط الأمطار أو ابتلال البناء بالماء" [٣] .

إن هذا الاكتشاف أعطى أهمية كبيرة لدخول عالم النبات وأسراره مما مهد الطريق للحياة على الأرض بعد موتها.

أما لفظة خاشعة فيفسرها القمي (ت٣٢٩هـ) بأنّها مرادفة لكلمة هامدة فذكر " أي ساكنة هامدة" [٤] وفي ضوء ذلك ما جاء عند الثعلبي (ت٤٢٧هـ) فقال " خاشعة يابسة دارسة لا نبات فيها" [٥]، ونرى التفسير نفسه عند الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) [٦] .

ولا يفوتنا أن ننوه ما جاء به المفسرون المحدثون إذ أشار الشوكاني إلى أنّها " اليابسة الجدبة . وقيل الغبراء التي لا تنبت" [٧]، وقال الألوسي بأنّها لفظة مستعارة من الخشوع ، فيراها أنّها " اليابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل" [٨].

---

(١) روح المعاني : ٩/ ١١٤.
(٢) الميزان : ١٧ / ٣٥٤.
(٣)القرآن والعلم الحديث : ٩٠

(٤) تفسير القمي: ٢/ ٢٢٦.
(٥) الكشف والبيان :٨/ ٢٩٧.
(٦) يُنْظَر : التبيان في تفسير القرآن.
(٧) فتح القدير: ٥٨١/٤.
(٨) روح المعاني :٣٧٨/١٢.

ونستنتج من ذلك " أنّ لفظة (هامدة) و(خاشعة) لفظان يتقاربان في معناهما ويشتركان في إفادة معنى السّكون ولكن السكون فيهما يختلف في دلالته ومظهره .

فالسكون في (هامدة) سكون موت وتوقف حياة يقال أرض هامدة، أي يبس نباتها وتحطم، وهمد القوم: أي ماتوا ... ويقال همدت النار ، أي انطفأت شعلتها وماتت جمرتها.

أما السكون في (خاشعة) فسكونها انكسار وخضوع، ومظهر طاعة وانقياد ، ويقال خشعت الدابّة أي ممكن نفارها " [١]، وأثبت العلم أنّهما قد يشتركان في معنى معين لكن لا ترادف بينهما، مثلما يظهر في تفاسير القدماء .

ـ ضِياءً ونُور

لو نظرنا إلى بعض المعاجم العربية نجد أنّها لم تفرق بين الضّوء والنّور، إذ قد يردان بالمعنى نفسه فكثيرًا ما جاء الأمر بترادفهما ، فذكر الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) أن الضياء هو " مَا انْتَشَرَ مِنَ الأَجْسَامِ النّيِّرَةِ ، وَيُقَالُ: ضَاءَتِ النارُ، وأَضاءَت "[٢]، وذكرت دلالة النور واشتراكهما في المعنى فقال: " النُّور: الضيّاء... واستنار، أي أضاء "[٣] ويظهر كيف أن الإضاءة فسرت بالنور في اكثر من موضع، وورد ذكرهما في قوله تعالى : **﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥]**

لقد فسّر القدماء في هذه الآية ضياء الشمس بالنهار ونور القمر في الليل [٤]، وذكر السمرقندي(ت٣٧٥هـ) " وهذه الآية تقتضي أن (الضياء) أعظم من (النور) وأبهى بحسب الشمس والقمر" [٥].

وفسرها الطبرسي (ت٥٤٨هـ) على أنْ الضياء أبلغ من النور مثلما جاء في تفسيره " والضياء أبلغ في كشف الظلمات من النور وفيه صفة زائدة على النور " [٦].

---

(١) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٧٥

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٥١٤

(٣) كتاب العين:٢٧٦/٤، و يُنْظَر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ٢٣٠٢.

(٤) يُنْظَر: جامع البيان: ١٨/١٢.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ١٠٥.

(٦) مجمع البيان: ١٢/٥.

نلاحظ أن بعض القدماء قالوا بأن الضوء هو : الإنارة القوية ؛ لكن لم تكن لديهم المعلومات الكاملة؛ ليفرقوا بين الأشعة التي تصدر من الشمس والاشعة المكتسبة أو المنعكسة منها وفي الحقيقة يختلف بعضها اختلافًا تامًّا عن بعضها الآخر.

ولتوضيح ذلك نشير إلى ما جاء به المحدثون فوضّح دلالة كل منهما المراغي فـ " الضوء والنور: بمعنى واحد لغة، والضوء أقوى من النور استعمالًا بدليل هذه الآية، وقيل الضوء لما كان من ذاته كالشمس والنار والنور لما كان مكتسبًا من غيره " [١].

ويعلل الألوسي ما نتج من تداخل في المعاني بينهما ، فقال: " وذهب بعض الناس إلى أنّ الضّياء أقوى من النّور ... وعلى هذا يكون التعبير ب(ذهب اللّه بنورهم) دون (ذهب اللّه بضوئهم) دفعًا لاحتمال إذهاب ما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورًا مع أن الغرض إزالة النور رأسًا، وذكر بعضهم أن كلا من الضوء والنور يطلق على ما يطلق عليه الآخر فهما كالمترادفين والفرق إنما نشأ من الاستعمال أو الاصطلاح لا من أصل الوضع واللغة ، ومن هنا قال الحكماء : إن الضوء ما يكون للشيء من ذاته ، والنور ما يكون من غيره ، واستعمل الضوء لما فيه حرارة حقيقة كالذي في الشمس ، أو مجازا كالذي ذكر فيما أوتيه موسى (عليه السلام) مما فيه شدة ومزيد كلفة "[٢]، أي: إنهما اكتسبا الترادف عند بعض المفسرين من كثرة الاستعمالات التي يستعمل بعضها للآخر.

والدراسات الحديثة فرّقت بينهما بصورة جلية " والفرق بين الضياء والنور يكشف عنه العلم الحديث بأن الشمس نجم تنبعث منه حرارة وضوء كما هو شأن سائر النجوم التي تتكون من أجرام ملتهبة ومضيئة ذاتيًّا. أما القمر فهو جرم بارد يستمد الضوء من الشمس ويعكسه إلى أبصارنا تمامًا كما تفعل المرآة" [٣] ويذكر الدكتور علي اليمني أن النور ضد الظلام ولفظه يفيد الوضوح والظهور أما الضوء فشدة النور وتوهجه وبعد ذلك عُرِفَ بأنه فرط الإنارة وهو أخص من النور فقد يطلق النور على القليل والكثير ولا يطلق الضوء إلا على القوي الشديد التوهج والضوء تابع للنور أي: لا يوجد إلا بوجوده[٤]

---

(١) تفسير المراغي: ١١/٦٦-٦٧.

(٢) روح المعاني :١/ ١٦٨.

(٣) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم: ٢٤٥.

(٤) يُنْظَر: من الإعجاز اللغوي،: ١٣٢.

إن العلم الحديث برهن أن الضياء لا يمكن أن يكون مرادفًا للنور وأثبت حقيقة مهمة وهي أن الضوء ناتج من الشمس والنور مستمد منه في القمر .

القسم الثّالث

أثر العلم الحديث في توضيح التضاد

يُعدّ التضاد من الظواهر اللغوية التي شغلت اللغويين، وقد عرفت بعنوان (الاضداد) ومن هذا المنطلق نعرض ما تناولته المعاجم اللغوية

الاضداد لغةً:

الاضداد جمع (ضِدّ) ، والضد عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) " الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس.

فالأولى: الضِّدّ ضِدّ الشيء. والمتضادّان: الشَّيئان لا يجوز اجتماعهما في وقتٍ واحد، كالليل والنَّهار.

والكلمة الأخرى الضِّدُّ، وهو المَلْء ، بفتح الضاد، يقال ضَدَّ القِربةَ: ملأها، ضدًّا" [١] ، وقال ابن منظور (ت٧١١هـ) " أضددت فلانًا ضدًّا أي غلبته، ويقال لقي القوم أضدادهم وانادهم أي أقرانهم ... ابن الأعرابي : ند الشيء مثله، وضده خلافه . ويقال لا ضدّ له أي لا نضير له ولا كفء له" [٢]، والذي يهمنا في دراستنا هذه هو المعنى الأوّل من التعريف ونستنتج من هذه الآراء أنّ التّضاد بمعنى التباين والمخالفة.

والاضداد اصطلاحًا:

لم يضع علماء اللغة تعريفًا موحدًا لظاهرة الاضداد في اللغة ، بل تناول كل منهما تعريفًا خاصًّا به وسنوضح ذلك باختصار فيما يلي ؛ إذ قال ابن الأنباري (ت٣٢٧هـ) " أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى فيكون اللفظ الواحد على معنيين متضادين"[٣]

وعرفه الراغب (ت٥٠٢هـ): "الضِّدَّان الشيئان اللّذان تحْتَ جِنْسٍ احَدٍ ويُنَافِى كُلُّ واحِدٍ منهُمَا الآخرَ في أوصَافِهِ الْخاصَّةِ، وبَيْنَهُمَا أبْعَدُ البُعْدِ كالسَّواد والبَيَاضِ، والشّرِّ والخَيرِ، وما لم يكُونا تَحْتَ جِنْسٍ واحِدٍ لا

---

(١) مقاييس اللغة: ٣/ ٣٦٠.

(٢) لسان العرب : ٢٦٤.

(٣) كتاب الاضداد ، محمد بن القاسم (ابن بشار الأنباري)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا _ بيروت،(د. ط) ،١٤٠٧هـ _١٩٨٧م :٨.

يُقالُ لهما: ضِدَّانِ" [١]، واستعمل القدماء مسميات للتضاد في البلاغة من مثل المطابقة ومشتقاتها والمقابلة ومشتقاتها ، وقالوا: والضد هو احد المتقابلين، وهما الشيئان المختلفان للذَّاتِ، لا يجْتَمِعانِ في شيءٍ واحِدٍ وفي وقْتٍ واحِدٍ ، وذلك أَرْبعَةُ أشْيَاء: الضِّدّانِ كالبَياضِ والسّوَاد، والمتضايفان: كالضِّعْفِ وَالنِّصْفِ، والوُجُودِ وَالعَدَم: كالبصر والعمى والمتقابلان إيجابًا وسلبًا في الأخبار ، نحو كُلُّ إنسَان ههُنَا، وليس كُلُّ إنسَانٍ ههُنَا ، الضدان هما الشيئَانِ المُتَنَافِيانِ عَلَى جِنْسٍ وَاحِدٍ [٢].

وذكر الصّاغاني (ت٦٥٠هـ) في كتابه الأضداد : " يعدّ التّضاد جنسًا من أجناس الكلام عند العرب يقصد به أنْ تؤدي اللفظة الواحدة معنيين مختلفين متضادين ، تنبئ كلٌّ عن المعنى الذي تحتها وتدلّ عليه وتوضح تأويله" [٣]، وأشار الدكتور أحمد مختار الى أنّ التّضاد هو " اللفظ المستعمل في معنين متضادين"[٤] .

وأطلق التّضاد على كل دلالة الكلمات التي لكل منهما معنيان متضادان نحو كلمة (المولى) التي تدل على المولى والسيد ، ونحو كلمة (حميم) التي تدلّ على البارد والحار[٥].

ويتبين لنا مما سبق أنّ الأضداد تكون بالمعنى وضدّه في الكلمة الواحدة كالجون الذي يدلُّ على البياض والسّواد والصّريم الذي يدلّ على تصرّم الليل والنّهار ، ويقسم التضاد على: التضاد اللغوي والتضاد البلاغيّ :

١ _ التضاد اللغوي:

هو لفظة مشتملة على فكرة دالّة على معنيين متضادين[١]، هل وستعرض الباحثة في هذا الميدان طائفة من الشواهد القرآنية منها:

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ١/ ٣٨٢

(٢) يُنْظَر: المفردات في غريب القرآن :٥٠٣.

(٣) الأضداد، رضي الدين أبى الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن، الصاغاني(ت٦٥٠هـ)، تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ،(د. ط)، ١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م : ٤٦.

(٤) علم الدلالة : ١٩١.

(٥) يُنْظَر: المعجم المفصل في الاضداد، انطونيوس بطرس ، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م :٨.

ـ دَافِقٍ

وردت كلمة (دافق) بمعنى: دفع الشيء قُدُمًا. من ذلك: دفق الماء دفقة واحدة أي مرّة واحدة[٢]، ومَاءٌ (دافق) أي مَدْفُوقٌ كَسِرٍّ كَاتِمٍ أي مَكْتُومٍ ، وهو الانِصبابُ والتَّصَبُّبُ [٣]، وجاء في قوله تعالى: ﴿ **فَلْ يُنْظَرِ الْإنسان مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥ـ ٦]**

وجاء معناها عند القدماء " من ماء (مدفوق) وهو ممّا أخرجته العرب بلفظ (فاعل) ، وهو بمعنى مفعول " [٤]، وأهل الحجاز وضعوا المفعول فاعلًا ونسبوه إلى الاندفاق [٥]، وقيل: إنها النطفة التي تخرج بقوة [٦].

ومما ذكر الطباطبائي أنّ الدّفق هو تصيب الماء وسيلانه بدفع وسرعة والماء (الدافق) هو المنيّ والجملة جواب عن استفهام مسبق مقدر يهدي إليه في قوله (ممَّ خلق) [٧] ، وهكذا سار أغلب المفسرين على ذلك ، فأشار معظمهم إلى ماء الرجل بسبب عودة الضمير عليه في الفعل (يخرج)[٨].

والعلم وضّحَ أن كلا من المائين يخرج من مصدره متدفقًا وأنّ كليهما يخرج غدتيه [٩]، وممن فسّر الآية تفسيرًا علميًّا ، ليتبين أن (دافق) باق على معنى الفاعلية ، فهو اسم فاعل ولكن ليس على سبيل المجاز مثلما ذكر القدماء، بل المراد منه حقيقته هذا الماء الذي يحتوي على الحيوانات هي التي تتدفق،

---

(١) يُنْظَر: الطباق والطباقية من جماليات اللغة إلى التمييز العنصري، خالج الجبر : مجلة أفكار، العدد٢٨٢، تموز، ٢٠١٢م، عمان، الأردن: ٧.

(٢) يُنْظَر: مقايس اللغة: ٢/ ٢٨٦.

(٣) يُنْظَر: مختار الصحاح: ٨٧.

(٤) جامع البيان ٢٤/ ٢٩٢.

(٥) يُنْظَر: زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .: ٩/ ٨٢ ، وفتح القدير: ٥/ ٤١٩.

(٦) يُنْظَر: تفسير القمي: ٣/ ١١٤٨.

(٧) يُنْظَر: الميزان :٢٠/ ٢٩١.

(٨) يُنْظَر: الأمثل: ٢٠/ ١٠٩.

(٩) يُنْظَر: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ _ ٢٠٠٩م: ٢٢٣ـ٢٢٤ .

فهـــي الفاعلة ؛ لذا يمكن أخذ المعنى (دافق) على معناه ، والدفق يشير إلى سرعة هذه الحيوانات [١] ، فالقدماء لم يتصوروا أن يكون هذا الماء هو القائم بالإندفاع، والتدفق فهو غير عاقل ولا ارادة له على الفعل ، أما العلم الحديث ، وبسبب المكبرات، فقد اكتشف ان ذلك السائل يحتوي على كائنات تتحرك ، لذا كان المعنى محمولا على (دافق) لا (مدفوق) مثلما تصور القدماء ، وهذا الرأي يمنع أن يكون لفظ (دافق) من الأضداد.

ـ فَمَا فَوْقَهَا

كلمة (فوق) تعني عند ابن فارس (ت٣٩٥هـ) هي أن" الفاء والواو والقاف أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على عُلُوٍ، والآخر على أوبة ورُجوع.

فالأوّل :الفَوْق: وهو العُلُوّ...

وأما الآخر فَفُوَاق النَّاقَة ، وهو رُجوع اللَّبنِ في ضرعها بعد الحَلب " [٢] ، فهو بمعنى العلو في أغلب استعمالاته، ولكن بعض المفسرين رأى أنّه قد يأتي بمعنى (دون) مثلما سنبينه في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦]**

لقد تباينت آراء المفسرين القدماء في بيان المقصود بكلمة (ما فوقها) المذكورة بالنص الكريم ؛ إذ قال الثّعلبيّ(ت٤٢٧هـ) "أي لا يترك ولا يمنعه الحياء أنْ يضرب مثلًا أنْ تصف للحق شبهًا. ﴿ مَا بَعُوضَةً﴾. (ما) صلة، وبعوضة نصب يدلُّ على المثل ﴿ فَمَا فَوْقَهَا﴾... يعني فما دونها"[٣].

وذكر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في كشافه أن الله سبحانه وتعالى لا يستحيي من التمثيل بها لحقارتها وانحطاطها [١]، قال ابن كثير (ت٧٧٤هـ)" إنّ ما فوقها أي : فما هو أكبر منها ؛ لأنه ليس شيء احقر

---

(١) يُنْظَر : علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة / المجلس الأعلى للمساجد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمقر العالم الاسلامي / مكة : ٣٢-٣٣.

(٢) مقاييس اللغة : ٧٢٣.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١/ ٩٥.

ولا اصغر من البعوضة" [٢] ،أي إنّ المفسرين القدماء ذكروا أن (ما فوقها) أي: ما دونها أو ما هو أكبر منها حجمًا أو أحقر منها من المخلوقات .

وإن المفسرين المحدثين بعضهم تابع القدماء والآخر وسّع بعض الشيء ، وبينوا أن (ما فوقها) أي: ما هو أصغر منها حجمًا وأخطر، فذكر ابن عاشور أنه " صالح للمعنيين ، أي : ما هو أشد من البعوضة في الحقارة، وما هو أكبر حجمًا " [٣] وقال السيد الشعراوي في تفسيره " إنّ ما فوقها أي : ما دونها في الصّغر والحجم " [٤]، أي في الصغر. ووافقه صاحب تفسير المنار، وذلك بقوله " إنّ الله تعالى لا يستحيي من النقص أن يضرب بما دونها لأنّه خالق كل شيء " [٥]، والعلم الحديث بيّن ما هو أدنى منها وأخطر " أنّ الله (عزّ وجلّ) ضرب الأمثلة بهذه المخلوقات الصغيرة في الحجم ولم يكن أحدٌ مدركًا أخطار هذه الكائنات الدقيقة الأصغر من البعوضة نفسها وهي البكتيريا والفيروسات ، وهذا التّعبير القرآني بيّن أخطار البعوضة عن أخطار الكائنات الأخرى التي لم تكن معروفة عند القدماء، وهنا المقصود ما أكبر في مخاطرها ونسوا الأمراض الفتاكة التي تسببها هذه الحشرة الصغيرة ؛ لأن انثى البعوض تتغذى على الاشخاص ذوي الدم الحار ولديها ثقبٌ ماصٌّ؛ فتصبح وسيلة خطيرة لنقل العديد من الأمراض مثل الملاريا وداء الفيل والحمى النّزفية ؛ ولذلك ضرب الله المثل بها وفضل ما دونها حجمًا وما هو أكبر منها ؛ لأنها سبب دمار ملايين البشر وتسببت بموتهم " [٦]، وبسبب الاكتشافات العلمية والأجهزة المكبرة للكائنات الدقيقة توصل العلم إلى أنّ كلمة (فوقها) هو شيء يوجد فوق البعوضة يعمل على تكسير كريات الدم الحمراء ولولا التكسير لتخثر الدم وهذا يعني أنه لا يوجد تضاد في كلمة فوقها وليست هي بمعنى دون مثلما وضّح القدماء والسبب أنهم اعتمدوا العين المجردة والعين المجردة لا يمكن أن تكتشف قدرة الله في خليقته ، فكان التطور إيذان خير بفتح أبواب أمام الخلائق للإيمان بالله تعالى وتعزيز ذلك الايمان وتوطيده، وبعد اكتشاف المجاهر وعلم التشريح اكتشفت طائفة من الاسرار القرآنية لتكون العبرة في الخلق وليس في الحجم أو

---

(١) يُنْظَر: تفسير الكشاف : ١ / ١١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١ / ١٠٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٣٥٧.

(٤) تفسير الشعراوي : ٢١١.

(٥) تفسير المنار(تفسير القرآن الكريم) ، محمد رشيد رضا ، دار النوادر ، ط٢ ،١٣٦٦هـ-١٩٤٧م: ١ / ٢٣٦.

(٦) الإعجاز العلمي في الحيوان، زغلول النجار ، دار المعرفة ، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٨م : ١٧٥ – ١٧٦.

الشّكل ؛ فالبعوضة على صغر حجمها فيها ابداع، ففي رأسها مئة عين ولو كبر رأس البعوضة بالمجهر لرأينا عيونها المئة على شكل خلية النحل وفي فمها ثمان واربعون سنًّا وفي صدرها ثلاثة قلوب... الخ ، وذكر الله البعوضة في كتابه الكريم فسخر المرتابون والكافرون من ذلك فتبين أنها أخطر مخلوق على وجه الأرض وأنّ لديها قدرات تتفوق على أعقد الاجهزة الحديثة التي صنعها البشر ، ولم يقف الامر عند البعوضة بل ذهبَ إلى أبعد من ذلك ؛ إذ ذهبَ إلى ما فوقها إلى ما دونها حجمًا وحقارة وما فوقها في الصغر والحجم[١].

وذكر الدكتور علي منصور كيالي أنّ هذه الآية يجب أن تقرأ بهذه الصيغة ، والله يسأل استفهام استنكاري (فما فوقها) ، والله يتحدى البشرية إلى يوم القيامة[٢]، وهذا أبرز ما توصل إليه العلم الحديث بعد اكتشاف عالم الحيوان واسراره .

ـ لَوَاقِحَ

جاء أصلها في المعاجم العربية من لقح: "اللام والقاف والحاء أصل صحيح يدلُّ على إحبال ذكر لأنثى، ثم يقاس عليه ما يشبه... ورياح لواقح: تلقح السحاب بالماء، وتلقح الشجر والأصل في (لواقح) ملقحة لكنها لا تلقح إلّا وهي في نفسها لواقح؛ الواحدة لاقحة" [٣].

وورد في الصحاح: " ألقح الفحلُ النّاقة والريحُ السّحاب. ورياحٌ لواقحٌ. ولا تقل ملاقح. وهو من النّوادر . وقد قيل الأصل فيه ملقحِة ولكنها لا تُلْقح إلا وهي في نفسها (لاقح) كأن الرياح لقحت بخير، فإذا أنشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك إليه . وتلقيح النخل معروف"[٤]، وورد هذا الأمر في قوله (عز وجلّ): **﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢]**

---

(١)هل تعلم لماذا ضرب الله تعالى بالبعوضة للكفار في القرآن، بحث متاح على الرابط:
https://youtu.be/KHvlcM4u46o

(٢) التفسير الشامل للقرآن / الحلقة الخامسة عشر/ بعوضة فما فوقها للدكتور علي منصور كيالي، متاحة على الرابط : https://youtu.be/9XQnWb1SfBQ.

(٣) مقاييس اللغة :٥/٢٦١.

(٤) تاج اللُّغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) ، تح : د. محمد محمد تامر و أنس محمد الشامي وزكريا أحمد ، دار الحديث، القاهرة _ مصر، (د. ط)، ١٤٣٠هـ _ ٢٠٠٩م: ١/ ٤٠١.

واختلف المفسرون في وجه وصف الرياح باللقح، وفهم القدماء هذه الصّفة على أنّها ملقحه لا لاقحة، وذلك أنّها تلقح السّحاب والشّجر ، وإنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، مثلما يقال : ناقة لاقح بعضهم جعلها على لاقح كأنّ الرياح لقحت؛ فيها خيرًا، فقد لقحت بخير ، وقال بعضهم الآخر: الرياح تلقح السحاب. وصف بعض نحويي الكوفة إحداهما، أن يجعل الريح هي التي تلقح بمرورها على التراب والماء، فيكون فيها اللقاح والوجه الاخر، أن تكون وصفها باللقح بالملقح وإن كانت تلقح [١] .

وجاء عند بعضهم (لاقح) بمعنى (لواقح) كما في (دافق) بمعنى (مدفوق) يقول ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) " كان أبو عبيدة يذهب إلى أنّ لواقح بمعنى (ملاقح) ، فسقطت الميم منه... ، وأرسلنا الرياح ملقحة، ، فيكون هنا فاعل بمعنى مفعل، كما أتى (فاعل) بمعنى (مفعول) كقوله : (ماء دافق) [الطارق:٦] أي مدفوق[٢] ، و(عيشة راضية) [الحاقة والقارعة: ٧] ... وتلقح السحاب كأنها تنتجه، ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه ، وهو يجد العرب يسمي الرياح لواقح، والريح لاقحا"[٣] ، وجاء عند الأندلسي(ت٧٤٥هـ)" ولواقح جمع لاقح، يقال : ريح لاقح جائيات بخير من إنشاء سحاب ماطر، كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بشرٍّ (ريح عقيم) ، أو ملاقح. أي: حاملات للمطر "[٤].

وفسّر المحدثون هذه الآية تفسيرا علميًّا، فذكر ابن عاشور" ومعنى الإلقاح أنّ الرياح تلقح السّحاب بالماء بتوجيه عمل الحرارة والبرودة متعاقبين ، فينشأ عن ذلك البخار الذي يصير ماء في الجو، ثمّ ينزل مطرًا على الأرض؛ وأنّها تلقح الشّجر ذي الثّمرة بأن تَنَقُل إلى نَوْره غبرة دقيقة من نور الشّجر الذكر ، فتصلح ثمرته أو تثبت، وبدون ذلك لا تثبت أو تصلح . وهذا هو الآبّار. وبعضه لا يحصل إلا بتعليق الطلع الذكر على الشجرة المثمرة . وبعضه يكتفى منه بغرس شجرة ذكر في خلال شجر الثمر" [٥]، واتضح الامر في أن اللواقح أرسلت لتلقح السحاب ؛ لكي يحمل الماء مثلما قيل : " وأما اللواقح فهي جمع لاقح وهو (فاعل) من (لقح) وقد تطلق اللواقح على الإناث التي في بطونها أولادها وقد عبر عنها بالملاقح

---

(١) يُنْظَر: جامع البيان: ٤٢/١٧.

(٢) أثبتت الباحثة فيما سبق أن هذا الرأي ليس بسليم ، فـ(دافق) باق على معناه (دافق) .

(٣) زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ : ٣٩٣/٤.

(٤) البحر المحيط : ٤٣٩/٥.

(٥) التحرير والتنوير:٣٨/١٤.

أو الملاقيح ، فقوله: وأرسلنا الرياح لواقح أي ذات لقاح واللقاح ماء الفحل إذا عرفت معنى الرياح واللواقح، فمعنى الآية أنّ الله تعالى أرسل الرّياح لواقح لتلقح السّحاب حتى يحمل الماء ، أي تلقي إليه ما يحمل به الماء. والحاصل أن الرياح كالفحل للسحاب ولواقح في موضع ملاقح. وقال بعضهم إن الرياح تلقح السحاب الماء " [1].

ومنهم من فصّل الأمر علميًّا وبلاغيًّا، مثلما جاء عند الشيخ مكارم الشيرازيّ " أنّ الآية تشير إلى عملية تلقيح النّباتات بواسطة الرّياح، وبها يستدّلون على الإعجاز العلمي للقرآن على اعتبار أنّ عصر نزول القرآن ما كان يحظى بما وصل إليه عصرنا من العلوم الحديثة وأنّ إخبار القرآن بهذه الحقيقة العلميّة (عملية التّلقيح) من ذلك الوقت لدليل على إعجازه العلميّ.

مع قبولنا بحقيقة تلقيح النّباتات ودور الرّياح فيها. إلاّ أنّنا لا نرى ما يشير لما ذهب إليه علماء اليوم لسببين :

الاول: وجود قرينة نزول المطر بعد كلمة لواقح مباشرة.

ثانيًا: وجود فاء السببية بينهما (بين لواقح ونزول المطر). ممّا يبيّن بشكل جليّ أنّ تلقيح الرياح يعقبه نزول المطر "[2].

وتأسيسًا على ذلك فأن المفسرين القدماء فسروا اللقاح بمعنى الحمل فقط، ولكن المفسرين المحدثين والدراسات الحديثة فسروه بتلقيح النباتات.

ويؤيد العلم بأنّ الرياح تحمل نوى التكثف إلى السّحب كما لو كانت تلقحها وتقوم نوى التكثف بتراكم قطرات المطر عليها ، وهذه النوى هي عبارة عن دقائق صغيرة الحجم جدًّا تدخل الهواء من نواتج الاحتراق وذرات الملح من المحيطات ومقذوفات البراكين والأتربة وشظايا الشهب وغير ذلك مما تحمله الرياح.

وقد تؤدي أثرًا كبيرًا في توليد الشحنات الكهربية في السّحب ، وتساعد على اقتراب السّحب المختلفة من بعضها فتتراكم سحابة ذات شحنات موجبة مع سحابة ذات شحنات سالبة كما لو كانت العملية زواجًا وتلقيحًا وأنّ الشحات الكهربيّة تؤثر بمجالها على سرعة تراكم القطيرات المائية وتوليد الشّرارة التي تظهر

([1]) ضياء الفرقان، السيد محمد تقي النقوي القايني، مكتبة الفكر، ط١ ، ١٤٣٦هـ _ ٢٠١٦م : ١٠/ ٣٣.

([2]) الأمثل: ٦/ ٦٠٧.

على هيئة برق. وهكذا يتبين أنّ التّفسير القرآني يتوافق تمامًا مع المعلومات الحديثة في علم الإرصاد [١]، وجاء توضيحها في موضع آخر بأنّها لاقحة وملقحة ؛ لأنّ " كلمة (لاقح) تصلح لكونها اسم فاعل، ولكونها اسم مفعول، وذلك حاصل علميًّا، فهي عندما تمرّ على أزهار الذّكر من الأشجار والنّبات تأخذ معها لقاح الذكر فيصدق عليها بأنها (ملقحة) بفتح القاف، وعندما تمر على أزهار الانثى من الأشجار وتضع ما بها من اللقاح ، فإنها يصدق عليها (ملقحة) بكسر القاف" [٢].

ـ التضاد البلاغي:

إنّ الدراسة الحالية ترى أنّ المفهوم البلاغي للتضاد الذي يتماهى بدرجة ما مع الطباق ، الذي كان مصطلحًا مستقرًّا ومتأصلًا في الفكر النقديّ والبلاغيّ القديم عند العرب تمامًا كالمفهوم الآخر للتّضاد في فقه اللغة، وإن استعمال لفظة التضاد بديلة عن لفظة الطباق لتدل على معناها يؤكد استقرار مفهوم التضاد وليس نفيه [٣]، وهو يقوم على العلاقة بين ضدين متقابلين أما التضاد اللغوي فهو أن يتفق اللفظ ويختلف معناه فيكون اللفظ واحدا على معنيين متضادين [٤]، ومن أمثلة التضاد البلاغي :

ـ الْمَسْجُور

جاء معنى (سجر) في كتاب العين " سَجَرْتُ التَنُّور اسْجُرُه سَجْرًا والسجور اسم الحطب. والسجور امتلاءُ البحر والعين ، وكثرةُ مائهِ والبحر المسجُور: المُفْعَم الملآن "[٥]، وقد جاء في قوله تعالى: **﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]**

فسرت كلمة (المسجور) عند القدماء بتفاسير عديدة منها: الذي يسجر يوم القيامة [١]، ومنهم من فسّره على أنّه " البحر الممتلئ تحت العرش وهو بحر مكفوف"[٢].

---

(١) يُنْظَر: القرآن والعلم الحديث: ١٧ .

(٢) التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. سلمان بن صالح القرعاوي، دار الحضارة ، الرياض، ط١ ، ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م : ١٦٩-١٧٠.

(٣) يُنْظَر: جدلية التضاد في الموروث البلاغي والنقدي ، الدكتور حسين الجدوانه، إربد_ الأردن ،ط١، ٢٠٢٢م: ٦٦.

(٤) يُنْظَر: المصدر نفسه : ٢٩٧.

(٥) كتاب العين: ٦/٥٠-٥١.

وذكر ابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ) أربعة معانٍ له أحدها: المملوء ، والثاني: الموقد بمنزلة التنور المسجور، والثالث : إنه اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب[٣]، والرابع : أن المسجور يقصد به المختلط عذبه بملحه[٤]

ويرجع اختلافهم في تفسير معنى مسجور إلى تأويل ما لا يخضع للعلم التجريبي العلمي، فالجهل بالعلوم الجغرافية أدى إلى وقوعهم في التعبير الخاطئ .

وورد أن (والبحر المسجور) أي: " الموقد من السجر: وهو إيقاد النار في التنور ... ، وقد روي أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارًا، وقيل: المسجور المملوء، وقيل: إنّه من أسماء الأضداد، يقال: بحر مسجور أي: مملوء وبحر مسجور أي فارغ، وقيل: المسجور الممسوك"[٥] ومثله عند الألوسي[٦]، وقيل فيه أيضا الذي ذهب ماؤه والمسجور المفجور والبحر الذي يختلط فيه العذب بالمالح [٧].

وذهب الشيخ الحويزي إلى أنّه المملوء أو الموقد المحمىّ بمنزلة النّور وقيل: إنّه تحمى البحار يوم القيامة ، فتصبح نارًا تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار[٨].

ويفسرها المراغي بأنّه " البحر المحبوس من أنْ يفيض فيغرق جميع ما على الأرض، ولا يبقى ولا يذر من حيوان ونبات ، فيفسد نظام العالم وتعدم الحكمة التي لأجلها خلق وقد يكون المعنى – والبحر الموقد في باطن الأرض بمنزلة التنور المحمى" [٩]، وتابعه السيد الطباطبائي في المعنى ذاته[١٠].

---

(١) يُنْظَر: تفسير القمي: ١٠١٥/٣.

(٢) تفسير السمرقندي : ٢٨٣/٣.

(٣) (نَضَبَ الماء يضنبُ ويَنضُبُ نُضوبًا : ذهب في الأرض). أساس البلاغة :٢/ ٤٤٩.

(٤) يُنْظَر: زاد المسير: ٨/ ٤٧-٤٨ ، البحر المحيط: ٨/ ١٤٤.

(٥) فتح القدير: ١٤١١.

(٦) يُنْظَر: روح المعاني: ٢٧ /٢٩.

(٧) يُنْظَر : المصدر نفسه: ١٤١١.

(٨) يُنْظَر: نور الثقلين، عبد علي العروسي الحويزي(ت١١١٢هـ) ، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، بقم، ط٢، ١٣٨٣هـ: ٧/ ١٥٣-١٥٧.

(٩) تفسير المراغي: ٢٧/ ١٩ .

(١٠) يُنْظَر: الميزان: ١٩ /٧.

وورد في تفسير الأمثل أن هذا البحر هو في باطن الأرض وليس خارجه والمؤلف من مواد منصهرة ذائبة [١].

ويوضح الاكتشاف العلمي بعد اختراع الغواصات وأجهزة الكشف عن أعماق البحار بوصفه " وهذا التضادّ العجيب باجتماع الماء والنار في مكان واحد حيث لا النار تذهب بالماء ولا الماء تطفئ النار ؛ فأقسم تعالى بالبحر المسجور... ، فمن المعلوم أنّ باطن الأرض عبارة عن فرن ناري مشتعل امتزج في داخله المعادن الصّخور ومكوناتها ، وأصبح كتلة مشتعلة عالية الحرارة، مما يؤدي إلى وجود غازات شديدة اللهب مرتفعة الحرارة تندفع إلى الأعلى فيما يسمى بتيارات الحملان ، فتضرب جدران الكرة من الداخل حاملة معها المهل المصهور إلى كافة أجزاء الكرة، فإذا لم تخرج هذه الغازات وبعض هذه الحزم فإن الكرة الأرضية ستتصدع وتنفجر إلى أجزاء متناثرة "[٢].

واسم المفعول في قوله (مسجور) يمكن حمل دلالته الزمنيّة على الزمن الحاضر ولا يمكن أن يكون دلالة على المستقبل وتريد وقوع الفعل لا محاله بإذن الله قد أشار إليه العلماء إلى امكانية تسجير تلك البحار فيرى الكونيون أن الشمس سوف تصبح عملاقًا أحمر يقترب من الأرض ويسجر فلك البحار [٣] .

ـ سُجِّرَتْ

يذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أن الفعل (سُجِّرَتْ) أصله من" السين والجيم والراء أصولٌ ثلاثة: الملء، والمخالطة والإيقاد.

---

(١) الأمثل: ١٧/

(٢) الاعجاز الجغرافي في القرآن الكريم، حاتم ابراهيم عيسى، دار الغسق للنشر والتوزيع، (د. ط)، (د. ت) : ١١٧-١١٨.

(٣) يُنْظَر: الضابط اللغوي في التفسير العلمي للقرآن الكريم، هدى هشام إسماعيل الزيدي، اشراف :د. علي جميل السامرائي،١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٥م: ٢٣٠.

فأمّا الملء، فمنه البحر المسجور، أي المملوء ... وأما المخالطة فالسّجير: الصاحب والخليط، وهو خلاف السجير ومنه عينٌ سجراء، إذا خالط بياضها حمرة. وأمَّا الإيقاد فقولهم: سجرت التّنُّور، إذا أوقدته"[١]، وجاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [٦: التكوير]

وورد عند ابن عطية الاندلسي(ت٥٤٦هـ) أن معنى التسجير هو افراغها من مائها أي : يبست، وقيل: ملئت، وفاضت وفجرت من أعاليها[٢]، ونقل ابن القيم (ت٧٥١هـ) أن المسجور هو المملوء عند بعض اللغويين[٣]، فالموقد عنده يدخل في معنى الامتلاء.

وتأسيسًا لما سبق زاد القرطبي (ت٦٧١هـ) أنه الموقد ؛ إذ قال: " فيجوز أنْ يكون المملوء نارًا ، فيكون كالقول المتقدم . وكذا قال الضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والأخفش بأنّه الموقد المحميّ بمنزلة التنور المسجور . ومنه قيل : للمسعر مسجر، ودليل هذا التأويل قوله تعالى : (وإذا البِحارُ سُجِّرت) ، أي أوقدت، سجرت التنور أسجره سجرًا أي أحميته " [٤].

وفي السياق ذاته ما ذكره أبو حيان (ت٧٤٥هـ) " ويحتمل أنْ يكون المعنى : ملكت وقيد اضطرابها حتى لا تخرج على الأرض من الهول، فتكون اللفظة مأخوذة من ساجور الكلب"[٥].

وتعددت الاحتمالات عند الشيخ الطنطاوي فيرى أنّها: " امتلأت وفاض ماؤها واختلط عذبها بملحها، وصارت بحرًا واحدًا، مأخوذ من قولهم : سجر الحوض، إذا ملأه حتى فاض من جانبيه .

ويصحُّ أن يكون معنى (سجِّرت) : أحميت بالنار حتى تبخرت مياهها، وظهرت النّار في مكانها، من قولهم : سجر فلان التنور، إذا ملأه بالحطب المُعدُّ للحرق "[٦].

وجاء في الكاشف بمعنى الفيضان " في كتب اللغة سجر البحر فاض ماؤه، وعليه يكون المعنى أن مياه البحار تنطلق هنا وهناك، لا يمسكها شيء نتيجة لخراب الكون "[٧].

---

(١) مقاييس اللغة: ٣/١٣٤-١٣٥.
(٢) يُنْظَر: المحرر الوجيز :٥/٤٤١_٤٤٢.
(٣) يُنْظَر: التبيان في أقسام القرآن :١٦٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ٦١.
(٥) البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٤١٥.
(٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٥/ ٢٩٨.
(٧) التفسير الكاشف: ٧/ ٥٢٤.

ويفسرها الشيخ مكارم الشيرازي على وفق معطيات العلم والدراسات الحديثة بقوله " فقد بات اليوم من البديهيات الكسبية، لما يتركب منه الماء من عنصري الأوكسجين والهيدروجين، القابلات للاشتعال بسرعة، ولا يستبعد أن يوضع الماء – في إرهاصات يوم القيامة – تحت ضغط شديد ممّا يؤدي إلى تجزئة وتفكيك عناصره، وعندها سيتحول إلى كتلة ملتهبة من النار "[1]، وفضلًا عما ذكر احتمل أنها تصورات أو علامات ليوم القيامة وما ينتج عنها من تغييرات وحوادث.

ويؤيد النجدي ما قاله مكارم الشيرازي ويقول إن معنى التسجير هو اشعال النار، سجرت التنور أي أشعلته نارًا، أو بمعنى امتلأت البحار نارًا في ذلك الوقت.

إن البحر يشتغل أي إنّ الماء يطفئ النار أي لا يشتعل نارًا، ونحن نعرف أن الماء مركب من عنصرين(الاوكسجين والهيدروجين) الأول يساعد على الاشتعال والثاني يشتعل وعند اتحادهما تتكون شعلة اوكسهيدروجينية التي تذيب الحديد من حرارتها، وأن القرآن فضلا عن أنه كتاب هداية فهو يضم بين دفتيه القوانين الالهية التي تسير عليها الأمة وليس كتابًا كيمياويًّا أو فيزياويًّا فجاءت فيه اشارات علمية بعضها جاءت بطريقة ثانوية غير مباشرة وبعضها الآخر بطريقة ضرب الامثال أو ما شابه ذلك[2]،ومن هنا ندرك أثر العلم الحديث في توضيح التضاد البلاغي بين البحار(الماء) واحتراقها وكيف أن البحار مؤلفة من عناصر (H_2)، (O) قابلة للتسجير والاحتراق بشدة.

---

(1) الأمثل : ١٩/ ٤٤٨ .

(2) يُنْظَر: الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، حميد النجدي و د. حميد حسون بجية، دار الأنصار، ط٢، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م: ٩.

الخاتمة

الخاتمة

بعد رحلة من البحث في لغة القرآن، ودراسته مع الإفادة من معطيات العلم الحديث، توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج ، ومنها:

١. انّ القرآن الكريم لا يتعارض مع الحقائق العلميّة الرّصينة التي توصل إليها العلماء، والمختصون في شتى العلوم الحديثة المثبتة علميًّا بالملاحظة، والتجربة السليمة، ومن هنا يمكن أن تكون هذه القضايا الموجودة في الكتب العلميّة مصدرًا من مصادر تفسيره ، ومن جهة أخرى يكون ما جاء في القرآن الكريم مصدرا يمكن أن يعتمد عليه في الكتب العلمية، والطبية والاجتماعية ونحو ذلك في دراساتها ، فالإعجاز العلمي القرآني له سبق كثير من اجتهادات علوم كثيرة سواء كانت فلكية أو كونية أو فيزيائية أو جغرافية أو صحية ...الخ .

٢. اكتشفت الباحثة أنه يمكن أن توجد في الآية الواحدة أكثر من قضية علمية تكشف عن سر من الأسرار القرآنية التي لم ينتبه العلماء السابقون لها من مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[سورة العنكبوت:٤١] فقد جرى الحديث فيها في الفعل (اتخذت) والاسم (الوهن) وهذا يدل على إعجاز القرآن وسموه، وأنه اكتشف كثيرا من القضايا منذ وقت مبكر إلا أن النظرة القاصرة في ذلك الوقت؛ بسبب الوسائل البسيطة والمتيسرة آنذاك هذا الأمر قاد إلى عدم اكتشاف تلك الأسرار التي جاء العلم الحديث بتقدمها المعرفي واجتهاده والتكنولوجي ليكتشف عن طائفة من الأسرار المخفية.

٣. توجد بعض القضايا في القرآن الكريم يمكن أن تقع على أكثر من باب من مثل قضية السمع والأبصار ، إذ يمكن أن ترد في قسم علل الاختيار والتقديم والتأخير ، وشاهد (طهورًا) يمكن أن يقع في علل الاختيار والتضاد وغير ذلك .

٤. كشفَ البحث عن أن أسلوب القسم في كثير من المواضع التي أقسم بها القرآن له حقائق تنسجم مع ما جاءت به معطيات العلم الحديث من مثل القسم: (بالخنس والكنس) و(الحبك) و(القمر إذا اتسق) هذه الآيات الآفاقية و(البحر المسجور) جميعها تبين أنّها عبارة عن حقائق علمية مضمرة في ذلك الوقت وساعد العلم الحديث في اكتشافها، ومن هنا تبين ان السبب وراء القسم بها لم يعد بها مثل ما تصور القدماء بأنّه قسم اعتياديّ عابر لكن اكتشف العلم بأنّها أمور عظيمة والقرآن لا يقسم إلا بالأمور العظيمة.

٥. كان للعلم الحديث أثر جليّ في تصحيح طائفة من التّفاسير السّابقة التي فسرت عند القدمـــاء بصـــورة خاطئة ، مثلما وجدناه في مجال الطب من طريق علم التشريح ، إذ نتج عن ذلك توضيح قسم من الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة :٣-٤] ، فبعد تباين آراء المفسرين فيها وضحتها الأبحاث العلميّة بأنّها البصمات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره ، وليس الأصابع أو مقدمتها مثلما فسّرها القدماء بذلك ، وكذا الامر مع سائر المجالات على النحو مما وجدنا في الجانب الفلكي اذ أفادتنا العلوم الفلكية في تصحيح بعض التفاسير القديمة على النحو مما وجدناه في تفسير كلمتي (المشارق والمغارب) ، فهاتان اللفظتان دلّتا على تعدد المشارق والمغارب للشمس ، وهي خطوط الطول ودوائر العرض ، وعندما نقرأ عند القدماء نجد تضاربًا وآراء لا ترقى لأنْ تكون تفسيرًا ملائمًا لما جاء في القرآن من اسرار .

٦. كان للعلم الحديث أثرٌ في توضيح القضايا الصرفية الواردة للقرآن بصورة واضحة وجليّة ، على النحو مما وجدناه في اسم الفاعل (الثاقب) وهو الذي يقوم بالفعل وكانت قد فسرت بالضوء المتوهج بأنها ظاهرة للضوء من قبل القدماء، لكن أضفى عليه المحدثون معنى العلو، والارتفاع وبثقبه للفضاء الكوني في جريانه ؛ لأنه يكنس الفضاء، ويجذب إليه كل ما يصادفه، فيخلف نفقًا خاليًا من المادة والطاقة كأنه ثقب أسود لهذا نسب إليه الفاعلية أي عملية الثقب، ومن ناحية

أخرى ما نجده في دلالة البنية الزمنية الدالة على الحاضر والمستقبل في كلمة (موسعون) وما يفهم من دلالتها بأننا وسعناها وسنستمر في توسيعها مستقبلًا.

٧. شكلَ علم الفيزياء مكانة مهمة في الكشف عن طائفة من الالفاظ الواردة في القرآن من مثل لفظة (الذرة) الواردة فيه، إذ تبين أن هنالك أصغر منها ولها ثقل أو وزن بعدما كان سائدًا في السابق بأن ليس هنالك أصغر من الذرة، لكن القرآن أثبت أنّ هنالك شيئًا أصغر منها ، وبعد دراسات توصل علم الفيزياء إلى أن هنالك ثقًلا ، وعبر عنه بـ (الوزن الذري) فأشار القرآن لهذه الحقيقية بهذه اللفظة ولكن التعبير القرآن كان تعبيره عنه بـ(مثقال ذرة) .

٨. كشف البحث عن أنّ القوانين التي أسّس إليها في الوقت المعاصر كثير من القوانين كانت موجودة في القرآن بإشارات أخرى من مثل (قانون الضغط والتحكم) في الفعل (يمسك) و(قانون التوازن) في الفعل (نصبت) و(قانون الجاذبية) في لفظة (عمد)، و(قانون المط السطحي) في لفظة (حجرًا) فهذه كانت لها إشارات في القرآن الكريم، وجاءت منسجمة مع بعض المضامين القرآنية .

٩. حمّل القدماء طائفة من الألفاظ على المجاز ؛ ذلك لآنهم لم يستندوا إلى التجربة العلمية وغابت عنهم الأدوات التي تجعلهم يدركون الاصوب ، ولكن بعد الإفادة من معطيات العلم الحديث تبين أنه لا يوجد مجاز في تلك المواضع ، على النحو مما وجدناه في لفظة (سَقْفًا) [سورة الانبياء: ٣٢] إذ ذهب القدماء بها إلى المجاز لكن العلم وضّحَ فعلًا أنّ هنالك سقفًا حافظًا للبشر ، وعرف بالغلاف الجوي فهو من باب الحقيقة ، وكذلك الألفاظ الواردة في القرآن التي تدخل فيها قدرة الله سبحانه وتعالى من مثل الفعل (تجري) ، اذ ذهبوا فيه إلى أنه من المجاز ، لكن بعد اكتشاف العلم الحديث تبين أنّ الشمس كانت وما زالت في عملية جري إذ تجري بانسيابية متزنة كعقرب الساعة الذي يكون للدقائق ، فجريها كان حقيقيا وليس مجازًا ، وكذلك ظاهرة تشبيه الجبال بالأوتاد فهذه من باب الحقيقة بعد الاستعانة بالاكتشافات الجيولوجية ؛ إذ

تبين أنّ الجزء الظّاهر منها هو الجزء الأصغر لكن الباقي منه مغروس تحت الأرض ليمسك بطبقاتها.

١٠. توصلت الباحثة إلى أن كثيرًا من أجزاء الجسم أو متعلقاته مستعملة في القرآن ، ولم تتضح دلالتها الحقيقة إلا بعد توظيف العلم الحديث من مثل كلمة الناصية في الآية الكريمة : ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦] ، فقد وصف أحد اساتذة الترشيح الجهاز العصبي ، وبيّن أنها مسؤولة عن تكوين الشخصية ولها وظيفة أخرى وهي الهيمنة، والسلطة، والسيطرة، وحددت مكانها في مقدمة الرأس وذلك يتحقق مع ما جاء به القرآن الكريم بعد أن كان الغموض في تحديد وظيفتها ، إذ فسرت عند القدماء بأن الله محييها ، فهو القادر، والتوكل على الله، واشتمال ربوبيته عليهم.

١١. شكّل العلم الحديث جانبًا مهمًّا في معالجة بعض القضايا الاجتماعية ، اذ به اتضحت طائفة من الحقائق القرآنيّة ، فالآيات التي تتحدث عن تحديد جنس الجنين كانت لها إشارات إلى أن المصدر هو الرجل، ففي سياق الآيتين (من نطفة) و(فجعل منه) كان الخطاب يخصّ الرجل ، وليس للمرأة أثرٌ في تحديد الجنس ، ولو كان كذلك فليكن في سياق الآية (من بيضة) أو (فجعل منها) أو إلى ما شابه ذلك ، ولكن الاستعمال القرآني جاء بما يثبت أنّ الرجل هو المسؤول عن تحديد جنس المولود ذكرًا او انثى ، وهو أمر ايده العلم الحديث .

١٢. اعرب البحث عن أن صفات الأرض الواردة في القرآن من بسط ودحو ومهاد ومد كلها صفات ساند العلم الحديث في الكشف عن أسرارها، وحقائقها ، ونافلة القول إن اختلاف القدماء ما بين البسط، والفرش، والدحو كان عائدًا إلى عدم الرؤية الواضحة، وافتقارهم للتجارب العلمية، والأسس العلمية التي تعينهم في معرفة بعض الحقائق القرآنية .

١٣. كان للعلم الحديث أثر في توضيح الأمور المتعلقة بالبحار ، تلك جاء ذكرها في القرآن من مثل : البرزخ، والحجر، واللجي .. ، فالأخير مثلا أفاد علم البحار بعدما توفرت الأجهزة الحديثة وصولًا إلى ابتكار الغواصات إلى حقائق علمية أشار القرآن إليها من قبل، ففي كلمة (لجّي)

توضح أن للبحار عمقًا ، يختلف فيه البحر العميق عن البحر السطحي بحرارته وكثافته ودرجة إضاءة الشمس وأنه يكون مظلمًا؛ بسبب غمور الماء من أسفله.

١٤. بينت الافعال الماضية الواردة في القرآن الكريم حقائق علمية أفادت منها العلوم الحديثة لا سيما في علم النبات من مثل الفعلين (اهتزت وشققناها) ، فالفعل (شققناها) توصل به العلم إلى أن سطح الأرض – الجزء العلوي – كان (أي في الزمن الماضي) مغطًى بصخور، وقد تشققت بفعل هطول الأمطار في فصل الشتاء وحرارة أشعة الشمس في فصل الصيف لتحويلها إلى تربة صالحة للزراعة.

١٥. توصلت الباحثة بعد عرض آراء العلماء والمفسرين إلى أن كثيرًا من الأفعال القرآنية غابت دلالتها عن القدماء، فمثلًا الفعل يسبحون بصيغة الجمع دلّ على أن هنالك كثيرًا من الشموس والأقمار وكل منهما له فلك خاصّ به، فضلا عن ذلك كان تشبيه ذلك بالسباحة ؛ لأسباب عديدة منها أنها تكون سريعة وأنها تسبح على وجه واحد إما يمينًا أو شمالًا أو ارتفاعًا أو نزولًا.

١٦. عزز توظيف العلم الحديث (النظرة النصية) وذلك بأن القران يفسر بعضه بعضًا ، فمثلا [سورة الانبياء :١٠٤] التي تكلمت عن نهاية الكون بالطّيّ في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ بعد التوسعة الحاصلة في الكون والتي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات :٤٧] ، وكأن الكون كالبشر له بداية ونمو باتساع (وإنا لموسعون) ثم خاتمة تتجلى بطويه كطيّ الكتاب .

١٧. يمكن القول إن القرآن أشار إلى بعض النظريات المهمة التي توصل إليها العلم الحديث على النحو فيما وجدناه في نظريتي (الانفجار العظيم والانسحاق) في الفعل (طي) الذي كان يتحدث عن بداية ونهاية الكون التي تتضح كيف ستتبدل السماء وسيحييها الله سبحانه بعد بالانكماش والعودة إلى نقطة البداية وهي الثقوب السوداء ، وبداية الكون التي توضحه لفظة (دخان).

١٨. كشف العلم الحديث عن دقة القرآن في توظيف الفعل المضارع والافادة من دلالته الزمنية التي تلائم الحدث في زمن الحاضر أو المستقبل ، ففي الفعل المضارع (نَنْقُصُهَا) الوارد في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأرض نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١] دلَّ على أن النقصان يحصل في الزّمن الحاضر وما يزال مستمرًّا في النقص مستقبلًا لحقائق منها تفلطحها عند القطبين وانبعاجها عند خط الاستواء؛ بسبب دوران الأرض حول نفسها.

١٩. إن توظيف العلم الحديث بين ظهور كثير من الظواهر المهمة من مثل (ظاهرة الوهج) أو (الفجر القطبي) في الفعل (اتسق) ، التي يرجع سببها إلى وصول تيارات من الجسيمات الذرية المشحونة السريعة من الشمس التي تجبر على السير بصورة حلزونية .

٢٠. توصل البحث إلى أن هنالك ألفاظًا في القران الكريم بعضها يوجد فيها تتميم للدلالة سواء أكانت للأسماء أو الأفعال من مثل قوله تعالى :﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩] وقوله تعالى:﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق: ١٨]، والبعض الآخر يوجد فيها تصحيح للدلالة من مثل قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الإنسان أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة :٣-٤] وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأرض نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١].

٢١. توصل البحث إلى أن الفعل الماضي والمضارع كان فيه شواهد علمية واضحة أما فعل الأمر فلم تجد الباحثة أثرًا واضحًا؛ لأن العلم الحديث غالبًا ما يكون في القضايا السردية أو القضايا الماضوية أما التي في فعل الأمر فلم توجد في الأغلب .

٢٢. أعرب البحث عن أنّ أسلوب التقديم في القرآن الكريم لم يكن اعتباطيًّا؛ بل وراء هذا التقديم حقائق علمية أفصح البحث عن توضيحها، فللتقديم والتأخير أغراض منها السبق في قضية (تقديم السمع على البصر)، فتوصل العلم إلى أن الأذن تصبح جاهزة في الشهر الخامس من عمر الجنين، أما العين فتكون قادرة على القيام بوظيفتها بعد الأسبوع الخامس والعشرين من

مرحلة الحمل لأسباب اكتمال في طبقاتها الشبكية الحساسة للضوء وهناك امور أخرى غير ذلك ، يمكن للقارئ العزيز أن يلتمسها في البحث .

٢٣. إن القرآن جاء بسياق خاص به دون غيره؛ لأن مقاصد يريد إيصالها للمتلقي، فكانت غير معلومة عند القدماء، وبعد توظيف العلم الحديث توضّحَ العديد منها على النحو من قضية الإفراد في السمع والجمع في الأبصار في قوله تعالى: ﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٢٣]؛ لأن هنالك مركزين للأبصار، بينما نجد مركزًا واحدا للسمع في الدماغ فضلا عن امور أخرى بيناها في طيات البحث .

٢٤. إنّ الالفاظ المترادفة من الصعب أن تتواجد في القرآن الكريم ، فبعد توظيف العلم الحديث وبالنظر إلى الأجهزة والتقدم العلمي تبين لنا أنه لا يوجد ترادف في كثير من مواضع القرآن واكتشفت الباحثة أن ما قيل عنه أنه من الترادف من مثل الضوء والنور لم يكن فيه الامر كذلك .

٢٥. إن القرآن الكريم فيما سبق فسرت بعض ظواهره على التضاد ، والعلم الحديث استبعد ذلك التفسير من مثل بيان معنى (ما فوقها) ؛ إذ فسرت بالضّد على (ما دونها) لكن فيما كشف علم الحيوان من حقائق دالة على قدرة الله على الرغم من صغر حجم هذه البعوضة تبين أن هنالك العديد من الخصائص وانه لا يوجد تضاد في كلمة (فوقها) فهي ليست بمعنى (دون) مثلما زعم القدماء.

٢٦. إن التغير الحاصل في التفسير ليس تغيرًا في حقائق القران، إنما هو تغير نتيجة لتطور في العقل الانساني وزيادة الاكتشافات التي توصل اليها، فالقران ثابت؛ لكن ربما يحدث فيه اكتشاف علمي يبين بعض من أسراره .

وخاتمة الخاتمة : لا يمكن أن نقول إن هذا البحث يجسد في مجاله خاتمة، بل لا بد أن تكون هنالك بحوث أخرى متممة ومغيرة بحسب التقدم في العلم الحديث، فيجب الإدراك أن ما توصل إليه العلم في الوقت الحالي من كشوفات في تفسير الآيات العلمية الواردة في القرآن الكريم لا يعني الفهم النهائي لها، بل إن العلم قاصر إلى الآن في كشف الغطاء الكامل عنه، وربما فيما بعد يكتشف حقائق أخرى من الإعجاز العلمي.

وأخيرا نشكر الله على أن منّ علينا في أن نتأمل بأعظم كتاب ، ونسأله أنْ نكون قد قدمنا دراسة نافعة ليكون القرآن شفيعنا يوم الدين .

المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب المطبوعة:

(أ)

- إبستيمولوجيا العلم الحديث ، سالم يفوت، دار توبقال، دار البيضاء_ المغرب، ط٢، ٢٠٠٨.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين مرتضى الزبيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض الملقب بمرتضى ، المطبعة الميمنية ،بيروت – لبنان، (د. ط) ،١٤١٤ هـ_ ١٩٩٤م.
- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرّحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدّين الخضيري السّيوطي (ت٩١١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط ، اعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت_ لبنان، ط١ ، ١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م.
- أحكام القرآن ، ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي(ت٥٤٣هـ) ، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د. ط) ، (د. ت).
- أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تح: محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،ط١ ،١٤١٩هـ_١٩٩٨م.
- أسرار البيان في التعبير القرآني ،د. فاضل صالح السامرائي، فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،، (د. ط)، ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠١م.
- أسرار الترادف في القرآن الكريم، علي اليمني دردير، دار ابن حنظل، (د. ط) ،١٤٠٥هـ_ ١٩٨٥م .
- أسرار العربية، ابو البركات عبد الرّحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت٥٧٧هـ)، تح : بركات يوسف هبود ، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م.
- الإسلام في عصر العلم، محمد أحمد الغمراوي، مطبعة السعادة ،ط١ ، ١٣٩٣هـ_ ١٩٧٣م.

❖ الإسلام يتحدى_ مدخل علمي إلى الإيمان ، وحيد الدّين خان ، تعريب : د. ظفر الإسلام خان ، تح : د. عبد الصّبور شاهين ، مكتبة الرّسالة ، بيروت _ لبنان، (د. ط)، (د. ت).

❖ أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، موريوس بوكاي ، ترجمة فوزي شعبان ، المكتبة العلمية ،(د. ط)، ١٩٩٠م.

❖ إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، حيدر حب الله تح: بحوث في فرقة الاقتصاد (تقريرات الشهيد محمد باقر الصدر)، مركز البحوث المعاصرة ،بيروت –لبنان ، ط١ ،٢٠١٣-٢٠١٤م .

❖ الأضداد، رضي الدين أبى الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن، الصاغاني(ت٦٥٠هـ)، تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،(د. ط)، ١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م.

❖ ارشاد الاذهان إلى تفسير القرآن، محمد السبزواري، دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٩٩٨م .

❖ الأرض في القرآن الكريم ، زغلول راغب محمد ، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط١ ، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م.

❖ الإعجاز الجغرافي في القرآن الكَرِيم، حاتم ابراهيم عيسى ، دار الغسق للنشر والتوزيع، (د. ط)، (د. ت) .

❖ الإعجاز الطّبي في القرآن ، د. السّيد الجميلي ، قدم له : محمد متولي الشّعراوي ، دار ومكتبة الدّلال ، بيروت _ لبنان ،(د. ط)، ١٩٩٠م .

❖ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم، سعيد صلاح الفيومي، مكتبة القدسي للنشر القاهرة _ مصر، ط١،(د. ت).

❖ الإعجاز العلمي، الشيخ عبد الله الغديري ، دار المحجة البيضاء ، ط١ ،١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

❖ الإعجاز العلمي إلى أين، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام _السعودية ،ط٢، ١٤٣٣هـ .

❖ الإعجاز العلمي عند الامام علي (عليه السلام)، لبيب بيضون، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،ط١ ، ٢٠٠٥م.

- الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن ، صادق هلالي، حسين رضوان سليمان اللبيدي، ط٣، ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م.
- الإعجاز العلمي في الحيوان ، زغلول النجار ، دار المعرفة ، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٨م .
- الإعجاز العلمي في القرآن ،الدكتور السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال ودار الوسام، بيروت _ لبنان، ط٢، ١٩٩٢م.
- الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، حميد النجدي و د. حميد حسون بجية، دار الأنصار، ط٢، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، عبد الجواد الصاوي ، دار جياد للنشر والتوزيع، جدة_ السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م .
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وعد طاهر رشيد، (د. ط)، (د. ت).
- الإعجاز العلمي في القرآن الكَرِيم والسنة النبوية المطهرة، ربيع عبد الرؤوف الزواوي ، دار الفاروق القاهرة _ مصر ، ٢٠٠٨ .
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وصلته بمنهج الدعوة الاسلامية، نادى درويش محمد ، مكتبة الايمان ،القاهرة ،ط١ ،١٤٣٢هـ –٢٠١١م .
- الإعجاز العلمي للقرآن الكَرِيم بين الآيات القرآنية والنظريات العلمية ، أحمد المرسي حسين جوهر، ط١ ،١٤٢١هـ_٢٠٠٠م.
- الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم، الدكتور فهد خليل زايد ،دار النفائس ، لبنان، (د. ط) ، (د. ت).
- إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية ، محمد مختار عرفات ،دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق_ سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.
- الإعجاز القرآني، محمد عادل القلقيلي ،دار الجيل ، بيروت _ لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

❖ الإعجاز القرآني في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث ، مروان وحيد شعبان التفتازني ، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، (د. ط)، ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م .

❖ اعراب القرآن الكَرِيم وبيانه، محيي الدين الدرويش الناشر اليمامة دار ابن كثير دار الإرشاد ، ط٣، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .

❖ الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، الشيخ السبحاني ،المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، قم – إيران ، ط١ ،١٤٠٩-١٩٨٩م .

❖ الأمثال في القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ،ط١ ، ١٤٢٠هـ.

❖ الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيخ مكارم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٣٤هـ _ ٢٠١٣م.

❖ الأنباء الثلاثة الكبرى في الدين وجود الإله، محمّد باقر السّيستاني، ط١، ١٤٤٠هـ_ ٢٠١٨م.

❖ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٦٩١هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م .

❖ أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدّين عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) ،تح: محمد محيي الدّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت_ لبنان، (د. ط) ، (د. ت).

❖ ايسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م .

❖ الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تح: الدكتور مازن المبارك ،دار النفائس، لبنان _ بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م .

(ب)

❖ البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تح: صدقي محمد جميل الناشر، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤١٣-١٩٩٣م .

❖ بحر العلوم ، أبو ليث بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السّمرقندي (ت٣٧٥هـ) ، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النّوتي ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م .

❖ البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النّوتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م.

❖ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، ايران_ قم ، (د. ط)، (د. ت).

❖ البرهان في توجيه متشابه القرآن ، ،محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ) ، تح :عبد القادر احمد عطار، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ_ ١٩٨٦م .

❖ البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م

❖ البسيط في شرح جمل الزجاجي ، ابن أبي الربيع عبيد الله بن احمد بن عبيد الله القريشي الاشبيلي السبتي (ت٦٨٨هـ)، تح: د. عياد بن عبيد الشبيتي، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ،ط١ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

❖ بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، ط٣، الاسكندرية: منشأة المعارف الاسكندرية، مصر،(د. ط)، ١٩٩٦م .

❖ البناء الصرفي في الخطاب المعاصر، محمود عكاشة ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة _ مصر، (ط. د)، ٢٠٠٩م .

❖ البيان في تفسير القرآن، آية الله العظمى السّيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ،انوار الهدى ، ط ٨ ، ١٤٠١هـ _١٩٨١م.

(ت)

- تاج اللُّغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) ، تح : د. محمد محمد تامر و أنس محمد الشامي وزكريا أحمد ، دار الحديث، القاهرة _ مصر، (د. ط)، ١٤٣٠هـ _ ٢٠٠٩م.
- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ) ،تصحيح ،أحمد حبيبي العاملين ، الناشر دار احياء التراث العربي، (د. ط) ، (د. ت) .
- التحبير في علم التفسير جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم، السعودية، الرياض، ط١، ١٩٨٢م.
- التحرير والتنوير، محمد الطّاهر ابن عاشور ، الدّار التّونسية للنشر ، تونس ، ط١ ، ١٩٨٤م.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، محمود عكاشه ، دار النشر للجامعات ،القاهرة ،ط١، ١٤٣٢هـ _ ٢٠١١م .
- التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي، مصورات مكتبة الصدوق، جامعة بغداد (د. ط)، (د. ت).
- تفسير الجلالين ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ) وجلال الديـــن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ) ، دار الحديث _ القاهرة، ط١ ،(د. ت).
- تفسير السمرقندي (تفسير بحر العلوم) (ت٣٧٥هـ)، نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الليث السمرقندي ، تح: الشيخ علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود ،زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،ط١ ،١٤١٣هـ –١٩٩٣م .
- تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧م.
- التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: عادل بن علي الشدّي ، مدار الوطن للنشر ، ط١ ،١٤٣١هـ –٢٠١٠م .

- التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. سلمان بن صالح القرعاوي، دار الحضارة ، الرياض، ط١ ، ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م .
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدّمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار ابن الحزم ، بيروت _ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ _ ٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة_ الرياض،ط١ ،١٤١٧هـ_ ١٩٩٧م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط١، ١٣٩٠هـ_ ١٩٧٠م.
- تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(ت٣٢٩هـ)، مؤسسة الإمام المهدي، ط١ ،١٤٣٥م.
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط٤، ٢٠٠٧م.
- التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم) ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني (ت٣٦٠هـ) تح: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي ، دار الكتاب الثقافي ، الاردن ، ط٢ ،٢٠٠٨ .
- التفسير المبين، محمد جواد مغنية، عز الدين للطباعة والنشر،ط٢ (د. ت).
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة الأزهر، ط١ ، ١٣٦٥هـ _ ١٩٤٦م.
- تفسير المنار(تفسير القرآن الكريم) ، محمد رشيد رضا ، دار النوادر ، ط٢ ،١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .
- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد ، بيروت _ لبنان، ط١٠، ١٤١٣هـ .
- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا، دار محمد الامين ،دمشق _سوريا ،ط١,١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

❖ التفسير الوسيط ، محمد السيد الطنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، ط١ ، ١٤٠٤ هـ _١٩٨٤م .

❖ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيه بن مالك ، للمرادي المعروف بابن أم قاسم (ت٧٤٩هـ) ، شرح وتحقيق: د. عبد الرحمن علي سّليمان ، دار الفكر العربي ، القاهرة_ مصر، ط١ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م .

❖ توفيق الرحمن في دروس القرآن ، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة دار العيان ،ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

❖ تيسير الكَرِيم الرحمن في تفسير الكلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السّعدي (ت١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معَلّا اللّويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م.

(ج)

❖ جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) ، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – السعودية، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م .

❖ جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر مصر _ القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م .

❖ الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بم أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تصحيح: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب للطباعة والنّشر والتوزيع ، الرّياض _ المملكة العربية السّعودية ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٣م.

❖ جدلية التضاد في الموروث البلاغي والنقدي ، الدكتور حسين الجدوانه، إربد_ الأردن ،ط١، ٢٠٢٢م.

❖ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي ، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان ، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

❖ الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد بن حبيب الله السبزواري ، دار التعارف للمطبوعات، (د. ط)،١٩٨٢م .

❖ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، تح : د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

(خ)

❖ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط٤، (د. ت).

❖ خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدكتور محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة_ السعودية، ط٨، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

❖ خواطر في تفسير القرآن ،محمد متولي الشعراوي ، دار المعارف، ط٣، ١٩٩١م.

(د)

❖ الدر المصون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تح: أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق_ سوريا، (د. ط) ، (د. ت).

❖ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الفكر – بيروت.

❖ دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣، ١٩٧٦م.

❖ دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن الرّحمن بن محمد الجرجاني النّحوي (ت٤٧١هـ) ، تح: محمود محمد شاكر، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

❖ دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، تح: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، الأردن، ط١.

(ر)

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمد الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، تح : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٤م .

(ز)

❖ زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) تح: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .

(س)

❖ السنة النبوية والطب الحديث ، صادق عبد الرضا علي، دار المؤرخ العربي، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م.

(ش)

❖ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدّين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) ، تح : محمد محيي الدّين عبد الحميد ، دار الغدير للطباعة والنّشر ، قم _ إيران ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ .

❖ شرح الرضي على الكافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستر ابادي (ت٦٨٦هـ) ، دراسة وتحقيق : يحيى بشير مصري ، الإدارة العامة للثقافة والنّشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السّعودية ، سلسلة نشر الرّسائل الجامعية (١٥) ، ط١ ، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م .

❖ شرح شذور الذهب ، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النّحوي (ت٧٦١ هـ) ، تح: محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي ، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م.

❖ شرح مائة المعاني والبيان، أبن الشَّحْنَة الحنفيِّ، تح : أحمد بن عمر الحازمي، دار النصيحة، (د. ط)، (د. ت).

❖ شرح المفصل، موفق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي (ت٦٤٣هـ) قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه : د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.

❖ شرح ملحة الاعراب، أبو محمد القاسم بن علي محمد بن محمد بن عثمان الحريري (ت٥١٦هـ) قدّم له وحققه وعلّق عليه وأعرب أبياته وشرح شواهده : د. أحمد محمد قاسم، دار الكلم الطّيب ، دمشق _ بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠٢م.

(ص)

❖ الصرف التعليمي، محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الاسلامية، الكويت ط١، ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م.

(ض)

❖ ضياء الفرقان، السيد محمد تقي النقوي القايني، مكتبة الفكر، ط١ ، ١٤٣٦هـ _ ٢٠١٦م.

(ظ)

❖ ظاهرة التعويض في العربية، عبد الفتاح أحمد الحموز، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م

(ع)

❖ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه ،عبد الله عبد الرحيم العبادي، دار الثقافة، الدوحة _ قطر، ط١، ١٤٠٥هـ_ ١٩٨٥م.

❖ علم الدلالة، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة _ مصر، ط٥، ١٩٨٧م .

❖ علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع ،الاردن ، ط١، ١٤٢٧_٢٠٠٧م .

❖ علم اللغة البنية والنص_ رؤية القاضي عياض، أحمد قاسم كسار الجنابي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد_ الأردن، ط١، ٢٠١٥م .

❖ علم النحو العربي، عبد القادر محمد مايو، تح: زهير مصطفى يازجي، دار القلم العربي، ط١، ١٩٩٦م.

❖ العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل، سامي عامري، تقديم: محمد العوضي، عبد الرحمن الشهري، منقذ السقار، الرواسخ، الكويت، ط٤، ١٤٤٢هـ_ ٢٠٢١م .

❖ علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، مؤسسة بوستان ،ط٢، ١٤٢٨هـ .

❖ عيون أخبار الرضا ، أبو جعفر الصدوق محمد علي ابن الحسين بابويه القمي (ت٣٨١)، تح: سيد مهدي الحسيني لاجوردي، رضا مشهدي(د. ط) ، (د. ت).

(ف)

❖ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) تح : يوسف الغوش، دار المعرفة ، بيروت _ لبنان، ط٤ ، ١٤٣٨هـ _ ٢٠٠٧م.

❖ الفلسفة، السيد كمال بن حسن الحيدري، مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة، قم _ إيران ، (د. ط)، (د. ت).

(ق)

❖ القاموس المحيط، مجد الدّين محمد يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشّيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشّافعي(ت١٢٩١هـ) ، تح : أنس محمد الشّامي وزكريا جابر أحمد ، المطبعة الميمنية ، القاهرة _ مصر ، ط١، ١٣١٩هـ _ ١٩٠٢م.

❖ القرآن الكَرِيم والعلم الحديث ، منصور محمد حسب النبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د. ط)، ١٤١٢هـ _١٩٩١م.

❖ القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة، (د. ط) ،١٩٧٧م.

❖ القرآن والعلم الحديث، ذاكر عبد الكَرِيم ،ترجمة فاتن الزلباني، (د. ط)، (د. ت).

❖ القرآن والعلم الحديث: عبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، (د. ط)، ١٤٤٣هـ _١٩٨٤م.

(ك)

❖ الكافية في النّحو والشافية في علمي التصريف والحظ ، جمال الدين عثمان بن عنر بن أبي بكر ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، تح: صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب، القاهرة، (د. ط)، (د. ت) .

❖ كتاب الاضداد ، محمد بن القاسم (ابن بشار الأنباري)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا _ بيروت،(د. ط) ،١٤٠٧هـ _١٩٨٧م.

❖ الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تح : عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة _ مصر ،ط١، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م .

❖ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ، تح : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان ، ط١، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م.

❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الّزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، أخرجه واعتنى به: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت _ لبنان ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م .

❖ الكشف والبيان في تفسير القرآن، ابو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ) ، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ _ ٢٠٠٤م .

❖ الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكَرِيم ، د. منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر ، ط٢ ، ١٩٩١م.

(ل)

❖ لسان العرب ، أبو الفضل الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، نشر : أدب الحوزة ، قم _ إيران، ١٤٠٥هـ .

❖ اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م .

❖ اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_ العراق، ط١، ١٩٨٧م.

❖ لغويات محدثة في العربية المعاصرة ، محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٦م .

❖ لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فضل حسن أحمد عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع ،ط١، ١٤٣٧هـ _ ٢٠١٦م.

❖ لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين محمد الأنباري(ت٥٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الباسط، دار السلام للنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩١هـ _ ١٩٧١م.

(م)

❖ الماء في القرآن الكريم ، غالب محمد رجا الزعارير، إشراف: محمد آدم محمد صدّيق، بيروت _ المملكة العربية السعودية، دار الزمان للنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

❖ مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم ، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٩هـ_ ٢٠٠٨م.

❖ مجمع البيان، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار العلوم للتحقيق والطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ _٢٠٠٥م .

❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) ، تح : عبد السّلام عبد الشّافي محمد ، دار الكتب العلمية ، ، المدينة المنورة _ لبنان ، ط١، ١٤٢٢هـ _٢٠٠١م .

❖ محيط المحيط، بطرس البستاني(ت١٨١٩هـ) ، تح: محمد عثمان دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، (د. ط)، ١٩٧٧م.

❖ مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله (ت٦٦٦هـ) ، تح : محمود خاطر الله بك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة _ مصر، (د. ط) ، ١٣٣٨هـ_ ١٩٢٠م .

❖ مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ _ ٢٠٠٩م.

❖ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ،(د. ط)، ١٩٨٧م.

❖ المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة ، جدار للكتاب العالمي ،عمان ،الاردن ،ط٨ ،١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٩م .

❖ المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكَرِيم براهين ساطعة وأدلَّة قاطعة، علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة، ط١،(د. ت).

❖ معجم التعريفات، علي بن محمد السّيد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) ، تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة (د. ط)، (د. ت).

❖ معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب ،ط١، ١٤٢٩ هـ _ ٢٠٠٨ م .

❖ معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، دار الثقافة، الجزائر، (د. ط) ،(د. ت).

❖ المعجم المفصل في الاضداد، انطونيوس بطرس، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م .

❖ المعجم المفصل في النحو العربي، الدكتورة عزيزة فوّال بالبتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان، ط١ ، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٢م .

❖ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ_ ١٩٤٥م.

❖ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مكتبة رحمانية، المترجمين: ابن سرور محمد اوليس وعبد النصير علوي، إسطنبول، ط٢، ١٣٩٢هـ_ ١٩٧٢م.

❖ مفاتح الغيب، فخر الدّين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن علي التّميمي البكري الرّازي الشّافعي (ت٦٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٣٩هـ _ ٢٠١٨م

❖ المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح :علي توفيق الحمد، دار الأمل، إربد _عَمّان، ط١، ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م.

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب الأصفهاني) (ت٥٠٢هـ) ، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، (د. ط)، (د. ط) .
- المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ط١٠، ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨م.
- مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن زكريا ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تح: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت_ لبنان، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م .
- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية _ وزارة الأوقاف ، القاهرة _ مصر ، ط٣ ، ١٤١٥هـ_ ١٩٩٤م.
- من آيات الاعجاز العلمي في الحيوان في القرآن الكريم ، زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة ،لبنان –بيروت ، ط١، ١٤٢٧هـ _٢٠٠٦م .
- المنتخب من تفسير القرآن، لجنة من علماء الأزهر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر، ط٨، ١٤١٦هـ_ ١٩٩٥م.
- من علم الفلك القرآني، عدنان الشريف، دار العلم للملايين ، ط١ ،١٩٩١م.
- الموجز في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج(ت٣١٦)، تح: مصطفى الشويمي، دار السلام للنشر والتوزيع، بيروت، (د. ط) ، ١٣٨٥هـ _١٩٦٥م .
- موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، دار ابن حجر ،ط٢، ١٤٢٤هـ _٢٠٠٣م.
- الموسوعة العلمية في الإعجاز العلمي القرآني، الدكتور سمير عبد الحليم ، دار غار حراء، ط١ ،١٤٢١-٢٠٠٠م .
- موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، عبد الحميد محمود ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط٢ ،١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م.

❖ الميزان، في تفسير القرآن السّيد محمد حسين الطّباطبائي (قدس سره) ، تصحيح حسين الاعلمي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة) ، بيروت _ لبنان ، ط١ ،١٤١٧هـ _ ١٩٩٧م .

(ن)

❖ النحو الوافي ، مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللّغوية المتجددة ، عباس حسن، دار المعارف ، القاهرة _ مصر ، ط ٢٦، (د. ت).

❖ نظرية الأفعال الكلام العامة، اوستن، ترجمة: عبد القادر قيقيني، إفريقيا الشرق،(د. ط)، ١٩٩١م.

❖ نظريّة علم النَّصّ _ من بنية المعنى إلى سيمائية الدّال ، حسين خمري ، الدّار العربية _ ناشرون، منشورات الاختلاف_ الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م .

❖ نهج البلاغة والطب الحديث: الدكتور صادق عبد الرضا علي، دار المؤرخ العربي ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

❖ نور الثقلين ،عبد علي العروسي الحويزي(ت١١١٢هـ) ،تحقيق : تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم، ط٢، ١٣٨٣هـ.

(و)

❖ وجوه من الإعجاز القرآني، مصطفى الدباغ، مكتبة المنار، الزرقاء_ الأردن، ط١، ١٩٨٢م .

❖ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية، دمشق_ بيروت، ط١، ١٤١٥هـ_ ١٩٩٥م.

❖ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(ت٤٦٨هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيرة وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن عويس ، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ_ ١٩٩٤م.

❖ ومضات إعجازية من القرآن و السنة النبوية، خالد فائق العبيدي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٤م.

ثالثًا: الرسائل والأطروحات:

❖ الآيات الكونية دراسة عقدية (رسالة ماجستير) ، عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: د. عبد الكريم بن محمد الحميدي، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢_١٤٣٣هـ .

❖ الإعجاز الكوني في القرآن ، خالد عثمان حمدامين، إشراف: محمد سليم ايداي، جامعة يوزنجو ييل ، معهد العلوم الاجتماعية لدراسات العليا، ٢٠١٩م.

❖ اسما الفاعل والمفعول في القرآن الكريم دراسة نحوية صرفية وصفية دلالية(رسالة ماجستير) ،خديجة السر محمد علي ، تح: محمد غالب عبد الرحمن ، دار النشر جامعة ام درمان الإسلامية ، السودان ،ط١، ١٤٣١هـ _٢٠١٠م.

❖ الترادف في القرآن الكريم دراسة تطبيقية على الربع الأخير من الذكر الحكيم (رسالة ماجستير)، سميرة علي أحمد شهوب ، إشراف: محمد منصف القماطي، جامعة طرابلس _ كلية الآداب، ١٤٣٣هـ _ ٢٠١٢م.

❖ التغيّير الدلالي في معجم متن اللغة لأحمد رضا العاملي (ت١٩٥٣هـ) (رسالة ماجستير) ، هيام إسماعيل عليوي، إشراف: د. محمد عامر محمد، جامعة ميسان _ كلية التربية، ١٤٤٢ ٢٠٢٠م.

❖ التمكين الاجتماعي للمرأة في التعبير القرآني دراسة في التراكيب والسياق (رسالة ماجستير)، علاء يسر عصمان، إشراف: د. عباس إسماعيل سيلان، جامعة ميسان_ كلية التربية ،١٤٤٤هـ_ ٢٠٢٢م.

❖ دراسات في المجاز وجماله في القرآن الكريم (اطروحة دكتوراه)، إعداد: مسرة جمال، إشراف: قاضي محمد مبارك، جامعة بشاور_ كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية،١٩٩٣م.

❖ الضابط اللغوي في التفسير العلمي للقرآن الكريم(اطروحة دكتوراه) ، هدى هشام إسماعيل الزيدي، إشراف: علي جميل السامرائي، جامعة بغداد_ كلية التربية للبنات،١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٥م.

رابعًا: البحوث والدوريات:

❖ اسم الفاعل صوغه وعمله، د. محمد عبدالله سعادة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس عشر ، شعبان١٤١٦هـ.

❖ الاشتقاق اللغوي ، أحمد أبركان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة_ المغرب .

❖ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (قراءة في ضوء معطيات المنهج اللغوي) د. حيدر عبد الزهرة التميمي ، مجلة فكرية فصلية متخصصة، جامعة بغداد، بحث منشور في مجلة المصباح ، مجلة فكرية فصلية متخصصة ، العدد التاسع _ ربيع (٢٠١٢م_ ١٤٣٣هـ) .

❖ حكم وقوع المجاز في اللغة والقرآن، علي بن ذريان الجعفري العنزي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية_ جامعة الكويت.

❖ الجموع في اللغة العربية، عبد الله محمد هنانو.

❖ الدلالة المعنوية للمفردة القرآنية في سياق علم اللغة التوحيدي، العلامة الدكتور السيد محمد علي الحسين، جامعة طهران، بحث منشور في مجلة المصباح ، مجلة فكرية فصلية متخصصة ، العدد التاسع ، (٢٠١٢م_ ١٤٣٣هـ) .

❖ الطباق والطباقية من جماليات اللغة إلى التمييز العنصري، خالد الجبر : مجلة أفكار، العدد٢٨٢، تموز ، عمان _ الأردن، ٢٠١٢م.

❖ ظاهرة الترادف في اللغة العربية بين الاصطلاح اللفظ ووظيفة المفهوم ، أحمد مطهري، جامعة وهران ، أحمد بن بله(الجزائر)، جسور المعرفة، العدد العاشر ، ٢٠١٧م.

❖ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة / عبد المجيد بن عزيز الزنداني ، مصطفى أحمد المجلس الأعلى للمساجد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمقر العالم الاسلامي، إسلام آباد _ باكستان، ٢٥ صفر، ١٤٠٨هـ١٩٨٧م.

خامسًا: الروابط والمواقع الالكترونية:

❖ اسرار أعجاز العلمي الذرة في القرآن الكريم موقع متخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل: http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-23-00-02/727-2013-31-21-14-04-01.

❖ من المسؤول عن تحديد نوع الجنين الرجل أم المرأة ، مستشفى الامم د. سيد الاخرس، ٢٠١٧/٣/٢٦، بحث متاح على الموقع الالكتروني: https://ar-ar.facebook.com/omamhospitalegypt/photos/a.528586660533937/1326142210778374/?type=3&av=100080318171015&eav=AfZT7IMCqUxpC59kV0hLx5tet3N02VTentYUSQs__wNO7-GXGPQxCliKMVDno7PPVrg

❖ تحديد جنس الجنين عند ذاكر النايك، متاح على موقع: https://www.patreon.com/arabic_zakir

❖ سلسلة محاضرات الدكتور ذاكر النايك، في تحديد جنس الجنين، متاحة على الرابط : https://youtu.be/3IZoYSiVBN8.

❖ فوائد الصلاة على الجسم وعقل الانسان، متاح على موقع: https://youtu.be/OMjp8wxsGOw

❖ التفسير الشامل للقرآن / الحلقة الخامسة عشر/ بعوضة فما فوقها للدكتور علي منصور كيالي، متاحة على الرابط :https://youtu.be/9XQnWb1SfBQ .

❖ هل تعلم لماذا ضرب الله تعالى بالبعوضة للكفار في القرآن، بحث متاح على الرابط: https://youtu.be/KHvlcM4u46o

❖ طبيب أمريكي يشرح كيف أن السجود هو الأفضل لمرضى كورونا ، متاح على الرابط: https://youtu.be/lq1lsqccjYQ

❖ سلسلة محاضرات الشيخ د. أحمد الوائلي . اسباب حدوث الزلازل في الأرض على الرابط الالكتروني:https://youtu.be/xJFrNsQHDnQ

❖ خبير جيولوجي يشرح خطر سدود المياه في حصول الزلازل متاح على .https://youtu.be/LBQqiA-IFuM

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Misan

College of Education

Department of Arabic

The Impact of Modern Science in Revealing Developments in the Semantic Interpretation of the Holy Quran

A Thesis Submitted by

Dmoa Muhammad Darraj Al-Shuwaili

To the Council of the College of Education –University of Misan as a Fulfillment of Requirements for Master's Degree in Arabic Language and its Arts

Under the Supervision of

Ass. Prof. Abbas Ismail Ceylan (Ph. D)

A. D 2023 1445 A. H

Abstract

The idea of the research revolves around following the semantic linguistic development in the Qur'anic interpretation, and the impact of the interpretive difference between the previous concepts of the Qur'anic text and the facts that modern science has recently revealed, but that the Qur'an has referred to since its revelation to the Prophet of Mercy.

And the discovery of the semantic change between the previous interpretations of some verses of the Qur'an and the modern scientific interpretation is only one of the forms of the miracles of the Qur'anic text and its immortality over time.

And the disclosure of these interpretative developments obligated us to match what was said in those Qur'anic texts and what modern science has proven with rational and scientific evidence, and that saying an opinion that contradicts the old interpretations is not easy for the research, which necessitated returning to most of the books of interpretation and standing with them with vision and reflection, to clarify the truth of the moral intentions of the Holy Qur'an, and its compatibility with the context of the Qur'anic text within one surah or the entire Qur'an.

The study crystallized on some Quranic verses using language, to know the complement or semantic expansion of words in terms of being nouns, verbs, or sources, and so on, the effect on the meaning of words in the contextual structure of the Quranic verse.

And language books have a great impact in arbitrating the great scientific development in directing the meaning of the Qur'anic text towards the safest side, and preserving textual and religious considerations. The Qur'anic text has its own privacy among other literary texts, so our ship did not embark on

the search except for the point of definitive proof by the scientific readings of modern science, and all of that was not the last to continue, but rather the precedence of the Qur'an to all human sciences and the time it needs to reach what it reached previously.